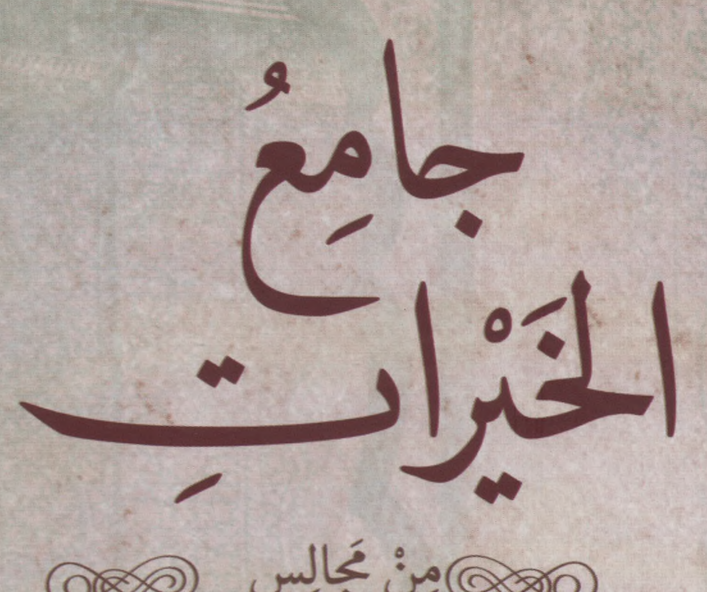


مِنْ مَجالِسِ

الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ محمّد بنِ يوسفَ

الهَرَرِيّ المعروف بالحبشيّ

رحمه الله

الجزء الثاني

لخادم عِلم الحديث الشريف

الشيخ عبد الله الهرري

المعروف بالحبشيّ غفر الله له ولوالديه

شركة دار المشاريع

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ ر

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



ISBN 978-9953-20-496-3



email: dar.nashr@gmail.com

www.dmcpublisher.com

نبذة مختصرة
في ترجمة شيخنا الهرري

- اسمه وكنيته وشهرته:

هو العالِم الجليل قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين صدر العلماء العاملين الإمام المحدّث التقي الزاهد والفاضل العابد صاحب المواهب الجليلة الشيخ أبو عبد الرَّحمٰن عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الشَّيبي [(١)] العبدري [(٢)] القرشي نسبًا الهرري [(٣)] موطنًا المعروف بالحبشي.

- مولده ونشأته:

وُلِدَ في مدينة هرر حوالي سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠ر، ونشأ في بيتٍ متواضع محبًّا للعِلم ولأهله فحفظ القرءان الكريم استظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهو قريب العاشرة من عمره في أحد كتاتيب باب السلام في هرر، وأقرأه والده كتاب «المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية» وكتاب «المختصر الصغير فيما لا بد لكل مسلم من معرفته» وهو

---

(١) بنو شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حجبة الكعبة إلى الآن، انتهت إليهم من قبل جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصيّ مفاتيح الكعبة من أبي غبشان الخزاعي، وقد جعلها النبي ﷺ في عقبهم. انظر سبائك الذهب (ص/٦٨).

(٢) بنو عبد الدار بطن من قصي بن كلاب جدّ النبي ﷺ الرابع. انظر سبائك الذهب (ص/٦٨).

(٣) تقع مدينة هرر في شرق إفريقيا ضمن جمهورية أثيوبيا.

كتاب مشهور في بلاده وكلاهما للشيخ عبد الله بافضل الحضرمي الشافعي، ثم حُبِبَ إليه العلم فأخذ عن بعض علماء بلده وما جاورها، وعكف على الاغتراف من بحور العلم فحفظ عددًا من المتون في مختلف العلوم الشرعية.

- **رحلاته:**

لم يكتفِ رضي الله عنه بعلماء بلدته وما جاورها بل جال في أنحاء الحبشة ودخل أطراف الصومال مثل هرگيسا لطلب العِلم وسماعه من أهله وله في ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنه كان لا يأبه لها بل كلما سمع بعالِم شدَّ رحاله إليه ليستفيد منه وهذه عادة السلف الصالح، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمّق في الفقه الشافعي وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشأن في الفقه المالكي والحنفي والحنبلي، ثم أَوْلى علم الحديث اهتمامه، رواية ودِراية فحفظ الكتب الستة وغيرها بأسانيدها وأجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة حتى صار يُشار إليه بالأيدي والبنان ويُقصد وتشدُّ الرحال إليه من أقطار الحبشة والصومال حتى صار على الحقيقة مفتيًا لبلده هرر وما جاورها.

ثم خرج من بلده إلى الحجاز بعد أن كثر تقتيل العلماء مرات عديدة ءاخرها سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١ فتعرّف على عدد من علمائها كالشيخ العالِم السيّد علوي المالكي والشيخ السيد أمين الكتبي والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن مشاط وغيرهم وربطته بهم صداقة وطيدة،

وحضر على الشيخ محمّد العربي التبّان، واتصل بالشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي فأخذ منه الطريقة النقشبنديّة كما سيأتي.

ورحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتصل بعدد من علمائها منهم الشيخ المحدث محمّد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي وأجازه، واجتمع بالشيخ المحدث إبراهيم الخُتَني تلميذ المحدث عبد القادر شلبي الطرابلسي ثم المدني والشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي الهندي ثم المدني والشيخ المحدث محمد يوسف البنُّوري وحصلت بينهم صداقة ومودة، ثم لازم مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية مطالعًا منقبًا بين الأسفار الخطيّة مغترفًا من مناهلها فبقي في المدينة مجاورًا مدة من الزمن.

ثم رحل إلى بيت المقدس في أواخر سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ر مشيًا على الأقدام ومنه إلى الخليل ثم توجَّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالترحاب لا سيما بعد وفاة محدّثها الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله، ثم سكن في جامع القطاط في محلة القيمرية وأخذ صيته في الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشام وطلبتها وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرُّوا بعلمه واشتهر في الديار الشامية «بخليفة الشيخ بدر الدين الحسني» و«بمحدّث الديار الشاميّة»، ثم تنقل في بلاد الشام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السورية واللبنانية إلى أن استقر ءاخرًا في بيروت.

- **مشايخه:**

١- هرر وضواحيها:

أخذ عن والده محمد بن يوسف كما تقدَّم، وعن كبير[١] علي شريف علم التوحيد، وقرأ عليه القرءان الكريم تجويدًا وترتيلًا وحفظه وهو دون العاشرة، وعن العالم النحرير الشيخ الولي محمد ابن عبد السلام الهرري الفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ محمد بن عمر جامع الهرري علم التوحيد والفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ إبراهيم بن أبي الغيث الهرري كتاب «عمدة السالك وعدة الناسك» لأحمد بن النقيب الشافعي، وعلى الشيخ الصالح أحمد الضرير الملقب بالبصير في قريته كرُّو كتاب «الفواكه الجنية على متممة الآجرومية» للفاكهي وشرح التصريف العزي للتفتازاني وألفية ابن مالك و«الجوهر المكنون في الثلاثة متون» في البلاغة للأخضري، وكتاب «تلخيص المفتاح» في البلاغة للقزويني.

٢- خارج هرر:

ارتحل إلى غرب الحبشة فقرأ في جِمَّه على الشيخ بشرى گوراگي علم العروض والقوافي، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله الحبشي المعروف بالمصري جميع صحيح مسلم وسنن النسائي و«تدريب الراوي شرح تقريب النووي» للحافظ السيوطي وبعضًا من صحيح ابن حبان والسنن الكبرى للبيهقي ومسند الإمام أحمد وسمع منه المسلسل

(١) معناها في بلاد الحبشة «الشيخ العالم».

بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته.

وقرأ في ناحية جِمَّه على الشيخ يونس گوراگي «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» للشيخ زكريا الأنصاري.

وأخذ عن الشيخ العلامة النحوي اللغوي محمد شريف الجِمي الشهير بشيخ شِيرو في ناحية جِمَّه في قرية شِيرو شرح ملحة الإعراب وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وشرح شافية ابن الحاجب في الصرف للأستراباذي وكتاب «فتح الجواد في شرح الإرشاد لابن المقري» لابن حجر الهيتمي وحضر عليه أيضًا في التفسير.

وقرأ على الشيخ أحمد دگو في چرين ناحية جِمَّه «جمع الجوامع في أصول الفقه» للسبكي بشرح المحلي، وأدرك الشيخ إبراهيم القَتْبَاري في ءاخر عمره لما سكن جِمَّه وقرأ عليه «تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب» للشيخ زكريا الأنصاري.

واجتمع بالشيخ الفقيه الأديب الصوفي الزاهد عمر بن علي البَلْبِلَّيتي، الغَلَمْسي فقرأ عليه في علم الميقات والفلك.

ثم ارتحل إلى شمالي الحبشة مشيًا على الأقدام فدخل رايَّه وهي تبعد عن هرر نحو ألف كيلومتر فقرأ على مفتي الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتي سنن أبي داود وابن ماجه وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلاني وسمع منه المسلسل بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته، ودخل قرية كَدُّو مرتين فقرأ على الشيخ الصالح المقرئ المحدث أبي هدية الحاج كبير

أحمد بن عبد الرحمٰن إدريس الدَّاوي الكدّي الحسني شيخ القراء في المسجد الحرام بمكة - وكان يسميه أحمد عبد المطلب - صحيح البخاري وسنن الترمذي وأجازه وقرأ عليه القرءان من طريق الشاطبية، ثم دخل أديس أبابا فقرأ على الشيخ داود الجبرتي الهاشمي المقرئ شرح الجزرية لزكريا الأنصاري وقرأ عليه القرءان بقراءتي نافع المدني وأبي عمرو البصري وبرواية حفص عن عاصم، وقرأ عليه كتاب «الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر» لابن الجزري.

٣- خارج الحبشة:

اجتمع في المدينة بالشيخ محمد علي أعظم حسين الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي فسمع منه المسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات وقرأ عليه «الأربعون العجلونية» وأجازه، وحضر على الشيخ محمد العربي التبَّان المكي المالكي بعض الدروس في التفسير والحديث في المسجد الحرام عند باب الزيارة. وأجازه المسند الأصولي علم الدين أبو الفيض محمد ياسين الفاداني المكي بسائر مروياته.

ثم دخل دمشق فقرأ على الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع أقل من ختمة برواية حفص على وجه قصر المنفصل في المدرسة الكاملية بدمشق، وأجازه الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكَتَّاني نزيل دمشق وقتها بسائر مروياته، وقرأ على الشيخ محمد العربي العزوزي الفاسي نزيل بيروت

الموطأ وسمع من لفظه الأربعين العجلونية وبعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه، وتردد على الشيخ محمد توفيق الهِبري البيروتي وسمع من لفظه بعضًا من الأربعين العجلونية وأجازه بها.

- تدريسه:

شرع رضي الله عنه يُلقي الدروس مبكرًا على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سنًّا فجمع بين التعلُّم والتعليم في ءان واحد، وانفرد في أرجاء الحبشة والصومال بتفوّقه على أقرانه في معرفة تراجم رجال الحديث وطبقاتهم وحفظ المتون والتبحّر في علوم السنة واللغة والتفسير والفرائض وغير ذلك، حتى إنه لم يترك علمًا من العلوم الإسلامية المعروفة إلا درسه وله فيه باعٌ، وربما تكلّم في علم فيظن سامعُه أنه اقتصر عليه في الإحكام وكذا سائر العلوم على أنه إذا حُدّث بما يعرف أنصت إنصات المستفيد، فهو كما قال الشاعر: [الكامل]

وتراهُ يُصغي للحديثِ بِسَمْعِهِ
وبقلبِهِ ولعلهُ أدرى بهِ

- الثناء عليه:

أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم الشيخ علاء الدين وأخوه عزّ الدين الخزنوي الشافعيان النقشبنديان من الجزيرة شمالي سوريا والشيخ عبد الرزّاق الحلبي إمام ومدير المسجد الأموي بدمشق والشيخ أبو سليمان سهيل الزَّبيبي والشيخ مُلَّا رمضان البوطي والشيخ أبو اليُسر عابدين مفتي سوريا والشيخ عبد الكريم الرفاعي

والشيخ سعيد طَنَاطِرَة الدمشقي والشيخ أحمد الحُصَري شيخ معرّة النعمان ومدير معهدها الشرعي والشيخ عبد الله سراج الحلبي والشيخ محمد مراد الحلبي والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرَّاء حمص والشيخ عبد السلام أبو السعود الحمصي والشيخ فايز الدَّيرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع فيها والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الدمشقي والدكتور أحمد الحلواني شيخ القرَّاء في سوريا والشيخ أحمد الحارون الدمشقي الولي الصالح والشيخ طاهر الكيالي الحمصي والشيخ صلاح كِيوَان الدمشقي والشيخ عباس والشيخ حمدي الجويجاتي الدمشقيان ومفتي محافظة إدلب الشيخ محمد ثابت الكيالي ومفتي الرقة الشيخ محمد السيد أحمد والشيخ هاشم المجذوب الدمشقي والشيخ الفرضي أبو عمر القصيباني العاتكي الدمشقي الشافعي والشيخ نوح القضاه من الأردن وغيرهم خلق كثير.

وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النقشبندية في وقته وقد حصلت بينهما مراسلات علمية وأخوية، والشيخ عبد الكريم محمد البَيَّاري المدرّس في جامع الكيلانية ببغداد والشيخ محمد زاهد الإسلامبولي والشيخ محمود أفندي الحنفي من مشاهير مشايخ الأتراك العاملين الآن بتلك الديار والشيخان عبد الله وعبد العزيز الغماري محدّثا الديار المغربية والشيخ محمد ياسين الفاداني المكي شيخ الحديث والإسناد بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة والشيخ محمود طاش مفتي إزمير والشيخ المحدث حبيب الرحمٰن

الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الهنديان والمحدث إبراهيم الخُتني وغيرهم خلق كثير.

أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعيّة من الشيخ محمد علي الحريري الدمشقي، والخلافة من الشيخ عبد الرَّحمٰن السبسبي الحموي والشيخ طاهر الكيالي الحمصي، والإجازة بالطريقة القادريّة من الشيخ الطيب الدمشقي والشيخ الزاهد عمر بن علي البَلْبِلتي، والخلافة من الشيخ أحمد البدوي السوداني المُكاشفي والشيخ أحمد العربيني والشيخ المُعمَّر علي مرتضى الدِّيروي الباكستاني، وأخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ أحمد البصير، والنقشبندية من الشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي والخلافة فيها من الشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني رحمهم الله تعالى، كما أخذ الخلافة بالطريقة الچشتية والسهروردية من الأخير.

- **دخوله بيروت:**

دخل أول مرة بيروت حوالي سنة **١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ر** فاستضافه كبار مشايخها أمثال الشيخ القاضي محيي الدين العجوز والشيخ المستشار محمد الشريف، واجتمع في بيته بمفتي عكار الشيخ بهاء الدين الكيلاني وسأل الشيخ في علم الحديث واستفاد منه. واجتمع أيضًا بالشيخ عبد الوهاب البُوتَاري إمام جامع البسطا الفوقا والشيخ أحمد إسكندراني إمام ومؤذن جامع برج أبي حيدر، وبالشيخ توفيق الهِبري رحمه الله وعنده كان يجتمع بأعيان بيروت وبالشيخ عبد الرَّحمٰن المجذوب واستفادوا منه

وبالشيخ مختار العلايلي رحمه الله أمين الفتوى السابق الذي أقرَّ بفضله وسعة علمه وهيَّأ له الإقامة على كفالة دار الفتوى في بيروت ليتنقّل بين مساجدها مقيمًا الحلقات العلميّة وذلك بإذن خطّي منه.

وفي سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ر وبطلب من مدير الأزهر في لبنان ءانذاك ألقى محاضرة في التوحيد في طلَّاب الأزهر.

- **تصانيفه وءاثاره:**

شغله إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأهواء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف، ورغم ذلك أعدَّ ءاثارًا ومؤلفات قيّمة كثيرة نذكر منها:

١ - القرءان وعلومه

١- كتاب الدُّرّ النضيد في أحكام التجويد، طُبع.

٢ - علم التوحيد

٢- نصيحة الطلاب، وهي منظومة رجزية في الاعتقاد مع ذكر بعض الفوائد العلمية والنصائح تقع في ستّين بيتًا تقريبًا(١)، خ.

٣- الصراط المستقيم، طُبع مرات عديدة.

٤- الدليل القويم على الصّراط المستقيم، طبع.

(١) تنبيه مهم: في ءاخر حياة شيخنا رضي الله عنه أرسل إلى هرر طالبًا من بعض أحبابه ليحذف بيتين من هذه المنظومة أحدهما مدح تفسير ابن كثير وذكر أن السبب في ذلك أنه اطلع بعد ذلك بمدة على تجسيم في التفسير المذكور.

٥- المطالب الوفية شرح العقيدة النسفيّة، طبع.

٦- إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، طبع.

٧- الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، طبع.

٨- صريح البيـان في الردّ على من خالف القرءان، طبع.

٩- المقالات السُنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، والكتاب في أشهر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع الأمة في أصول الدين وقد طبع مرات عديدة.

١٠- شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله، طبع.

١١- العقيدة المنجية وهي رسالة صغيرة أملاها في مجلس واحد، طبع.

١٢- التحذير الشرعي الواجب، طبع.

١٣- رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي، طبع.

١٤- رسالة في الرد على قول البعض إن الرسول يعلم كل شىء يعلمه الله، طبع.

١٥- الغارة الإيمانية في رد مفاسد التحريرية، طبع.

١٦- الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، طبع.

١٧- التعاون على النهي عن المنكر، طبع.

١٨- قواعد مهمة، طبع.

١٩- رسالة التحذير من الفرق الثلاث، طبع.

٢٠- رسالة في الرد على القاديانية، طبع.

٢١- رسالة في الرد على سيد سابق، خ.

٢٢- النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي، طبع.

٣ - علم الحديث وتعلقاته

٢٣- شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، خ.

٢٤- التعقُّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع. ردّ فيه على الألباني وفنّد أقواله بالأدلة الحديثية الباهرة حتى قال عنه محدّث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله «وهو ردٌّ جيّد متقن».

٢٥- نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع.

٢٦- تعليقات لطيفة على شرح البيقونيّة في المصطلح، خ.

٢٧- رسالة في التصحيح والتحسين والتضعيف، خ، وهي رسالة أملاها في مجلس واحد بيّن فيها حد الحافظ وشروط التصحيح والتضعيف.

٢٨- أسانيد الكتب السبعة في الحديث الشريف، طبع.

٢٩- أسانيد الكتب الحديثية العشرة، طبع.

٣٠- الأربعون الهررية، وهو أربعون حديثًا من أربعين كتابًا من كتب الحديث مشروحة، خ.

٤ - الفقه وتعلقاته

٣١- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، طُبع.

٣٢- بغية الطالب لمعرفة العِلم الديني الواجب، طُبع.

٣٣- شرح ألفيّة الزّبد في الفقه الشافعي، خ، شرحها بكاملها سوى الخاتمة في التصوف.

٣٤- شرح متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، خ، وصل فيه إلى ءاخر باب حد القذف.

٣٥- شرح متن العشماويّة في الفقه المالكي، خ، لم يكمله.

٣٦- شرح التنبيه للإمام الشيرازي في الفقه الشافعي، لم يكمله.

٣٧- شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، لم يكمله.

٣٨- شرح كتاب سُلَّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق للشيخ عبد الله باعلوي، خ.

٣٩- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طبع.

٤٠- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، طبع.

٥ - اللغة العربية

٤١- شرح متمّمة الآجرومية في النحو، لم يكمل، خ.

٤٢- شرح منظومة الصبان في العروض، خ.

٦ - السيرة النبوية وتعلقاتها

٤٣- الروائح الزكية في مولد خير البرية، طبع.

٤٤- مختصر تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لعبد الجليل القيرواني، طبع.

٤٥- مختصر الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة للبوصيري، طبع.

٤٦- مختصر عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي بن ناصر الحجازي، طبع.

٤٧- مختصر الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، طبع.

٤٨- المولد الشريف، طبع.

وقد كان شرع في جمع رسالة في:

٤٩- تنزُّه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة، خ.

٥٠- جزء في أحاديث نص الحفاظ على صحتها وحسنها، خ.

لكن أدركته المنية رحمة الله عليه.

هذا ما كان من مؤلفاته أما ما أملاه من الدروس والرسائل فكثير جدًّا.

- سيرته وشمائله:

الشيخ عبد الله الهرري شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذّكر، يشتغل بالعلم والذّكر معًا، زاهد طيّب السريرة، شفوق على الفقراء والمساكين، كثير البر والإحسان، لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ وإرشاد، عارِف بالله، متمسّك بالكتاب والسُّنّة، حاضر الذهن قوي الحجّة ساطع الدليل، حكيم يضع الأمور في مواضعها، شديد النكير على من

خالف الشرع، ذو همّة عالية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم حتى هابه أهل البدع والضلال وحسدوه ورموه بالأكاذيب والافتراءات بقصد تنفير الناس منه لكن الله يدافع عن الذين ءامنوا.

- وفاته:

اشتد عليه المرض فألزمه الفراش بضعة أشهر حتى توفاه الله تعالى فجر يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رمضان سنة ١٤٢٩هـ الموافق الثاني من شهر أيلول سنة ٢٠٠٨ر.

وهذا ما كان من خلاصة ترجمته الجليلة، ولو أردنا بسطها لكلَّت الأقلام عنها وضاقت الصُّحف ولكن فيما ذكرناه كفاية يُستدل به كما يُستدلّ بالعنوان على ما هو في طيّ الكتاب.

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ خَلَقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ وأرسلَ نبيَّهُ ﷺ بالهُدَى والفُرقانِ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على النَّبِيِّ المعلِّمِ محمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيِّ الهاشِمِيِّ القَائِلِ فِيمَا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغَيْرُه **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ** اهـ ورَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحابَةِ والآلِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ مَنْ نَقَلُوا إِلَيْنَا الدِّيْنَ واجتَهَدُوا فِي نَشْرِهِ بالسِّنَانِ وبالبَيَانِ.

أمَّا بعدُ فإنَّ مِنَ الأمُورِ المهِمَّةِ نَشْرَ عِلمِ الحالِ بينَ العامَّةِ وتعليمَهم ما فَرَضَ اللهُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ تَعَلُّمَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وقَدْ غَفَلَ عَنِ القِيَامِ بهَذِهِ الفَرِيْضَةِ المؤَكَّدَةِ أكْثَرُ المنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ واقْتَصَرُوا على تَفقيهِ طائفةٍ خاصَّةٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِم وقَدْ لَفَتَتْ هذهِ الثَّغرَةُ نَظَرَ شَيْخِنَا الإمَامِ المحَدِّثِ الفَقِيهِ الأُصُولِيِّ المتكَلِّمِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ القُرَشِيِّ العَبْدَرِيِّ الشَّيْبِيِّ المشْهُورِ بالهَرَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فأقْبَلَ بِكُلِّيَتِهِ يُحَاوِلُ سَدَّهَا واجْتَهَدَ إلى مَوْتِهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ فِي بَثِّ الفَرْضِ العَيْنِيِّ مِنْ عِلْمِ العَقَائِدِ وفُرُوعِ الفِقْهِ بينَ النَّاسِ صَغِيرِهِم وكَبِيْرِهِم وذَكَرِهِم وأُنْثَاهُم بِلُغَةٍ فَصِيْحَةٍ وَاضِحَةٍ سَهْلَةٍ

وبِأُسْلُوبٍ مُشَوِّقٍ لَا يَخْرُجُ معَ ذلكَ إلى تَشْتِيْتِ قَلْبِ المسْتَمِعِ عَنِ الموضُوعِ الأسَاسِ ولَا إلى إثْقَالِ ذِهْنِهِ بأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُختلِفَةٍ، فعَلَ ذلكَ رحمهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ مُمِلٍّ ولَا تقصِيرٍ مُخِلٍّ ومَعَ تَضْمِينِ هذهِ الدُّرُوسِ مِنَ التَّحقِيقَاتِ التِي تُشَدُّ بُطُونُ الإبِلِ فِي تحصِيلِهَا فكانَتْ دُرُوسُهُ التِي يُلْقِيْهَا فِي المساجِدِ المختَلِفَةِ نُزْهَةً للعَيْنِ ومُتْعَةً للأذُنِ ومَنْفَعَةً للقَلْبِ ونَفَعَ اللهُ بها خَلْقًا لا يُحْصَوْنَ. وهوَ قد درجَ فِي ذلكَ على عَادَةِ السَّلَفِ والخلَفِ فقد كانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما يُفَقِّهُ النَّاسَ فِي الضَّرُورِيَّاتِ فِي شَهرِ رَمَضَانَ كُلَّ سَنَةٍ عِندَما كانَ وَالِيًا عَلَى البَصْرَةِ. وكانَتِ العَادَةُ فِي مَدِيْنَةِ هَرَرَ بَلَدِ شَيخِنا رَحِمَهُ اللهُ وحاضِرَةِ العِلْمِ فِي ذلكَ الوَقْتِ فِي بلادِ الصُّومَالِ والحَبَشَةِ أنْ يأتِيَ الفَلَّاحُ مِنْ عَمَلِهِ إلى بَيْتِهِ فيَتَنَظَّفَ ويتطَهَّرَ ثُمَّ يَقصِدَ المسجِدَ فيَستمِعَ إلى دُرُوسِ العِلْمِ فيهِ كُلَّ يَوم وكانَ فِي هَرَرَ فِي ذلكَ الوَقْتِ تِسْعَةٌ وتِسعُونَ مَسجِدًا يُدَرِّسُ فِي كُلٍّ مِنها عالِمٌ بينَ المغرِبِ والعِشَاءِ فلَا يَمْضِي على هذا الفَلَّاحِ سِنُونَ حتَّى يَتَخَرَّجَ عالِـمًا مِنَ العُلَمَاءِ اهـ

انطِلاقًا مِمَّا تَقَدَّمَ كُنَّا قد جَمَعْنَا فى الجُزْءِ الأول دُرُوسًا كانَ أعْطَاهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ فِي مَسَاجِدَ مختلِفَةٍ وفِي أوقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِتَكُونَ بِيَدِ المدَرِّسِ مَرْجِعًا يُسَهِّلُ لهُ تعلِيمَ العَامَّةِ ويُسَاعِدُهُ فِي التَّثَبُّتِ وزِيَادَةِ التَّأَكُّدِ ولِتَكونَ فِي الوقْتِ عَيْنِهِ دَلِيلًا للأجْيَالِ عَلَى مَنْهَجِ ذلكَ العَالِمِ المُرْشِدِ. وحَرَصْنَا أنْ نَذْكُرَ فِي بِدَايَةِ كُلِّ دَرْسٍ مَوْضُوعَهُ

وكذا مَكَانَ إلقائِهِ وزَمَانَهُ إنْ عَرَفْنَا وأنْ نُثْبِتَهُ كَمَا نَقَلَهُ مَنْ سَمِعُوهُ هذا مع العلم بأن هذه الدروس عُرضت على الشيوخ الذين طالت صحبتهم للشيخ الهررىّ رحمه الله فأكدوا أنهم سمعوا منه نحوها. وحَيْثُ إنَّ الجُزْءَ الأول راجَ رواجًا واسِعًا وانْتَفَعَ به خَلْقٌ كَثِيرون من مُعَلِّمين ومُتَلَقِّين رَأَيْنا جَمْعَ دُرُوسٍ أُخَرَ لِشَيْخِنا المحدِّثِ العَلَّامَةِ عَلَى مِنْوَال الجُزْءِ الأَوَّلِ فى جُزْءٍ جَدِيدٍ حَاوٍ لدُرَرٍ مِن المَعَارِفِ الَّتِى يُحتاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا. نَسْأَلُ المَوْلَى تَعَالَى أنْ يَنْفَعَ به كمَا نَفَعَ بسَابِقِه والله تعالى المُوَفِّقُ.

إدارةُ الدِّرَاسَاتِ والأبحَاثِ
فِى جمعيةِ المشاريعِ الخيريَّةِ الإسلاميةِ فِى لبنان

الدرس الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

النهىُ عن الغلوّ فِى الدين

درس ألقاه المحدث الصوفِىّ الفقيهُ الشيخ عبد اللّه بن محمد العبدرِىُّ رحمه اللّه تعالى فِى ألمانية وهو فِى بيان النَّهْىِ عن الغلو فِى الدين. قال الشيخ رحمه اللّه رحمةً واسعةً

الحمد للّه رب العالمين وصلاة اللّه البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال اللّه تعالى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾(١) وقال رسول اللّه ﷺ لابن عباس غَداةَ مِنًى **الْقُطْ لِى حَصًى مِثْلَ حَصَى الخَذْفِ** قال ابن عباس فَالْتَقَطْتُ له قال **بِمِثْلِ هذا فَارْمُوا بِمِثْلِ هذا فَارْمُوا وإيّاكُمْ وَالغُلُوَّ فإنَّ الغُلُوَّ أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ** اهـ الحديث رواه ابنُ حِبّانَ فِى الصحيح(٢).

الآيةُ الكريمةُ والحديثُ الشريفُ كِلاهُمَا يَنْهَيَانِ عن الغُلُوّ والغُلُوُّ مُجاوَزَةُ الحَدّ، اللّهُ تبارك وتعالى نَهانا عن أنْ نتجاوزَ الحَدَّ فِى تعظيمِ أَحَدٍ مِن خَلْقِهِ. الأنبياءُ

---

(١) سورة النساء/الآية (١٧١).

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه باب ذكر وصف الحصى الذى يرمى به.

يُعَظَّمُونَ إلى الحَدّ الذِى يليق بهم فلا يَجوزُ أنْ يُوصَفوا بأكثرَ مِن ذلك، لا يَجوزُ وصفُ النَّبىّ بأوصافِ الربوبيةِ وكذلك لا يجوزُ تعظيمُ الولىّ فوقَ منزلتِهِ، لا يَجوزُ رَفْعُهُ إلى فوقِ منزلته فلا يجوز تعظيم الولىّ تعظيمًا يُساوِى تعظيمَ الأنبياءِ إنما يُعَظَّمُونَ إلى ما دون ذلك.

اللّهُ تعالى ذَمَّ أَهْلَ الكتابِ لأنهم غَلَوْا، اليهودُ غَلَوْا فِى تَعْظِيمِ عُزَيْرٍ، وعُزَيْرٌ إمّا هو نَبِىٌّ وإمّا هو وَلِىٌّ، لم يَثْبُتْ فِى حديثٍ صحيحٍ أنَّه نبىٌّ أمّا ولايتُهُ فلا شك فيها، غَلَوْا فِى مَحَبَّةِ عُزَيْرٍ عليه السلامُ فقالوا عنه ابنُ اللّهِ والسببُ فِى ذلك أنَّه اسْتَحْضَرَ التوراةَ فِى بيتِ المَقْدِسِ لأنَّ بُخْتَ نَصَّرَ الكافرَ الذِى سَلَّطَهُ اللّهُ على اليهودِ فَقَتَلَ منهم مِائة ألفِ نَفْسٍ وَشَرَّدَ منهم عددًا كثيرًا وأحرق نسخ التوراة ثم بعدَ سبعينَ سنةً عادوا إلى بيت المقدس فلَمّا وَجَدُوا عُزَيْرًا يحفظُ التوراةَ عن ظَهْرِ قلبٍ قالوا هذا ما وصلَ إلى هذه الدرجةِ إلاّ لأنّه ابنُ اللّهِ.

وأمّا النصارَى فإنّهم غَلَوْا فِى محبة المسيح رفعوه إلى فوقِ منزلته، منزلةُ النبىّ أنْ يكونَ أفضلَ خَلْقِ اللّهِ أفضلَ مِن الملائكةِ وأفضلَ مِن سائر البشر هذه منزلةُ النبىّ أمّا أنْ يكونَ له عِلْمٌ كعِلْم اللّهِ أو قدرةٌ كقدرةِ اللّهِ فلا يجوزُ ذلك لا يَصِحُّ عقلًا ولاَ شرعًا. النصارَى قالوا فِى حَقّ المسيحِ إنّه ابنُ اللّهِ كان فينا ما شاء ثم صعد إلى أبيه يَعْنُونَ اللّهَ وقال بعضُهم إنّه هو اللّهُ كان فِينَا ما شاءَ ثم صَعِدَ إلى السماءِ، والفريقُ الثالثُ قالوا فِى غُلُوّهِمْ اللّهُ ثالثُ ثلاثةٍ أىْ المسيح والروح القدس واللّه تعالى ومنهم من

قال المسيحُ وأُمُّهُ واللّهُ رَبُّ العالَمينَ.

ثُمَّ فِى أُمَّةِ محمدٍ ﷺ أُناسٌ غَلَوْا فقال بعضُ المُجازِفِينَ وهو سودانىّ كان فِى المدينةِ المنوَّرةِ ويَنْتَسِبُ إلى الطَّرِيقَةِ القادِرِيَّةِ قال ذاتَ يوم فِى حَدِيثِهِ الرسولُ يَعْلَمُ كُلَّ شىءٍ فَرَدَّ عليه أحدُ إخوانِنا قال له لا يجوز هذا لو كان الرسولُ يَعْلَمُ كُلَّ شىءٍ ما قال اللّه تعالى ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[1] هذه الآيةُ فيها دلالةٌ على أنَّ الرسولَ لا يَعْلَمُ الغَيْبَ أىْ لا يَعْلَمُ كُلَّ الخَفِيَّاتِ لا يعلم كل الخفيات إلا اللّهُ لا جبريلُ ولا أىُّ مَلَكٍ مِن ملائكةِ اللّهِ ولا أىُّ نَبِىّ سيدُنا محمد ومَن قَبْلَهُ لا يَعْلَمُ أحدٌ مِن الأنبياءِ جميعَ الغَيْبِ أىْ كُلَّ الخفيات أى كلَّ ما يَخْفَى علينا بل جميعُ ما يَخْفَى علينا لا يَعْلَمُهُ إلا اللّهُ، قال الخَضِرُ لموسَى حين اجتمعا عليهما الصلاة والسلام كانا فِى السفينة التِى ركباها فجاء عصفور فَنَقَرَ مِنقارَهُ فِى البحر فقال الخضر لموسى يا موسى ما عِلْمِى وعِلْمُكَ فِى جَنْبِ عِلْم اللّهِ إلا كما نَقَرَ هذا العصفورُ من البحر[2]. هذا والخضر له مِن العُمر ما لم يُعْطَهُ أحدٌ مِن الأنبياءِ، الخضرُ على القولِ المُعْتَمدِ نَبِىٌّ ليس وليًّا فقط. كان قَبْلَ موسى بزمانٍ ثم لما اجتمع بموسى قال له هذا. هذا دليلٌ على أنه لا يَعْلَمُ أحدٌ من الخلق جميعَ الغَيْبِ. اللّهُ تعالى يُطْلِعُ أنبياءه

---

(١) سورة الأعراف/الآية (١٨٨).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه باب فضائل الخضر.

وملائكتَهُ على بعضِ الغيبِ وهذا الذِى يُطْلِعُهُمْ عليه
شىءٌ قليلٌ قليلٌ قليلٌ بالنسبة لِمَا لا يَعْلَمُهُ إلاّ اللّهُ.

فهذا السودانىُّ تَجرَّأَ وجعل رسولَ اللّهِ مِثْلَ اللّهِ
مُساوِيًا للّهِ تعالى قال له أَخُونَا هذا الذِى رَدَّ عليه أليس
رسولُ اللّهِ أَرْسَلَ عددًا سَبْعِينَ شخصًا مِن أصحابه إلى
قبيلةٍ لِيُعَلِّمُوا الدِّينَ طَلَبَ بعضُ أهلِ تلك القبيلةِ منه ﷺ
أنْ يُرْسِلَ لهم مَن يُفَقِّهُهُمْ فِى الدِّينِ فأَرْسَلَ لهم سبعين
رجلًا كانوا يُسَمَّوْنَ القُرَّاءَ مِن خِيارِ الصحابةِ فاعترضتهم
بعضُ القبائل فِى الطريق فقتلوهم، قال أخونا هذا لهذا
السودانِىّ لو كان الرسولُ يَعْلَمُ الغيبَ هل كان يُرْسِلُ
هؤلاءِ إلى تلك القبيلةِ وهو يَعْلَمُ أنهم يُقتلون
ويُحصدون أكانَ يُرْسِلُهُمْ قال نعم كان على عِلْمٍ بذلك
وأَرْسَلَهُمْ، مِن شِدَّةِ العِنادِ قال نعم. هذا ينتسبُ إلى
الطريقة القادرية وشيخُهُ فِى الطريقة القادرية الذِى
ينتسب إليه إنسانٌ تَقِىٌّ مِن العلماءِ الأتقياءِ مجاورٌ فِى
المدينة المنورة لكن هذا الذِى ينتسب إليه طَلَعَ مُلْحِدًا.

مَن ساوَى بينَ اللّهِ وبينَ أحدٍ مِن خَلْقِهِ مِن نَبِىّ أو
مَلَكٍ أو غيرِ ذلك فقد كَفَرَ، اللّه تعالى لا أحدَ يُشابِهُهُ
فِى شىءٍ مِن الصفاتِ عِلْمُهُ ليس كعِلمنا قدرتُهُ ليست
كقدرَتِنا وإرادتُهُ ليست كإرادَتِنا وذاتُهُ ليس كذواتِنا مُنَزَّهٌ
عن مُشابهةِ المخلوقين.

ومِن الغُلُوّ الذِى هو داخلٌ تحتَ النَّهْىِ الذِى وَرَدَ فِى
القرءانِ والنَّهْىِ الذِى وَرَدَ فِى الحديثِ قولُ أصحابِ
الطريقةِ التَّجانِيَّةِ فِى دَفْتَرٍ لهم يُسَمُّونَهُ أحزاب وأوراد

الطريقة التجانية، مذكورٌ فِى هذا الدفتر هذه الصيغةُ
اللهم صَلِّ وسلمِ على سيدنا محمد عَيْنِ ذاتِكَ الغَيْبِيَّةِ
يعنِى المؤلفُ أنَّ الرسول عينُ ذات اللّه. هؤلاء كثرةٌ
مَنْبَعُهُمْ مِن المَغْرِبِ، هذه الطريقةُ نَبَعَتْ مِن المغرب
مِن مدينة فاس ثم امتدتْ إلى ما يليها مِن البلاد وما
أكثرَ المنتسبينَ إليها فِى السودان وفِى السِّنِغَالِ وفِى
نَيْجِيرِيَةَ وفِى مِصْرَ حتّى إنّه كان لهم زعيمٌ أَصْلُهُ تُونُسِىٌّ
يُسَمَّى محمدَ الحافِظ رجلٌ مُعَمَّرٌ وله اطّلاعٌ فِى
الحديثِ هو عالِمٌ لكن اللّه أَضَلَّهُ هو زعيمُ هذه الطائفةِ
التّجانِيَّةِ كنتُ أُنْكِرُ على الموجودين فِى بيروت مِن هذه
الطائفة فاسْتَنْجَدُوا بشيخهم الذِى هو فِى القاهرة محمد
الحافظ التجانىّ ثم كتب إلَىَّ كتابًا يَتَضَمَّنُ الدفاعَ عن
هذه الصيغةِ اللهم صَلِّ وسلم على سيدنا محمد عينِ
ذاتِكَ الغيبيةِ يدافع عن هذه الصيغة التى هِىَ صريحةٌ فِى
توحيدِ اللّهِ والنَّبِىّ أىْ أنَّهما واحِدٌ، كلمةُ عَيْنِ ذاتِكَ
الغيبيةِ معناه يا اللّهُ محمدٌ الذِى هو أنتَ صَلِّ وسَلِّمْ
عليه، صار فِى هذا المكتوب يُدافع عنها لكن لم يأتِ
بطائل إنما مُجَرَّدُ الدفاعِ. هذا مِن جُملة الغُلُوّ الذِى
حَصَلَ مِن هذه الأُمَّةِ فِى هذا العصرِ بل وقبل هذا لأنّ
هذه الطريقةَ فِى القَرْنِ الثانى عَشَرَ الهجرىّ طَلَعَتْ
ظَهَرَتْ. أما ذلك السودانىُّ الذِى ذَكَرْتُ لكم الذِى هو
ينتسب إلى الطريقة القادرية فهو مِن أهلِ عصرِنا، هذا
الكلامُ الذِى صَدَرَ منه كان منذُ ثلاثِ سنواتٍ.

ورجلٌ ءاخَرُ فِى المدينة كان هناك أناسٌ اجتمعوا
للاحتفال بليلة سَبْعٍ وعشرينَ مِن شَهْرِ رَجَبٍ فَفِى أثناءِ

الاحتفالِ أحدُ الحاضرينَ قال اللّهُ يَتشَرَّفُ بِعُرُوجِ سيدنا محمدٍ فِى هذه الليلةِ، هذا مِن الغُلُوّ الذِى مِن نَوْع الكُفرِ لأنّ اللّهَ تبارك وتعالى لا ينتفع بأحد مِن خلقه لاَ بسيدنا محمد ولا بأىّ نبىّ ولا بجبريلَ ولا بأىّ مَلَكٍ، الله مُنَزَّهٌ عَن الانتِفاعِ لأنّ اللّهَ كامِلٌ لا يَقْبَلُ الزيادةَ ولا النُّقصانَ كَمالُهُ أَزلِىٌّ أَبدِىٌّ الأزلىُّ لا يزيدُ ولا ينقصُ، اللهُ تعالى كامِل بكمال أزلىّ أبدىّ لا يزدادُ ولا ينقصُ، هو كامِلٌ فِى الأزلِ بكمالٍ لا يَقْبَلُ الزيادةَ والنقصانَ. هذا الذِى قال اللّهُ يتشرفُ بعروجِ النَّبِىّ بهذه الليلةِ هذا جَعَلَ اللّهَ تعالى كالمخلوق لأنّ المخلوقَ هو الذِى يزداد تَرَقّيًا إلى الكمالِ أو ينقصُ، الأنبياءُ يزدادون تَرَقّيًا والملائكةُ كذلك يزدادون تَرَقّيًا.

فيجبُ اجتنابُ الغُلُوّ فِى تعظيم الأنبياءِ وفِى تعظيم الأولياءِ.

ومما حصل مِن الغُلُوّ فِى تعظيم الأولياءِ أنّ رجلًا مِن الأولياء المشهورِينَ فِى الحَبَشَةِ يُقال له أبو محمد هذا ظهرتْ له كراماتٌ كثيرةٌ باهرةٌ مِن جُمْلَتِها أنه حصلتْ غارةٌ مِن الكفار فِى ناحيةٍ، هذه الغارةُ جاءتْ إلى بلدِ هذا الولىّ أبى محمد فَذَبَحتْ مُرِيدًا له ماتَ ثُمّ الناسُ هَيَّؤُوهُ للدَّفْنِ لكنْ قالوا ننتظر قُدومَ الشيخِ، الشيخ كان غائبًا، فحضرَ الشيخ فقيل له يا سَيّدَنا خادمُكم فلانٌ الغارةُ ذَبَحتْه قَتَلَتْهُ ذَبَحتْهُ ذَبْحًا وها قد هَيَّأْناهُ للدفن فتضرَّعَ الشيخُ إلى اللّهِ تعالى فأحيا هذا المَيّتَ بقُدرة اللّه بإذن اللّه فأهلُ تلك الناحيةِ غَلَوْا فِى تعظيم هذا الشيخِ

حتَّى إنَّهم عَمِلُوا قَصِيدَةً بِلُغَةِ الحبشةِ فيها إنّ أبا محمد مثلُ الصَّمَدِ أى مثلُ اللّهِ هذا مِن جملة الغلوّ الذِى هو كُفْرٌ. اللّهُ تبارك وتعالى أَمَرَنا بالاعْتِدالِ لا نَرْفَعُ الأولياء إلى ما فوقَ منزلتِهِم أىْ لا نَصِفُهُمْ بأوصافِ الربوبيةِ لا نُشَبّهُهُمْ باللّه ولا ننقصهم عما هو لائقٌ بهم أى عنِ المنزلة التِى تليقُ بهم أما التعظيمُ الذِى هو دونَ الغُلُوّ فهو شىءٌ يحبه اللّه تعالى، اللّهُ تعالى عَظَّمَ نبيَّهُ محمدًا فَقَرَنَ اسمَهُ باسْمِهِ ويَكْفِيهِ تعظيمًا أنّه يُذْكَرُ مَع اسم اللّهِ فِى الأذانِ جَهْرًا وفِى الإقامةِ كذلك أشهدُ أنْ لا إلَه إلا اللّهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، هذا الذِى يحصل فِى الأذان وضمن الصلاةِ هذا تعظيمٌ بالِغٌ للنَّبِىّ ﷺ، اللّه تعالى عَظَّمَهُ.

كان بعض ملوك التتار الذين أسلموا قال ما أعلَى تعظيم يُعَظَّمُهُ إنسانٌ قال له بعض الجاهلين أنتَ بلغتَ فِى التعظيم أعلى منزلة فقال لا إنّ الذِى بلغَ أعلَى منزلةٍ هو محمدٌ يُذكر فِى الأذان مع اسم اللّه تعالى هذا التعظيمُ الذِى هو أعلَى تعظيم.

التعظيمُ الذِى ليس فيه غُلُوٌّ فهذا قُرْبَةٌ إلى اللّه تعالى ومَن تَحاشَى ذلك تَوَهُّمًا منه أنّه إخلالٌ بتوحيدِ اللّهِ فهو فاسِدُ القلبِ فاسِدُ الاعتقادِ، ذَكَرَ لِى أحدُ أصدقائنا مِن أهلِ بيروتَ أنّه كان فِى مسجدٍ فقال الخطيبُ فِى خطبة الجمعة لا يجوز تعظيمُ الرسولِ، قال اعترضتُ عليه وقلتُ كيفَ تقولُ هذا وقد قال اللّه تعالى وَعَزَّرُوهُ قال له عَزَّرُوهُ معناه نَصَرُوهُ فقال نصروه فِى الآية بعدَ هذا

فانقطعَ تَظاهَرَ بأنه يريدُ صلاةَ النفلِ فاستقبلَ القبلةَ فكبَّر. هذا أيضًا إلحادٌ، هذا كفرٌ كيفَ يقول مَن يَدَّعِى الإسلامَ لا يجوزُ تعظيمُ الرسولِ. اللّهُ عَظَّمَهُ، هذه الشهادة لَمَّا نقول محمدٌ رسولُ اللّه أليست تعظيمًا.

أما التبرك بقبر النبىّ ﷺ بزيارة قبره فهذا ليس مِن الغُلُوّ فِى شَىْءٍ فمن زار قبر النبىّ ﷺ للتبرك أى ليعطيَهُ اللّهُ البركةَ بزيارتِهِ لقبر النبىّ فقد عمل عملًا يُحِبُّهُ اللّهُ تعالى.

كذلك التوسلُ بالنبىّ ﷺ فِى حال حياته وبعد مماته قُرْبَةٌ إلى اللّه تعالى ليس من الغلو الذِى يُنافِى توحيدَ اللّه تعالى، الذِى يتوسلُ بالنبىّ ﷺ أى يَطلب من اللّه تعالى أن يقضِىَ له حاجَتَهُ لأجل نبيّه ﷺ أو يكشفَ عنه كربةً فهذا عملٌ يحبه اللّه تعالى سواء كان فِى حال حياة النبىّ وحضوره أى فِى مجلسه أو كان بعد وفاته عند قبره أو فِى مكانٍ ءاخرَ، كلُّ ذلك قُربة إلى اللّه، ولم يكن فِى العصور القديمةِ الصَّدْرِ الأولِ والذِى يليه أحدٌ مِن أهلِ العلم يُنْكِرُ التوسلَ بالنبىّ ﷺ لم يكن أحدٌ ينكر التوسل بالنبىّ فِى عهد الصحابة أو فِى ما بعد ذلك إلى أنْ ظَهَرَ رجلٌ فِى القَرْنِ السابع الهجرىّ فِى أواخره فَحَرَّمَ التوسلَ بالنبىّ قال لا يجوز التوسل بالنبىّ إلا بحضوره فِى حياته أما التوسل به بعد وفاته فحرامٌ وكذلك التوسل به فِى حال حياته فِى غير حضرته كذلك حرام، وهذا الرجل هو أحمد بن تيمية لم يسبقه أحدٌ مِن علماء الإسلام إلى مثل ذلك بل

كلهم يَرَوْنَ التوسلَ بالنبىّ فِى حياته وبعد مماته جائزًا، لا يَثْبُتُ عن أحدٍ من الصحابة إنكارُ ذلك ولا عن أحد التابعين ولا عن أحدٍ مِن تَبَعِ الأَتْبَاع ولا مَن بعد ذلك فاعلموا ذلك أيها الإخوان ولا يُهَوِّلَنَّكُمْ هؤلاء الذين يُحَرِّمُونَ ذلك ويُورِدُونَ الآياتِ لِيُوهِمُوا الناسَ أنَّ القرءانَ يُحَرِّمُ ذلك ويوردون الأحاديثَ لِيُوهِمُوا الناسَ أنَّ أحاديثَ النبىّ تُحَرِّمُ ذلك فإياكم وإياهم.

الذين يُحَرِّمُونَ التَّوَسُّلَ ليس لهم دليلٌ إلا التمويهُ يُورِدُونَ ءاياتٍ فِى غير محلّها ويوردون أحاديثَ فِى غير محلّها كما يوردون أحاديثَ لا أساسَ لها ولا صحة، مِن جملتها أنَّ هؤلاء يقولون إنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رَضِىَ اللّهُ عنه قال قُومُوا بِنَا نستغيثُ برسولِ اللّهِ من هذا المُنافِقِ فجاؤوا إلى رسول اللّه ﷺ فقال إنه لا يُستغاثُ بِى إنما يُستغاثُ باللّه عزَّ وجلَّ هذا الحديثُ ليس له إلّا إسنادٌ واحدٌ وهذا الإسنادُ الواحِدُ فيه راوٍ ضعيفٌ لا يُحْتَجُّ به، هذا عندهم عُمْدَةٌ للمُحَرِّمِينَ للتوسلِ والاستغاثةِ هذا عندهم عمدة وهو لا يصحُّ الاحتجاجُ به لأنَّ فيه راويًا هو ابنُ لَهِيعَةَ مع أنّ المُطَّلِعينَ منهم اطلعوا على حديثٍ هو ضِدُّ هذا وهو مما رواه البخارىُّ فِى الصحيح مِن حديثِ ابنِ عُمَرَ بنِ الخطاب رضى اللّه عنهما أنَّ النبىَّ ﷺ قال **إنَّ الشمسَ تَدْنُو مِن رؤوس الناس يومَ القيامة فإذا بهم استغاثوا بآدم**[1] اهـ انظروا قال عليه الصلاة والسلام استغاثوا بآدم بهذا

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه باب مَن سأل الناسَ تكثُّرًا.

اللفظِ، هذا فِى البخارىّ صحيحٌ ثابتٌ. ثم هؤلاء مِن عَمَى قلوبِهم كأنهم لا يَرَوْنَ هذا الحديثَ الذِى فِى البخارىّ ويحتجون بهذا الحديث الذِى ما له صحة.

ثم إنَّ أعمَى جاء إلى رسول اللّه ﷺ يقول له يا رسول اللّه ادعُ اللّهَ أنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِى فقال له **إنْ شئتَ صبرتَ وإن شئتَ دعوتُ لك** قال يا رسول اللّه ليس لى قائدٌ وقد شَقَّ عَلَىَّ ذهابُ بصرِى قال له **ائتِ المِيضَأَةَ فتوضأْ وَصلّ ركعتينِ ثم قُل اللهم إنى أسألك وأتوجَّهُ إليك بنبينا محمدٍ نَبِىّ الرحمةِ يا محمدُ إنّى أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبّى فِى حاجَتِى وَتُسَمّى حاجَتَكَ لِتُقْضَى لِى** [1] اهـ هذا لفظُ الطبرانىّ، وقد روى الطبرانىُّ فِى هذا الحديث أن الصحابىّ الذِى روى الحديثَ عثمانَ ابنَ حُنَيْفٍ قال فَوَاللّهِ ما تَفرَّقْنَا ولا طال بِنَا المجلسُ حتَّى دَخَلَ الرجلُ عَلَيْنَا المَجْلِسَ وقد أَبْصَرَ اهـ ثم يقول الطبرانىّ بالإسناد نفسه إنَّ رجلًا كان يتردَّدُ إلى عثمانَ ابنِ عَفَّانَ فِى حاجةٍ له فلم يقضِها له فَشَكَا ذلك إلى عثمان بن حنيف أى الصحابىّ الذِى كان مع الرسول عندما جاء الأعمى فعلَّمه عثمانُ التوسل الذِى علمه الرسول ﷺ للأعمى اهـ هذا الحديثُ فيه التوسلُ بالنبىّ فِى حياته فِى غير حَضْرَتِهِ أى فِى غير مجلسه وفيه التوسل بالنبىّ بعد وفاته فِى أيام عثمان بن عفان. يقول

(١) رواه الطبرانىّ فِى المعجم الكبير باب ما أَسْنَدَ عثمان بن حُنَيْفٍ، وورواه الحاكم فى المستدرك باب كتاب الدعاء والتكبير والتهليلِ والتّسْبِيحِ وَالذّكرِ.

الطبرانىُّ بعد أن يذكر الحادثتين حادثةَ الأعمى وحادثةَ الرجلِ الذِى كانت له حاجةٌ إلى عثمان بن عفان والحديثُ صحيحٌ [1]، هكذا يقول، هذا دليل المُجَوّزِينَ للتَّوَسُّلِ بالنبىّ والاستغاثةِ به ولهم أدلة أخرى إن شاء الله سنشرحها فِى دروس أُخَر.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) رواه الطبرانىّ فِى معجميه الكبير باب ما أسند عثمان بن حنيف والصغير باب من اسمه طاهر.

الدرس الثانى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أقسام البدعة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد اللّه بن محمد العبدرىّ رحمه اللّه تعالى فِى التاسع من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للخامس عشر من شهر ءاذار سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف ر فِى بيروت وهو فِى بيان أقسام البدعة. قال رحمه اللّه رحمةً واسعةً

الحمد اللّه رب العالمين وصلاة اللّه البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد **فإنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللّه تعالى وأحسنَ الهَدْيِ هَدْىُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها وكلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ** اهـ والحديثُ رواه مسلمٌ[١] بهذا اللفظِ وعند النَّسائِىّ[٢] والبيهقِىّ[٣] زيادةُ **وكلُّ ضَلالَةٍ فِى النار** اهـ

(١) رواه مسلمٌ باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) رواه النسائى فى السنن الكبرى باب الغضب عند الموعظة والتعليم إذا رأى العالم ما يكره.

(٣) رواه البيهقى فى الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد باب ذكر الأسماء التى رويناها على طريق الإيجاز.

ثم البدعةُ ذَهَبَ الناسُ فِى تفسيرها مذهبين أحدُهما أنَّ البدعةَ قسمانِ إحداهما بدعةُ ضلالةٍ والأخرى بدعة هُدًى، قال الشافعىّ رَضِىَ اللّه عنه فِى ما ثبت عنه بالإسناد المتصل بدعةُ الضلالة ما كان على خلاف الكتابِ والسنةِ والإجماعِ والأَثَرِ، ما أُحْدِثَ على خلاف الكتابِ والسنة والإجماعِ والأثر. يعنى بالكتاب القرءانَ وبالسنة الحديثَ وبالإجماع إجماعَ الفقهاء المجتهدين أى مجتهدِى أمة محمد ﷺ وبالأثرِ أثَرَ الصحابة والتابعين لهم بإحسان، قال الشافعىّ رَضِىَ اللّه عنه فِى تفسير بدعة الضلالة هذا، وأمّا ما أُحْدِثَ ولم يكن على خلاف ذلك فليس بدعةَ ضلالةٍ، فإذًا قولُ رسول اللّه ﷺ **وكلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ** المراد به ما أُحدِثَ على خلاف الكتاب والسنة والإجماع والأثر فهذه هِىَ التِى حَكَمَ عليها رسولُ اللّه ﷺ بأنها بدعةُ الضلالة ومن ذلك بِدَعٌ أُحْدِثَتْ فِى الاعتقاد كعقيدة الخوارج وهِىَ تكفيرُ المسلم بارتكاب معصيةٍ هذه أُحْدِثَتْ على خلاف الكتاب والسنة والإجماع والأثر، وأما الكتاب فقوله تبارك وتعالى فِى سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] فقوله ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يُفْهِمُنا أنَّ مُرْتَكِبَ الكبيرةِ لا يَكْفُرُ ولا يَخْلُدُ فِى النار خلودًا أبدِيًا وأنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الكبيرةَ للمسلم إنْ شاءَ ويُعَذِّبُهُ عليها إنْ شاء، هذا الذِى تعطيه هذه الآيةُ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(١) سورة النساء/الآية (٤٨).

الخوارج خالفتْ هذا الذِى جاء به الكتابُ أنَّ اللّه تعالى يغفر الكبائر لمن يشاء من المسلمين خالفتْ فقالتْ مرتكبُ الكبيرةِ كافرٌ خارجٌ مِن الإسلام وإنه يَخْلُدُ فِى النار خلودًا أبديًّا لم يَقْصُرُوا الكفرَ على الإشراك باللّه تعالى وما فِى معناه كَسَبِّهِ تعالى وسَبِّ نَبِيِّهِ أو أىّ نَبِىّ من أنبيائه أو سبّ مَلَكٍ مِن ملائكته الذين ثبت وشُهر بين المسلمين أنهم من ملائكة اللّه كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش ومالك خازن النار ورضْوان خازن الجنة، وكُلُّ ما هو تكذيبٌ للرسول ﷺ معنًى وإنْ لم تكن العبارةُ صريحةً فهو كفرٌ حكمُهُ حكمُ الشرك باللّه تعالى وكذلك جَحْدُ ما عُلِمَ أنه من دين اللّه تعالى ضرورةً أى عِلْمًا ظاهِرًا بين المسلمين لا يَخْتَصُّ به العلماءُ دون غيرهم بل هو ظاهِرٌ أنه مِن أمور الدين عند العلماء وغيرِهم كوجوب الصلوات الخمس وحرمةِ الزّنى وحرمة شرب الخمر وأشباهِ ذلك، فكل ذلك مُلْحَقٌ بالشرك فكما أنَّ الشركَ لا يُغْفَرُ كذلك هذه الأشياءُ مِن الكفرِ لا تُغْفَرُ إنما يُغْفَرُ الكُفْرُ بالرجوع إلى الإسلام، إذا كانَ الشخص مُسلِمًا ثم خرجَ منه فَقَطَعَ إسلامَهُ فإذا رجع عن ذلك الكفرِ فَتَشَهَّدَ غُفِرَ ذلك الكفرُ الذِى وقع فيه برجوعه إلى الإسلام قال تبارك وتعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(١)، إن يَنْتَهُوا أىْ عَنِ الكفر بالدخول فِى الإسلام إن خرجوا عن الكفر

(١) سورة الأنفال/الآية (٣٨).

فدخلوا فِى الإسلام غُفِرَ لهم كفرهم فالكفر لا يُغفر إلا بهذا لا يُغفر بقول أستغفرُ اللّهَ لا يُغْفَرُ بالتَّصَدُّقِ لا يغفر بمحبة المسلمين ومعاونتهم ومناصرتهم ضد الكفار مهما ساعد الكافرُ المسلمين وقاتلَ معهم وبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِى نُصْرَةِ المسلمين وقُتِلَ فهو لا يُغفر له كفرُهُ إلا بالدخول فِى الإسلام. فبدعةُ الضلالةِ مثلُ بدعة الخوارج فِى الاعتقاد ولأنهم اعتقدوا اعتقادًا يخالِفُ كتاب اللّه خالفوا قوله تعالى ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١)، وخالفوا الأحاديثَ النَّبَوِيَّةَ ومِن جُمْلَتِهَا حديثُ عُبَادَة بنِ الصَّامِتِ الذِى رواه البخارىُّ وغيرُهُ أنه ﷺ قال **بايِعُونِى على أنْ لا تُشْرِكُوا باللّه شيئًا ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أولادَكُم ولا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ فَمَنْ وَفَى بِذَلِكَ فَأَجْرُهُ على اللّهِ ومَنِ انْتَهَكَ شيئًا مِن ذلك فَأَمْرُهُ إلى اللّهِ إنْ شاءَ عَفَا عنه وإنْ شاءَ عاقَبَهُ** اهـ قال فَبَايَعْنَاهُ على ذلك(٢) اهـ

هذا الحديثُ أيضًا صَرِيحٌ فِى أنَّ مَن ارْتَكَبَ الزّنى أو السرقة أو القتل ظُلْمًا أو فَعَلَ نحوَ ذلك ثم ماتَ ولم يَتُبْ فإنه تحتَ المشيئةِ إنْ شاءَ الله يَعْفُو عنه أى لا يُعَذِّبُهُ على هذا الذنبِ وإنْ شاءَ عَذَّبَهُ. وهناك أحاديثُ كثيرةٌ صِحاحٌ تدلُّ على هذا المعنى أنَّ مُرْتَكِبِى الكبيرةِ أمْرُهُمْ مُفَوَّضٌ إلى اللّه تعالى منهم مَن يسامحهم

(١) سورة النساء/الآية (٤٨).
(٢) رواه البخارىّ فى صحيحه باب علامة الإيمان حبّ الأنصار.

اللّه ومنهم من يعذبه اللّه وبدعةُ الخوارج هذه تخالف هذه الأحاديثَ كلَّها، فذلك أى بدعتُهم مِن جُملةِ ما يدخل تحت قول النبىّ ﷺ **وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ** لأنهم أَحْدَثُوا ما لا يُوافِقُ كتابَ اللّهِ وسنةَ رسولِهِ.

أما ما أُحْدِثَ ولم يخالفْ كتابَ اللّهِ تعالى ولا سنةَ نَبيِّهِ وإنْ لم يكن مَذْكُورًا بعبارةٍ صريحةٍ فِى القرءان والحديث فذلك لا يُسَمَّى بدعةَ الضلالَةِ بل ذلك بدعةُ هُدًى لِفَاعِلِهَا ثوابٌ عندَ اللّه وذلك مِثْلُ الاحتفالِ بِمَوْلِدِ الرسول فِى شهر ربيع صلى اللّه وسلم على رسوله فهذا أُحْدِثَ بعدَ الرسولِ ﷺ فِى حدودِ القرنِ السابع أُحْدِثَ هذا، أَوَّلُ مَن أحدثَهُ مَلِكٌ كان يَحْكُمُ إِرْبِلَ، أَحْدَثَهُ حُبًّا فِى نَبِىّ اللّه تعالى تشريفًا وتكريمًا وإظهارًا لِفَرَحِهِ برسول اللّه ﷺ لِظُهُورِهِ إلى الدنيا فِى مثلِ ذلك الوقتِ ووافَقَهُ العلماءُ على هذا مِن مُحَدّثِينَ وفقهاءَ وصوفِيَّةٍ، ما أَحَدٌ منهم خالَفَه كلُّهم وافقوه حتى إنَّ مِن المحدّثين الحفاظِ مَن أَلَّفَ له كتابًا فِى المولد سماه التَّنْوِيرَ فِى مولِدِ البَشِيرِ النَّذِيرِ ولا يُعلَمُ فِى علماء الإسلام أو حفّاظ الحديث أحدٌ اسْتَنْكَرَ ذلك حتى هذا الحافظ المُلَقَّبُ بأمير المؤمنين فِى الحديث وخاتمةِ الحُفّاظِ ابنُ حجر العسقلانى أقرَّ ذلك. هذا من جملة بدع الهُدى التِى هِىَ ليست داخلةً تحت قوله عليه الصلاة والسلام **وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**.

كذلك أشياءُ كثيرةٌ مِن جُملتها أَحَدُ الأذانين قبل صلاة الجمعة الذِى كان أحدهما هو الأذانَ المعمولَ به

فِى عهد الرسول وفِى عهد أبى بكر وفِى عهد عمر فاستحدثَ عثمانُ بنُ عفانَ أذانًا ثانِيًا فهذا العمل الذِى عمله عثمان بن عفان أُحْدِثَ بعد الرسول لكنه ليس مما ذَمَّهُ رسول اللّه ﷺ ولا يَدْخُلُ تحت قوله عليه الصلاة والسلام **وكلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**.

كذلك لا يدخل ما أحدثه علماءُ الحديث فِى إملاء الحديث، لهم عادةٌ اتخذوها واستحبوها وذكروها فِى كتب المصطلح فِى كتب اصطلاح الحديث، استحدثوا أمرًا وهو أنه فِى مجلس الإملاء يُبَسْمِلُ المُمْلِى ويحمد اللّه ويُثْنِى عليه ويُصَلّى على نبيّهِ ثم يقرأ شيئًا من القرءان بقراءة قارئٍ حسنِ الصوت ثم يُقال بعد ذلك ما ذَكَرْتَ رَحِمَكَ اللهُ يخاطب المُسْتملِى أى المُبَلّغُ يُخاطِبُ المُمْلِى أىِ المُحَدّثَ الذِى يُمْلِى يقول هذا المُسْتملِى مخاطبًا له ما ذَكَرْتَ رحمك الله فيبدأ المُمْلِى بسردِ الإسنادِ والحديثِ، علماءُ الحديث قالوا فِى كتبهم فِى كتب المصطلح إنَّ هذا شىءٌ مُسْتَحَبٌّ ولم يكن فِى عهد الرسول ولا الصحابة ولا التابعين لكنْ هذا شىءٌ موافقٌ لما جاء به الرسول وجاء به الكتاب والسنة ليس مما يخالف فَنَعُدُّ هذا بدعةَ هُدًى لا نَعُدُّهُ بدعةَ ضلالةٍ.

وهناك بِدَعُ ضلالةٍ لكن ليس إلى حَدّ التحريم بل هى أقلُّ مِن التحريم مِثْلُ ما استحدثه بعض الناس وهو أنهم يكتبون عند ذكر النبىّ ﷺ صادًا مجردةً بدلًا عن كلمة ﷺ، وأما كتابة ﷺ فهى بدعة مستحسنةٌ، ما كان

الصحابة يكتبون عند ذكر اسم رسول اللّه ﷺ كلمة ﷺ، ما كانوا يكتبون، ما ثبت عن صحابىّ قَطُّ إنما هذا شىءٌ استحدثه أهل العلم أهل الحديث استحدثوه وَرَأَوْا ذلك موافقًا لما جاء به كتاب اللّه وسنة نبيه لم يَرَوْهُ مخالفًا فَاسْتَحَبُّوا ذلك، أَىُّ كتاب من كتب الحديث تجدون فيه مع اسم الرسول كلمة ﷺ أليس هذا مما عُلِمَ وشاع أنَّه موجودٌ فِى كتب الحديث ألا ترون كتابةَ ﷺ عند ذكر اسم الرسول يُتْبِعُونَ كلمةَ عن النبىّ بصلى الله عليه وسلم، هذا ما كان أيامَ الرسولِ ﷺ إنما العلماءُ استحدثوه فهل نقول هذا دخل تحت قول الرسول **كل بدعة ضلالة**، لا، وماذا يكون حكم من يقول عن هذا إنها ضلالة ماذا يكون إذا احتج بأن هذا لم يفعله الرسول ولا الصحابة إذا احتج بهذا فأنكر ما يكون حكمه أليس يكون شاذًّا كذلك الذِى يُنْكِرُ عملَ المولدِ الاحتفالَ بمولد الرسول أو ينكر الجَهْرَ بالصلاة على النبىّ عَقِبَ الأذان بصوت الأذان هذه أيضًا بدعةُ هُدًى ليست بدعة ضلالة، فَمَنْ يرى عمل المولد والجهر بالصلاة على النَّبِىّ بعد الأذان بدعة ضلالة فهو مردودٌ عليه قولُهُ. وقد حصل فِى دمشق قبل ثلاثين عامًا تقريبًا أنه أُذّنَ فِى مسجد يُسَمَّى مسجدَ الدَّقَّاقِ وأَعْقَبَ المؤذّنُ الأذان بالصلاة على النبىّ جهرًا فقال بعض الوهابية الموجودين فِى صحن المسجد هذا حرامٌ هذا مثلُ الذِى يَنْكِحُ أُمَّهُ فصار شِجارٌ شديدٌ وضَرْبٌ بينهم وبين مخالفيهم ثم رُفِعَ الأمرُ إلى مفتِى ذلك الوقت أبو اليُسْرِ عابدِين فاستدعَى رئيسَ الوهابية

فهدَّدَهُ بالنَّفى والطَّرْدِ إنْ عاد إلى مثل هذا ورسم عليه أن لا يُدَرِّسَ بالمرة، رَسَمَ عليه المُفْتِى أبو اليُسر رحمه اللّه أن لا يُدَرِّسَ وهَدَّدَهُ بالنَّفِى من سورية.

ومن خُبْثِهِم جعلوا الصلاة على النبىّ جهرًا عقب الأذان على المئذنة كزِنَى الشخص بأمه ويقولون نحن أهلُ الحديث أهل الكتاب والسنة.

هى الصلاة على النبىّ واردةٌ لكن الجهر بها بصوت عال بصوت الأذان ما نُقِلَ لنا عن عهد الرسول والصحابة والتابعين وأتباعِ التابعين إنما استُحدِثَ بعد سنة سبعمائة هجرية فَقَبِلَهُ العلماءُ مِن المُحَدّثِينَ والصوفيةِ والفقهاءِ كلُّ المسلمين قبلوه إلا هؤلاء الوهابيةَ يزعمون أن هذا داخل تحت قول الرسول **وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فِى النار**(١) اهـ أليس قال الرسول ﷺ **إذا سَمِعْتم المؤذّنَ فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُولُ ثمَّ صَلُّوا علَىَّ**(٢) اهـ أليس مرَّ المؤذن على كلمة أشهد أنَّ محمدًا رسول اللّه ثم أنهى الأذان هذا ذَكَرَ النبىَّ فإذًا مطلوبٌ منه أن يُصَلِّىَ على النبىّ لأنه ذَكَرَهُ فمطلوبٌ منه أن يصلّىَ عليه فإذا عَمِلَ بحديثِ رسولِ اللّهِ ﷺ أَىَّ بأسٍ عليه فِى ذلك إنْ جَهَرَ وإنْ أَسَرَّ وإنْ جَهَرَ بصوتِ الأذانِ أىُّ مانِعٍ فِى ذلك كيف استجازوا أن يجعلوا هذا مثل الزّنَى بالأم كيف ساغ لهم أن يجعلوا الجهرَ بالصلاة على النبىّ عَقِبَ الأذانِ كالزّنَى بالأم هل قال

---

(١) رواه النسائى فى سننه باب كيف الخطبة.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

النبىُّ ﷺ لا تُصَلُّوا عَلَىَّ جهرًا هل قال ذلك هل يَجِدُونَ ذلك فِى حديثٍ ولو حديثٍ ضعيفٍ أو موضوع لا يجدون، لا يجدون فِى حديث موضوع أنَّ النبىَّ ﷺ قال لا تُصَلُّوا عَلَىَّ جهرًا ولمَّا قال حديثَهُ هذا الذِى ورد فيه إجابةُ المؤذن **إذا سَمِعْتم المُؤَذّنَ فقولوا مثلما يقولُ ثم صَلُّوا عَلَىَّ** اهـ ما قال سِرًّا ما قال ثم صَلُّوا علىَّ سِرًّا ما قَيَّدَ الصلاة عليه بأن تكون سِرًّا بل أطلق فإذًا لنا رخصةٌ إن شئنا نُسِرُّ وإن شِئنا نجهر والمؤذن له رخصة لأنّ النبىَّ عليه الصلاة والسلام حين قال مَنْ ذَكَرَنِى فَلْيُصَلّ عَلَىَّ ما قَيَّدَ ذلك بأن يكون سِرًّا بل أطلقه نحن نعمل بإطلاقه ولو لم يَبْلُغْنا بأنَّ أحدًا مِن مُؤَذّنِى رسولِ الله ﷺ جَهَرَ بالصلاة على النبىّ عَقِبَ الأذان كما نحن نجهر، لو لم يبلغنا ذلك لكنه هو عليه الصلاة والسلام ما قيَّد هذا الأمر بأن يكون سِرًّا نأخذ بالإطلاق وذلك من رحمة اللّه الواسعة.

والعياذ بالله من أين جاءوا بهذا الفكر الخبيث بأن يجعلوا هذا الأمرَ الذِى ما فيه كراهيةٌ فضلًا عن المعصية مِثْلَ الزّنى بالأم من أين جاءهم هذا الخاطِرُ الخبيث.

الحاصل أنَّ ما أُحْدِثَ وكان لا يخالف الكتاب والحديث ولا الإجماع ولا الأثر ثم رَءَاهُ العلماءُ موافِقًا لما جاءَ به الرسولُ فهو بدعة حسنة ويقال بدعة مستحبة وقد سَمَّى عمرُ بن الخطاب رَضِىَ اللّه عنه اجتماعَ الناس على قيام رمضان بعد أن ثَبَتَ عن

رسول اللّه ﷺ أنه لم يخرج إلى الناس بعد أن كان خرج إليهم ليلتين فصلَّوْا خَلْفَهُ جماعةً ترك الخروجَ إليهم وقال لهم فِى ذلك **إنّى خَشِيْتُ أنْ يُفْرَضَ عليكم**(١) اهـ عمر بن الخطاب بعد ذلك جمع الناس فِى عهده فِى خلافته جمع الناس أولًا على إحدى عشْرة ركعةً ثم على عشرين ركعةً سوى الوترِ وهذا الأمرُ الأخيرُ أىِ العمل الأخير من عمر بن الخطاب أنه جمع الناسِ على العشرين فلم يُنْكِرْ عليه أحدٌ من الصحابة بل كلُّهم رَضُوا بذلك ولم يخالِفْ أحدٌ منهم، ثم قال عمرُ رَضِىَ اللّه عنه نِعْمَتِ البِدْعَةُ هذه والتِى تنامون عنها أَفْضَلُ(٢) اهـ المعنى اجتماعُكُم فِى أول الليل على قيام رمضان شىءٌ حسنٌ نِعْمَتِ البدعةُ هذه والتِى تَنامون عنها أَفْضَلُ أى ولو صَلَّيْتموها فِى ءاخِرِ الليل كان أفضل.

مَدَحَها مَدَحَ هذه الفعلة التِى فَعَلَهَا ما ذَمَّها ما قال هذا شىءٌ قَطَعَهُ الرسولُ فكيف أنا أفعل بخلاف عادته، ما خَشِىَ أن يكون ذلك بدعةَ ضلالةٍ بل رأى ذلك بدعةً حسنةً فقال نِعْمَ البدعةُ هذه والتِى تَنامون عنها أفضل. وهذا رواه البخارى فِى صحيحه.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب تحريض النبىّ على صلاة الليل.

(٢) رواه مالك فِى الموطإ بَابُ مَا جَاءَ فى قِيَامِ رَمَضَانَ.

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان بعض أحكام النكاح

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للتاسع عشر من شهر أيلول سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف ر فِى بيروت وهو فِى بيان بعض أحكام النكاح. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين. اللهم عَلّمْنَا ما جَهِلْنَا، وذَكّرْنَا ما نَسِينَا، وعَلّمْنَا ما يَنْفَعُنَا، وزِدْنَا عِلْمًا ونعوذ بالله مِن حالِ أهلِ النَّارِ.

أما بعد فقد قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾(١) قال علىُّ ابن أبى طالب رَضِىَ الله عنه فِى تفسير هذه الآية عَلّمُوا أنفسَكم وأَهْلِيكُم الخيرَ أى عِلْمَ الدّينِ(٢). ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ احفظوا أنفسكم وأهليكم من هذه النار، اللهُ تعالى أَمَرَنا بأنْ نَحْفَظَ أنفسنا وأهلينا مِن

(١) سورة التحريم/الآية (٦).
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك فى تفسير سورة التحريم عن علىّ بن أبى طالب وأقره الذهبىّ.

هذه النار الشديدة التى وَصَفَهَا اللهُ تعالى وطريقُ حفظِ النَّفْسِ والأهلِ مِن هذه النارِ هو أن يَعْلَمَ الإنسانُ أمورَ دِينِ اللهِ ويُعَلّمَ أَهْلَهُ فبذلك يكون الإنسانُ حَفِظَ نَفْسَهُ وأهْلَهُ مِن نار جهنم. إذا عَلَّمَ نفسَهُ وأهلَهُ أى إذا تعلّم لنفسه وعلّم أهله بنفسه أو بواسطة غيرِهِ أمورَ الدين يكون حفظ نفسه وأهله من نار جهنم، إذا لم يتعلم هذه الأشياءَ وعاش لا يَعْرِفُها يؤاخِذُهُ اللهُ تعالى يومَ القيامةِ يُعَذّبُهُ. ليس أمورُ الصلاة والعقيدة فقط بل على الإنسان أن يتعلّم ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ محمدٍ مِن أمورِ الدّينِ مما يتعلق بالنكاح والطلاقِ وغير ذلك مِن كُلّ أَمْرٍ عليه فِعْلُهُ أو يُرِيدُ أنْ يَفْعَلَهُ. ليس سيدُنا محمدٌ ﷺ بعثه الله تعالى ليعلّم الناسَ كيف يؤمنون بالله وكيف يُصلُّون وكيف يصومون وكيف يَحُجُّونَ وكيف يُزَكُّونَ فقط، بل أمره اللهُ تعالى أن يُعَلّمَ الناسَ كيف يبيعون ويشترون وكيف يتزوّجون وكيف يُطَلّقُونَ. فمَن لم يتعلم هذه الأشياءَ وقع فِى نار جهنم وذلك أن كثيرًا من الناس يتزوجون زواجًا غيرَ شرعىّ ولا يدرون هل يعيشون بنكاح شرعىّ أو بنكاح غير شرعىّ فهؤلاء يوم القيامة يُسألون.

مثلًا إذا تزوج إنسان امرأة هى فِى عِدَّةِ زوجِ غيرِهِ، كان بَقِىَ عليها مِن عِدَّةِ زوج غيرِهِ شىءٌ من العدة، ما أنهتِ العدَّةَ هذا الزّواجُ فاسدٌ. إن كانا يَعْلَمَانِ أنه فاسد ثم تَعاشَرَا فخُلِقَ من بينهما ولدٌ فهذا الولد ولد زِنًى لا يكون ولدَ حلالٍ، ليس له إرثٌ مِن هذا الرجل ولا لهذا الرجل إرثٌ مِن هذا الولد. أما إن كانا لا

يعلمان أن عقد النكاح إذا صار ضمن العدة يكون باطلًا وأن جماعها بعد ذلك يكون حرامًا إن كانا لا يعلمان هذا لا يكون هذا الولدُ ولدَ زنى لكن عليهما ذنب حيث لم يتعلّما أن الزواج فِى حال العدة حرام، لم يتعلما فظنّا أن هذا نكاحٌ، هو ظنَّ أنها زوجته، وهى ظنّت أنّ هذا زوجها فتعاشرا المعاشرة الزوجية يعاقبان فِى الآخرة اللهُ تعالى يعذبهما حيث لم يتعلما لأن الإنسان هناك يُسْأَلُ عن الأمرين إن لم يتعلم يُسأل لِمَ لَمْ تتعلم، وإن كان تعلم الحلال والحرام ثم لم يُطَبِّقْ ما تعلمه لم يَتَجَنَّبِ الحرام أو تَرَكَ الفرضَ، تعلم ما فرض الله تعالى على عباده ثم أهمل كثيرًا من الفرائض أو بعضًا منها فهذا يُسأل ويُعاقب لأنه ما عمل كما تعلم. الذِى لم يتعلم يُسأل والذِى تعلم ثم أهمل يُسأل فكلاهما يستحقان العذاب.

ثم بعض الناس يُوَكّل فيقول أنا وكلتك لأن تقبل لى النكاح على فلانة فيأتِى هذا الوكيلُ وهو جاهلٌ لا يعرف كيف يصح هذا النكاح والأبُ جاهل فيقول له أبوها بحضور شاهدين زوجتك بنتى فلانة فيقول قبلت زواجها فيقع العقد للوكيل لا للموكّل.

وقد يكون رجلٌ يعتقد عقيدةً فاسدة أو تعوّد أن يَسُبَّ الله تعالى وهو لا يعلم أن سب الله تعالى كفرٌ يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ ثم يُجْرَى له عقدُ نكاح، هذا ما صح نكاحه، لا تصير زوجتَهُ. شرط النكاح على مسلمة أن يكون الزوج مسلمًا وهذا الذِى يسب الله تعالى ليس مسلمًا

فلا يصح له نكاحٌ على مسلمة، ثم هذا الذِى يسب الله تعالى إن كان فِى الأصل مسلمًا ثم صار يسب الله تعالى صار كافرًا مرتدًا. الكفار نوعان كافرٌ أصلىٌّ وكافرٌ مُرْتَدٌّ، الكافر الأصلىّ هو الذِى نشأ على الكفر وُلِدَ من أبوين كافرَين أصليَّين ثمّ عاش حتى صار كبيرًا وهو على كفره، هذا يسمى كافرًا أصليًّا، هذا لا يصح له أن يتزوج المسلمة، والثانى كافرٌ مرتدٌّ وهو الذِى كان مسلمًا ثم صار يسب الله تعالى أو ينكر الشريعة، ينكر صيام رمضان يقول هذا ليس فرضًا أو ينكر الصلوات الخمس يستهزئُ بالصلوات الخمس هذا لا يصحُّ له عقدُ نكاح على مسلمة. الكافر الأصلىُّ يصحّ أن يعقد النكاح علَى غير المسلمة أما الكافر المرتد فلا يصح له عقد نكاح على مسلمة ولا على غير المسلمة حتى على مرتدة مثله.

هذا الفسادُ نتيجةُ الجهل فمن لم يتعلم كيف يصح النكاح وكيف يكون الطلاق يقع فِى معصية الله تعالى.

كثير من الناس يكونون على الإسلام وأُجْرِى نكاحهم على الصحيح ثم يمزح ففِى أثناء المزح تخرج منه كلمةٌ يقول لزوجته طلقتُكِ أو أنتِ طالقٌ فيكون هذا شرعًا طلاقًا لأن الطلاق مزحُهُ جِدٌّ وجِدُّه جِدٌّ، لا هزلَ فِى الطلاق. فقد يقول طلقتُكِ ولا يظن هذا طلاقًا، لا يعلم أنها حرُمت عليه فينام معها وهِى قد خرجت من نكاحه أو يطلقها وهو غضبان ويظن أن طلاق الغضبان لا يصحّ ولا يؤثر فيعاشرها فتكون معاشرته لها بالحرام.

ثم قد يكون طلّق بثلاثٍ مثلًا ثم نفسُهُ لا تريد الانفصال عنها إما لأجل وجود أولاد بينهما أو لأجل أن نفسَهُ أَلِفَتْها ولا يريد الانفصالَ والابتعادَ منها فيذهب إلى بعض الناس فيقولون له وَزِّعْ كفارةً على الفقراء كذا وكذا مبلغًا من المال واستغفر الله. بعض الناس يعلّمونه هذا الفساد، ثم هذا يوزّع أو يقول لهذا الذِى يُفتيه خذ أنت ووزع فيأخذ المال ويتصرف فيه إما أن يوزعه وإما أن يأخذه لنفسه ثم يجمع بينهما بالحرام فيتعاشران معاشرة محرمة فيقعان فِى الهلاك. وبعض الناس يقول للذى طلق امرأته بالثلاث لِتَذْهَبِ المرأةُ إلى البحر وتغطسْ فِى البحر لمّا تغطسُ فِى البحر كأنها تزوجت حلت لك فيعيشان عيشة محرمة لأنهما سمعا كلام هؤلاء الجهال، لو كانا تعلَّما قبل ذلك لا يسمعان هذا الكلام والعياذ بالله. سبحان اللهِ العظيمِ الجاهلُ يروجُ عليه الجهلُ.

وبعض الناس يُطلّقون بالثلاث ثم يأتون إلى شيخ وهذا الشيخ يقول لهم الحقَّ يقول ليس لك رجوع إليها إلا بعد أن تمكث عدتَها ثم تنتهى العدة ثم يتزوّجها رجلٌ زواجًا شرعيًّا بنكاح ويدخل بها فيقول هذا الذِى طلّق كيف يصير هذا، شيطانُهُ يقول له كيف زوجتُك تنامُ مع غيرك مع رجل ءاخر ثم ترجع لك كيف يكون هذا فَتَأْنَفُ نفسُهُ ذلك فيَسأل يقول مَن تعرفون مِن المشايخ مَن يعمل لِى حلًا لقضيتِى هذه، مَن تعرفون، من يعطينِى لهذه القضية حلًّا، مَن تعرفون، فيقال له اذهب إلى الشيخ الفلانىّ فيذهب إليه فيقول له أنا

قضيّتى كذا وكذا طلقتُ امرأتِى بثلاث طلقات فيقول له هذا الشيخ المحرّفُ المفتونُ الذِى يحرف شريعة الله، يقول له يُجرِى عليها عقد نكاح ثم لا ينام معها ثم يطلقها فتحل لك فهذا يصدقه لأنه شكلًا شيخُ الناسُ يقصدونه ويستفتونه، يطبّق ما قاله له، يتفق مع واحد من الفقراء يقول له أعطيك مبلغ كذا مائة ليرة أو خمسين ليرة أو أكثر أو أقل ويُجْرَى لك عقد نكاح على فلانة ثم من غير أن تنام معها تقول طلقتك، وهذا أيضًا يكون جاهلًا مثله فيقبل ويُجرَى له عقد نكاح بحضور شاهدين ثم بعد ذلك من غير أن يراها ومن غير أن يختلِىَ معها ساعةً من الزمن يقول طلقت فلانة. ثم ذاك الزوجُ الأولُ يأتِى فيقول حَلَّتْ لِى فيرجع إلى معاشرتها فهذا زانٍ.

بعض الناس شيطانهم يغلبهم ونفوسهم خبيثة لا يهمهم أمر الآخرة يريدون أن يتعلّقوا بالأوهام، إذا قال لهم بعض الناس الذين يدّعون أنهم من المشايخ اعمل كذا يعملون ويظنون أن هذا حجة لهم فِى الآخرة. شخص من بيت العيتانِى طلّق امرأته قال واللهِ إن رجعتُ إلى لعب السبق امْرَأتِى طالقٌ بالثلاث ثم عاد عمدًا إلى لعب السبق فوقع على زوجته طلاقُ الثلاث، هذا الرجل جاء إلَىّ أعرفه قلت له لا تحل لك حتى تَنْكِحَ زوجًا غيرَك بعدما تنتهِى العدةُ التِى تعتدُّها منك ثم يُعقد عليها عقدُ نكاحٍ لغيرِك ثم ذلك الرجل ينام معها أى يجامعها ثم يطلقها ثم بعد ذلك تعتدّ وعندما تنتهِى العدة يُجرَى لك عليها عقدُ نكاح جديد، هذا ما

أعجبه، صَعُبَ عليه، ثَقُلَ عليه، ذهب يسأل الناس فقيل له اذهب إلى الشيخ الفلانىّ ذهب إليه قال له أنت كنت حلفت يمينًا قلت إن رجعتُ إلى لعب السبق امرأتِى طالق بالثلاث ما طلَّقْتَها طلاقًا مُنَجَّزًا بل علَّقْتَ تعليقًا هذا ما له تأثيرٌ ادفع الكفارة ثم استغفر الله ثم ترجع لك هى حلالُك، صدَّقَ هذا الشيخَ ثم بعد برهة من الزمن بعدما نفّذ هذه الفتوى الفاسدة صادفنِى فأعاد السؤال نفسه وهو قد أرجع إليه امرأته بالحرام يسألنِى من جديد قلت له حرام لا تحل لك، قال ما لها حَلٌّ غيرُ هذا، قلت له ليس لها حل غير هذا قال كيف إذا أجرينا عليها عقدًا لواحد ثم طلقها من غير أن ينام معها يصح؟ قلتُ لا يصح حرام فقال كيف ينام مع زوجتِى إنسان غيرِى ثم ترجع إلَىّ قلتُ له الدنيا لا تُغنِى مِن الآخرة ذلك الشيخُ الذِى أعطاك تلك الفتوى لا يُخلّصك من عذاب الله يوم القيامة ذلك الشيخ لا يخلصك من عذاب الله.

الله تعالى شرع هذا لحكمة حتى لا يتسرّعَ الناسُ إلى الطلاق، لِيكُفُّوا عن الطلاق.

كذلك إذا لم يكن على النكاح شاهدان مسلمان لا يصح النكاح. هذان الشاهدان وظيفتُهما أن يسمعا الصيغةَ أى الحوارَ بين أبِى البنت والزوج، الأبُ يقول له زوّجتك بنتِى فلانة فيقول له الزوج قبلتُ زواجها بحضور شاهدَين مسلمَين، أما إذا كانا يَسُبّانِ اللهَ تعالى فهذان كالعدم والنكاح لا يصح بحضورهما، يأتِى

بشاهدين ءاخرَين مسلمَين لا يكفران لا يسبان الله تعالى وإلا فلا يثبت النكاح أما إذا كَفَرَا بعد عمل الشهادة لا يؤثر.

ثم ولىّ البنت الذِى يعقد لها العقد هو الأب فإن لم يكن أبوها فجدُّها فإن لم يكن جدُّها فأخوها فإن لم يكن أخوها فابنُ أخيها ثم بعد ابنِ الأخ العمُّ ثم ابنُ العم يقول له زوّجتُك فلانةَ فيقول هو قبلتُ زواجها والشاهدان المسلمان يسمعان هذا الحوار هذا هو النكاح الذِى يَسْتَحِلُّ به المرأة وتصير به البنتُ زوجةً شرعيةً لهذا الرجل وهذا الرجل يصير لها زوجًا شرعًا.

أما قراءة الفاتحة والدعاء فليسا شرطًا والمحكمةُ ليست شرطًا، بدون محكمة فِى البيت أو فِى السوق أو فِى أىّ مكان فِى البستان مثلًا إذا حضر اثنان مسلمان والأب والرجل الذِى يتزوج البنت فقال له أبوها زوّجتُك بنتِى فلانة فقال قبلتُ زواجها ثم افترقوا من غير أن يقرأوا الفاتحة ومن غير أن يسجّلوا إنما هذا الحوار حصل صارت حلالَه، النكاحُ الشرعِىُّ سهلٌ لا يُكلِّفُ الشخص لعقده الذهاب إلى المحكمة ليس الذهاب إلى المحكمة شرطًا لكن الناس بما أنه كثرت الخيانة والتنافر فِى هذا الزمن قد يتزوج الرجل المرأة ثم بعد أن يشبع منها ينكر ويتهرب منها ويقول لا أعرفُك لستِ زوجتِى وإذا رفعته إلى المحكمة يقول أنا ما أجريتُ عليها عقدًا ليست هى زوجتِى هى تفترِى علىّ حتى لا يدفع المصروف والمهر، من أجل هذا

صار الناس يُجرون عقد النكاح فِى المحكمة لأنه يُسَجَّلُ هناك فإن أنكر أو تهرَّبَ من دفع المهر أو المصروف تَرْفَعُ دعوَى عليه فِى المحكمة فتُجبِرُهُ المحكمةُ، لأجل هذا الناسُ صاروا لا يُجرون عقد النكاح إلا فِى المحكمة وإلا فهو ليس فِى أصل الشرع بل فِى أصل الشرع زوَّجتُك بنتِى قبلتُ زواجها من الطرف الآخر أى الطرف الآخر يقول قبلتُ زواجها ويسمَعُ هذا الكلامَ الشاهدان هذا هو النكاح، هذه الكلمة الخفيفة زَوَّجْتُكَ بنتِى قبلتُ زواجها بحضور شاهدين هذه الكلمة الخفيفة أحلَّتْها له.

ثم لو لم يذكرَا المهر ما قال أبوها زوجتك بنتِى فلانةَ على كذا من المهر ما تعرَّضَ لذكر المهر إنما قال زوجتك بنتِى فلانةَ ثم قال الشخص قبلتُ زواجها من غير ذكر المهر والشاهدان موجودان صحَّ حصل النكاح حلت له صارت زوجتَهُ ويثبت لها مهر المثل.

الأبُ يُشرَعُ له أن يستأذن بنتَهُ البِكرَ يقول لها توافقين على أن أزوّجك من فلان فإذا وافقت أجرى العقد عليها وإذا لم توافق يتركها إذا لم يُكرِهها الأبُ خيرٌ، الإكراه لا خيرَ فيه. الإمام الشافعِىّ يقول إذا كان كُفئًا لها مناسِبًا لها ورأى لها أن مصلحتها أن يزوجها بهذا الإنسان وهِى كارهة فإن أجرَى العقد له عليها صح لكنه يقول مكروهٌ، يعتبره مكروهًا لأن امرأة كان زوَّجَها أبوها فِى زمن الرسول وهِىَ كارهة، ثم أبطل الرسول هذا النكاح لأنها كانت كارهةً، لكنِ الشافعيون

يقولون هذه المرأة أبطل الرسول نكاحها لأنها كانت كارهة بتزويج أبيها لها من ذلك الشخص وهو ما كان كفئًا لها، لو كان مناسبًا لها ما كان الرسولُ أبطلَ نكاحَهُ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمات للتحصين من السحر

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى بيروت يوم الأحد فِى التاسع من شهر ربيع الثانِى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للتاسع عشر من نيسان سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فِى ذكر فائدة كلمات للتحصين من السحر. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين.

أمّا بعدُ فقد روينا فِى مُوَطَّإِ الإمام مالكٍ رحمه الله تعالى بالإسناد الصحيح عن كَعْبِ الأَحْبَارِ رَضِىَ الله عنه أنه قال لولا كلماتٌ أقولُهُنَّ لجَعَلَتْنِى اليهودُ حِمارًا فقيل له ما هُنَّ قال أعوذُ بِوَجْهِ اللهِ العظيمِ الذِى ليسَ شىءٌ أعظمَ منه وبكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ التِى لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ وبأسماءِ اللهِ الحُسْنَى مَا عَلِمْتُ منها وما لم أَعْلَمْ مِن شَرّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ[1] اهـ يَعْنِى كَعْبٌ رَضِىَ الله عنه بقوله هذا أنَّ اليهودَ مِن أَسْحَرِ خَلْقِ الله أىْ مِن أكثرِ الناسِ استِعمالًا للسّحْرِ وهو كان

(١) رواه مالك فى الموطإ فى باب ما يؤمر به من التعوذ.

منهم كان يهوديًّا ثم أسلمَ، فِى أيامِ سيدنا عمرَ رضى الله عنه أسلم. هو كعبُ الأحبارِ كان مِن يهودِ اليمن لم يَكُنْ أسلمَ فِى زمنِ الرسولِ لكنه بعدما تُوُفّىَ رسولُ الله ﷺ وظَهَرَ الإسلامُ ظُهُورًا عظيمًا أسلمَ وكان ذلك فِى أيامِ عمرَ رضى الله عنه.

كان أبوه مِن عُلَماءِ اليهودِ مِن أَحْبَارِ اليهودِ تَرَكَ له كُتُبًا وختَم كلًّا منها إلَّا واحدًا تركه مفتوحًا وأخذَ عليه المِيثاقَ والعَهْدَ أن لا يَفْتَحَ هذه التِى ختمها، بعدما مات أبوه فتح هذه الكتب فوجد فيها نَعْتَ رسول الله ﷺ نعتَ محمدٍ أىْ صِفَتَهُ واطّلع على تَبْشِيرِ الأنبياء به فآمن وأظهر إسلامه كان عنده اطّلاعٌ على أحوالِ اليهود وأنَّهم يُكْثِرُونَ مِن السّحْرِ فكان يَتَحَصّنُ مِن سِحْرِهم بهذه الكلمات بأن يَقُولَها كلَّ يوم أو كُلّما خاف أن يُصابَ بسحرٍ كان يقولها فعَصَمَهُ الله تعالى بهذه الكلمات.

فينبغى حِفْظُها وتعليمُها للأهلِ وغيرِهم لا سِيَّما فِى هذا الزمن الذِى كَثُرَ فيه السحرُ لكثرة فساد القلوب. يُحْسَدُ فِى هذه الأيام الإنسانُ لِمَالِهِ وَلِصِحَّتِهِ ونشاطه ويحاول الأشرارُ تغييرَ حالِ هذا الإنسانِ المُنْعَمِ عليه بسحرٍ.

ثم هذه الكلماتُ معانيها حسنةٌ وألفاظُها طَيّبَةٌ ليس فيها شىء مما يخالف الشريعةَ ليس فيها اسْتِنْجادٌ بِمُلُوكِ الشياطين ولا بالكواكب.

ثم كعبُ الأحبارِ رَضِىَ الله عنه بَرِىء مما يَتَّهِمُهُ به بعضُ الناس الذين لا يُوثَقُ بهم يَتَّهِمُونَه بأنه تظاهر بالإسلام ولم يكن مُعْتَقِدًا للإسلام فِى قلبه وذلك افتراءٌ

بل مَدَحَهُ بعضُ الصحابةِ، سيّدُنا عمر رَضِىَ اللهُ عنه كان يرى له منزلةً، كان يَعْتَبِرُهُ من أهل العلم الثقات المُعْتمدِين المُعْتَبرِينَ. وقال فيه أبو الدَّرْداء رَضِىَ اللهُ عنه صاحبُ رسول الله إنَّ عند ابنِ الحِمْيَرِيَّةِ لَعِلْمًا كثيرًا[1] اهـ لأنه مِن حِمْيَر وحِمْيَر هم أهل اليمن الأَصْلِيُّونَ فشهادةُ أبى الدرداء رضى الله عنه تدحض وتحطّم كلَّ هذه الاتّهاماتِ.

محمد علىّ الزُّعْبِىّ هذا يَطْعَنُ فيه ويَطْعَنُ فِى غيره حتى فِى نبىّ الله سليمانَ يطعن، يقول هذا أى كعب الأحبار زعيم شِرْذِمَةٍ يَهُودِيَّةٍ اهـ بعد أنْ زَكَّاه القرءانُ الكريمُ وذَكَرَهُ الرسول ﷺ بالثَّناءِ والتَّنْويهِ يطعن فيه أمثالُ محمد علىّ الزُّعْبِىّ وهو ليس بشىء أخذ الدكتوراه من اليَسُوْعِيَّة من أولياء النصارى، أخذ من التاريخ المُزَيَّف من مُؤَلَّفاتِ التاريخ للنصارى وما أشبهَ ذلك. هو الكافر ليسَ كعبَ الأحبار، يطعن فِى كعب الأحبار وفِى نبىّ الله سليمانَ ولم يَدْرِ أنَّ مَن طَعَنَ فِى نبىّ من أنبياء الله فقد كفر.

هذه الكلمات ذكرٌ فيها تمجِيدٌ لله تعالى فيها مَنْفَعَةٌ وفيها ثواب عظيم مَنْفَعَتُهُ التَّحْصِينُ من السّحْر.

قال الشيخ رحمه الله احْفَظْنَهُ وقُلْنَهُ كلَّ يومٍ. وإذا قيل صباحًا ومساءً أحسن.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) رواه مالك فى الموطإ فى باب كعب بن مانع الحميري.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان أن القرءان هو المهيمن على باقِى الكتب المنزلة وحال المسلم عند الموت وبعده

درسٌ ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررِىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أن القرءان هو المهيمن على باقِى الكتب المنزلة وبيان حال المسلم عند الموت وبعده. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[1] ورُوِّينا بالإسناد الصحيح المتصل فِى مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من حديث عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ رضِى الله عنه وهو مِن السابقين إلى الإسلام كان أسلم مع رسول الله ﷺ قبل أن يسلم مِن أصحابِهِ عشرةٌ قال قال رسول الله ﷺ **المسلمُ مَن أَسْلَمَ قلبه لله وسَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده**[2] اهـ

(١) سورة البقرة/الآية (١١٢).

(٢) رواه أحمد فى مسنده باب عمرو بن عبسة.

القرءان هو كتاب الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ وهو مُهَيْمِنٌ على ما قبله من الكتب السماوية أى أنه لا ناسخ له أما هو ينسخ الشرائع التِى أنزلها الله على أنبيائه. كلُّ الشرائع التِى أنزلها الله على أنبيائه كانت كل شريعة منها فِى الوقت الذِى أُنْزِلَتْ فيه واجبًا العمل بها فشريعةُ ءَادَمَ التِى هِى إسلامية كان العمل بها واجبًا فِى زمن ءَادَمَ لا يجوز العمل بخلافها ثم لمَّا أنزلت بعده شريعةٌ على من جاء بعده من الأنبياء كان العمل واجبًا بالشريعة الجديدة ثم بعد ذلك لما أنزل الله تعالى شريعة أخرى فيها ما يخالف ما قبلها كان العمل بها واجبًا ثم أنزل الله تبارك وتعالى ءَاخِرَ الشرائع كُلّها شريعةَ محمد فجعلها ناسخة للشرائع التِى قبله.

وهذه الشرائعُ كلها تابعة للإسلام الذِى هو دين جميع الأنبياء ودين الملائكة وهو لا يدخله نسخ. الإسلامُ دين الله الذِى أنزله لملائكته وأنبيائه جميعًا لذلك ليس دينٌ عند الله تعالى مقبولًا إلا الإسلام. الإسلام هو دين الله وما سوى الإسلام لا يسمّى دينَ الله، الإسلام هو دين الله الذِى لا يقبل دينًا سواه، والأنبياء كلهم دينهم الإسلام وهو لا يدخله نسخٌ لأنَّ الإسلام هو عقيدةٌ.

الإسلامُ هو عبادةُ الله وحده وأنْ لا يُشْرَكَ به شَىْءٌ والإيمانُ بالقَدَرِ أى أنَّ كل شىء لا يوجد إلا بإيجاد الله وأنه لا خالق إلا الله وأنَّ بعد هذه الحياة حياةً ثانية تسمى الآخرة وأنَّ فِى تلك الدار دارَين إحداهما

الجنة دار النعيم المقيم والأخرَى جهنم دار العذاب المقيم والتصديقُ بأن الله تعالى أرسل من عباده من الناس رُسُلًا صادقين لا يَكذبون على الله بل كلُّ ما يُبلّغُونَهُ عن الله حقٌّ وأنه تعالى أنزل كتبًا على مَن شاء من أنبيائه كُلُّها منزل من الله تعالى. هذا معنى الإسلام فهذا لا يدخله نسخ هذا لم ينتسخ إنما النسخ فِى الشرائع فالشرائع التِى كانت قبل شريعة محمد نُسِخَتْ بشريعة محمد لأن شريعة محمد فيها أحكامٌ تخالف شرائعَ الأنبياء قَبْلَهُ، الأنبياء قبل محمد ما كان لهم أن يتيمموا إذا فقدوا الماء كان الوضوء مشروعًا لهم لكنهم إذا لم يجدوا الماء فليس عندهم بديل عن الماء بل يتركون الصلاة حتى يحصلوا على الماء أما شريعة محمد ﷺ فقد أنزل الله تعالى فيها التيمم وكان نزول التيمم بعد أن مضى أكثر من ثلاثة عشر عامًا من بداية مبعث رسول الله ﷺ، وفِى شريعة محمد أيضًا حُكْمٌ لم يكن فِى شرائع الأنبياء السابقين وهو أكل الغنيمةِ والغنيمةُ هِىَ المال المأخوذ من الكفار قهرًا وغلبة لم يكن أيام الأنبياء الذين مَضَوا قبل سيدنا محمد رخصة فِى أكل الغنائم أىِ الأموال المأخوذة من الكفار قهرًا وغلبة كانوا يجمعونها أى أموالَ الكفار التِى استولَوا عليها كانوا يجمعونها فيرسل الله نارًا تأكل هذه الأموال فكان فِى شرائع أولئك مَنْ أَكَلَ من أموال الغنيمة أى من أموال الكفار بعد أن يُكسَروا شيئًا استحق عذاب الله أما فِى شريعة محمد فإن الله تعالى أحلها لهم فَضَّلَهُمْ على مَن قبلهم من أمم الأنبياء

بإباحة الغنيمة لهم وأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة فِى ذلك أى فِى أكل الغنيمة فِى القرءان قوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[1] فهذا أى أكل الغنائم لم يكن حلالًا فِى شريعة من الشرائع إلا فِى شريعة محمد، وهناك أمور أخرى أيضًا فِى شريعة محمد نسخ الله بها شرائع الأنبياء الذين قبله فلهذا المعنى كان القرءان هو الحاكمَ على كل الكتب المنزلة القرءان يحكم الكتب المنزلة، فما أحل فِى القرءان فهو حلالٌ وما حرم فِى القرءان فهو حرام لو كان الشىء حلالًا فِى بعض الكتب المنزلة قبل القرءان ثم حرم فِى القرءان فلا يجوز أن يقول قائل عن ذلك الشىء إنه حلال اعتمادًا على أنه كان حلالًا فِى الكتب التِى أُنزلت قبل القرءان لأن الله تعالى نسخ ذلك.

الله تعالى يأمر بِشَىْءٍ ثم يَنْهَى عنه هذا ليس نقصًا على الله وينهَى عن شىء ثم يرفع الحظر عنه أى يبيحه وهذا أيضًا لا نقص فيه ولا يكون كذبًا لا يكون فِى القول بذلك نسبةُ الكذب إلى الله لأن الكذب يحصل فِى الإخبار الكذب يكون فِى الإخبار لا فِى الأمر والنهْىِ الله تعالى نهَى مَنْ قبلنا مِن الأمم أن يأكلوا من الغنائم وأباح لأمة محمد أن يأكلوها هذا ليس معناه أنَّ الله تعالى انتقض كلامه، لا، الله تعالى لا يدخل كلامَه الكذبُ كلامه صدقٌ وقوله حقٌّ والله تعالى كان عالمًا فِى الأزل قبل أن يخلق الخلق أنه يبيح لأمةٍ كذا

(١) سورة الأنفال/الآية (٦٩).

الشىء أن يفعلوه ثم يُحَرِّمُهُ على مَن بعدهم كان عالمًا بذلك ليس جديدًا على الله تعالى، كذلك كان رسول الله ﷺ يستقبل القبلة أى الكعبة فِى صلاته والمؤمنون أتباعه كانوا يستقبلون الكعبة فِى صلواتهم إلى أن هاجر الرسول إلى المدينة فأمره الله تعالى باستقبال بيت المقدس فِى الصلاة ثم استمر يستقبل بيت المقدس سبعة عشر شهرًا ثم أنزل الله تعالى عليه الوَحْىَ بأن يستقبل الكعبة وهذا أيضًا أىْ أمرُ اللهِ تعالى لسيدنا محمد باستقبال بيت المقدس فِى الصلاة تلك المدة التِى هِىَ سبعة عشر شهرًا كان العمل بذلك واجبًا فرضًا وكان لا يجوز فِى تلك الأيام أن يستقبل أحد فِى صلاته الكعبة إلا بيت المقدس ثم لما رفع الله تعالى الحكم وأعاد الأمر إلى ما كان عليه من استقبال الكعبة كان فرضًا على المسلمين أن يستقبلوا الكعبة ولا يجوز لأحد بعد ذلك أن يستقبل فِى صلاته بيت المقدس ثم استمر هذا الحكم لم ينسخه الله تعالى بل ثبت الأمر على ذلك ولا ينسخ إلى يوم القيامة.

هو النسخ لا يكون إلا بالوَحْىِ والوَحْىُ قد انقطع بوفاة رسول الله ﷺ لمّا توفِى رسول الله ﷺ انقطع الوَحْىُ فلا يُنسخ شىءٌ من شرع الله. لا يأتى بعد ذلك ناسخ.

فقول رسول الله ﷺ فِى هذا الحديث الذِى رواه عمرو ابن عبسة **أن تسلم قلبك لله** معناه أن تعبد الله تعالى وحده ولا تشرك به شيئًا وتقصد بعبادتك التقرب إلى الله، ثم قال **وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك** اهـ

هذا ذَكَرَهُ لبيان الكمال، كمالُ الإسلام لا يكون إلا بذلك فالمسلم الكامل هو الذِى كَفَّ يده ولسانه كَفَّ يده عن أن يضرب بها مسلمًا وكَفَّ لسانه عن أن يُؤْذِىَ به مسلمًا فمن ءَامَنَ بالله ورسوله وأخلص لله تعالى فِى عبادته أى لم يبتغِ إلا وجه الله وكفّ يده ولسانه أى كفّ ظلمه وأذاه عن المسلمين فلم يظلم أحدًا منهم بيدٍ ولا بلسانٍ أى وأدَّى جميع الفرائض واجتنب جميع المحرمات كان مسلمًا كاملًا. والمسلم الكامل له مزية ليست لغيره فِى الدنيا والآخرة، مزية المسلم الذِى أدى الفرائض واجتنب المحرمات واستقام بطاعة الله تعالى مزيته على غيره من المسلمين هِىَ أنه عند خروجه من الدنيا ينزل عليه ملائكة من ملائكة الرحمة يتفاوت عددهم بالنسبة للمؤمنين الكاملين فمنهم من ينزل عليه خمسمائة ومنهم من ينزل عليه أكثر من ذلك ومنهم من ينزل عليه أقل من ذلك فيبشره هؤلاء بأنه مِن أحباب الله وأن ملك الموت المسمى عزرائيل يبشره كذلك برحمة الله ورضوانه فيحب الموت عندئذ أى تذهب عنه كراهية الموت والخوف من القبر لأن كلام الملائكة ملائكة الرحمة له تأثير فِى نفس هذا المؤمن فينقلب من كراهية الموت والخوف من القبر إلى ضد ذلك فلا يخاف الموت ولا يخاف من القبر لأنه عَلِمَ أنه ليس عليه عذاب ولا نَكَدٌ وأن الله تعالى راضٍ عنه. ثم إنه يُصْعَدُ بروحه بعد أن يفارق الجسد إلى السموات السبع فيلقَى تبشيرًا وتعظيمًا وإجلالًا من ملائكة السماء السابعة كل الملائكة المقربين من

ملائكة السموات السبع يبشرونه يرى منهم ابتهاجًا به وإقبالًا عليه وسرورًا بقدومه فيزداد هذا الروح سرورًا وفرحًا ثم يؤمر الملائكة الذين صعدوا به إلى السماء السابعة أن يردوه إلى الأرض فيردونه إلى الأرض فِى لحظة قصيرة لأنَّ هذا يتم قبل أن يُحْمَلَ الجسدُ إلى القبر، هذا العروج بهذا الروح إلى السماء السابعة والعود به إلى الأرض يتم ذلك فِى هذه المدة القصيرة أى قبل أن يُجَهَّزَ جسدُهُ إلى القبر. ثم يُعادُ الروح إلى الجسد فِى القبر بعد أن يُدْفَنَ الجسد فيعود إليه الإحساس فيعود إليه عقله كما كان ثم لا يزال بعد ذلك براحة تامة لا يحس بألم ولا وحشة ولا فزع ولا يتسلط عليه شىء من هوام الأرض من نمل فما فوق ثم تظل فِى قبره الروح مع الجسد إلى أن يبلى الجسد ثم يُصعد بالروح بعد بلَى الجسد إلى الجنة فيأكل من ثمار الجنة يكون طيرًا يأكل من ثمار أشجار الجنة إلى أن تقوم الساعة ثم يوم تقوم الساعة يعاد الجسد كما كان ويعود الروح إلى جسده ثم يخرج من قبره مسرورًا غير خائف ولا محزون ثم بعد ذلك يَلْقَى الكرامة من الله حتى يتبوأ منزله فِى الجنة مكرمًا.

وأما المسلم الذِى لم يصل إلى حد الكمال بأن كان لا يؤدّى الفرائض أو يؤدّى نصفًا ويهمل نصفًا أو يرتكب الكبائر هذا إن مات وهو فِى هذه الحال لا يكون حاله كحال المؤمن الكامل بل يصيبه نكدٌ فِى قبره مدةً ثم ينقطع عنه ويُؤَخَّرُ له باقِى عذابه إلى الآخرة ثم بعد أن يستوفِى بقية عذابه فِى الآخرة يخرجه الله

تعالى من العذاب فيدخله الجنة، هذا لمن لم يغفر الله له أما من غفر الله له فإنه لا يُعَذَّبُ فِى قبره ولا فِى ءَاخِرَتِهِ.

ثم هؤلاء الذين يحفظهم الله تعالى من عذاب الآخرة مع كونهم غير كاملين فِى الإسلام هم أصنافٌ صنفٌ منهم رُزِقُوا الشهادة إما بالقتل فِى سبيل الله وإما بغير ذلك فالذِى يذهب إلى سلطان جائر ويكلمه بحق فيأمره بما فرض الله وينهاه عما حرم الله لوجه الله ثم يقتله هذا السلطان الجائر هذا لم يُقْتَل فِى المعركة لكنه عند الله تعالى من أفضل الشهداء لأنه خاطر بنفسه لوجه الله تعالى، ومنهم من يُرْزَقُ غير ذلك من أنواع الشهادات كالذِى يقتل ظلمًا من أجل ماله أو من أجل جاهه أو غير ذلك. كانت فِى الصحابيات أىِ النساء اللاتِى ءامنَّ برسول الله واجتمعْنَ به امرأة من الأنصار تسمى أم ورقة كانت من أهل المدينة كان رسول الله ﷺ يزورها مع بعض الصحابة يقول لهم قوموا بنا نزور الشهيدة ثم تُوُفِّى رسول الله ﷺ ثم عاشت هذه المرأة إلى أيام خلافة عمر بن الخطاب رضِىَ الله عنه فقام عبد وأمة مملوكان لها وقتلاها ثم أُخْبِرَ عمر بن الخطاب بحادثة قتلها فأمر بالتفتيش عنهما أى عن العبد والأمة اللذين قتلا أم ورقة ظلمًا ثم هربا. كانت هِى مالكةً لهما بحقّ لأن الاسترقاق بالطريقة الشرعية حلال لا ينكره من هو مسلمٌ له إلمام بعلوم شريعة الله إلا الملحدُ، قتلاها ظلمًا لم تُسِئ إليهما فِى المعاملة ما جوعتهما ما عذبتهما بالجوع أو بغير ذلك إنما هما

بغيا عليها واعتديا فخنقاها غمّاها بخرقة حتى ماتت ثم أدركا فقُتلا قتلهما عمر بن الخطاب لأنهما اشتركا فِى قتل نفس مسلمة ظلمًا وعدوانًا، ولو اشتركتْ ألف نفس بقتل مسلم لكان القصاص على الجميع مثلًا لو أمسكتْ ألف نفس حبلًا ثم ركّبتْهُ فِى عنق رجل مسلم فجروه إلى البحر كان هذا القتل مشتركًا فيه بين الألف نفس وهؤلاء الألفُ يستحقون القتلَ لذلك قتلَ العبدَ والأمةَ عمرُ بن الخطاب رضِىَ الله عنه.

ثم إن من أعظم الفرائض معرفةَ العلم الذِى لا يُستغنَى عنه منْ علم الشريعةِ من علم الدين. علم الدين قسمان قسم فرضَ على كل مسلم ومسلمة وقسم فرض على بعض المسلمين أن يتعلموه ليس على الجميع ومن لم يتعلم هذا القسم الذِى هو فرض على كل مسلم فإنه من الفاسقين لو كان يصلّى الفرائض ويتهجد بالليل والناس نيام أو كان يحج عشرات المرات ويتصدق كل يوم صدقاتٍ كثيرةً ويدفع الزكاة المفروضة أو كان يذهب إلى القتال إلى الجهاد فإن هذا فاسق لأن من لم يتعلم العلم الذِى فرضه الله فإنه عبدٌ فاسقٌ عبدٌ عاصٍ عبدٌ مذنبٌ. تجدون كثيرًا من الناس لا يتعلمون علم الدين الضرورِىّ إنما يكتفون بأنهم يترددون إلى المساجد ويحجون ويصومون ويتصدقون ويزكون أما العلم الشرعِىّ فقد نبذوه وراء ظهورهم هؤلاء لا يكونون مفلحين هيهات هيهات. لا يكونون مفلحين مهما ذكروا الله بألسنتهم لو كان الواحد منهم يذكر كل يوم عشرة ءالاف أو كان أحدهم يهلل كل يوم عشرة

ءالافِ تهليلةٍ أى لا إله إلا الله أو سبعين ألف مرة يقول الله الله الله باللفظ الصحيح فإن هذا لا يكون قريبًا من الله بل هو بعيد من الله والشيخ الذِى ينتسب إليه الذِى يُعْطِى الطريقة للناس لا ينجيه من سخط الله. هيهات هيهات مَن هذا حاله أن يكون من المقبولين المَرْضِيِّينَ عند الله لأنه أكثر واشتغل بالطريقة هيهات هيهات. أحدهم قال لِى أنا صارتْ لِى مصيبةٌ تحطمتْ سيارتِى وأُصِبْتُ فِى جسمِى فمكثتُ سنةً وزيادةً فِى بيتِى لزمت البيت سنةً وزيادةً وأظن أن ذلك جاءنِى لأنِى تركت الختمةَ النقشبندية قلت له ما أضعت صلواتٍ من الصلوات الخمس فِى هذه المدة قال بلى قلت ليس من الختم أنت تستحق هذه المصيبة بتركك الصلوات الخمس. انظروا من شدة جهلهم قال هذه المصيبة استحققتها لأنّى تركت الختم لعنة الله على الجهل يُحَسّنُ الباطلَ للإنسان ويقبح الحق للإنسان. الختم ليس فرضًا. الله لم يفرض الانتساب لطريقة من الطرق لا الطريقة القادرية ولا الطريقة النقشبندية ولا الطريقة الرفاعية. لا يُسأل العبد يوم القيامة هل أخذتَ الطريقة القادرية هل أخذتَ الطريقة النقشبندية هل أخذتَ الطريقة الرفاعية لِمَ لَمْ تأخذ لا يُسأل. إنما يُسأل عما افترض الله على عباده يُسأل إن أضاع الصلوات الخمس أو واحدة منها يسأل عن منع الزكاة يسأل عن تعلم علم الدين. الإنسانُ المسلم الفائز الناجِى فِى الآخرة هو المسلم الذِى ءامَنَ بالله ورسوله وعرف الله تعالى كما يليق بالله مِنْ غير أن يشبهه

بشىء من غير أن يعتقد بأن الله تعالى كالإنسان له أجزاء ورأس وصدر ووجه كمعتقد اليهود. اليهود اعتقدت أن الله له رأسٌ وله وجهٌ وقَفًا أما المسلمُ فلا يعتقدُ ذلك، الشخصُ لا يكون مسلمًا حتى ينزه الله تعالى عن شبهِ المخلوقات. الذِى يعتقد فِى الله أن له رأسًا لا يكون مسلمًا ولو حج وصلى وصام وأخذ الطريقة والتزم الأوراد فإنه لا يكون مسلمًا عند الله، كذلك الذِى يعتقد أن الله جسم نورانِىٌّ كالشمس والقمر لا يكون مسلمًا، وكذلك الذِى يعتقد أن الله جالس على العرش فهذا ليس مسلمًا ليس مؤمنًا ليس عارفًا بالله لأنَّ الليل والبياض والسواد والشُّقرة والزُّرقة وغير ذلك من صفات المخلوقين وربنا تبارك وتعالى منزهٌ عن ذلك لأنه تبارك وتعالى لو كان يشبه الشمس ما استطاع أن يخلق الشمس ولو كان يشبه النور ما استطاع أن يخلق هذا النور. النورُ وقتًا يكون فِى هذه الأرض ثم ينطوِى عن هذه الأرض إلى ما بعدها ومن الجهة الأخرى تكون الظلمة وبعد ذلك تذهب ويأتِى النور هذا يرحل من هنا فيأتِى الآخر ثم هذا يرحل من هنا فيأتى فيعقبه النور. هذان مخلوقان. الله تعالى لو كان نورًا لم يستطع أن يخلق هذا النور ولا الشمس والقمر ولا نور النهار ما كان يستطيع أن يخلقها لكنه هو خالقُ كل شىء خالقُ النور فليس نورًا خالقُ الظلمة فليس ظلمة خالقُ الهواء فليس هواءً وخالقُ الريح فلا يكون ريحًا وخالق الروح فليس هو روحًا. النصارى يعتقدون أن الله روحٌ ومَنْ يعتقد أن الله روحٌ وهو

يَدَّعِى الإسلام ويصلّى ويصوم فهذا عند الله كافرٌ لأنه ما عرف الله. الله تعالى خالق النور هو الذِى يُنير السموات والأرض هو خلق النور لم يكن فِى الأزل هذا الضوء ولا الظلمات لم يكن فِى الأزل إلا اللهُ لم يكن فِى الأزل عرش ولا سموات ولا أرض ولا زمان ولا مكان ولم يكن فِى الأزل شَىْءٌ إلا الله ثم خلق المخلوقات خلق الماء والعرش ثم خلق السموات بعد أن خلق اللهُ تعالى الماءَ والعرشَ والقلمَ الأعلى واللوحَ المحفوظ خلق الله تعالى سائرَ خلقه فهو تبارك وتعالى لا يشبه شيئًا من هذه المخلوقات التِى رأيناها والتِى لم نرَها فمن اعتقد فِى الله تعالى أنه كَشَىْءٍ مِنْ هذه الأشياء النورِ والظلمات أو الريح أو الروح أو أنه ذو لونٍ بياضٍ أو سوادٍ أو شقرةٍ أو حمرة فإنه لم يعرف الله ولا يكون مؤمنًا بالله حتى يُغَيّرَ هذا الاعتقاد، بعد أن يغير هذا الاعتقاد إلى الاعتقاد الصحيح بأنّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من الأشياء عندئذ يكون عرف الله ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فإذا قالها مع معرفته بمعنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله دخل الإسلام صار مسلمًا.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

زكاة الفطرة

درس ألقاه المحدثُ الفقيهُ الشيخُ عبد الله بن محمد الهررىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيانِ زكاةِ الفطرة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإنَّ الزكاة موضعها فِى الدين عظيم وإن الله تبارك وتعالى فرض زكاة الفطر من رمضان قبل زكاة الأموال، وهِىَ أى زكاة الفطر فرضٌ على مَنْ وَجَدَ ما يزيد عن حاجاته الأصلية وحاجات من عليه نفقتهم ويدفع صاعًا من قوت بلده أى من غالب قوت بلده فالبلدُ الذِى غالبُ قوته من القمح فصاعٌ من القمح والبلدُ الذِى غالبُ قُوتِهِ التمرُ فصاعٌ من تمرٍ والصاعُ هو مكيالٌ معروفٌ يسع أربعة أمداد والمد هو الحفنة بالكفين بالنسبة للرجل المعتدل الخلقة فهذا القدرُ هو الواجب إخراجه فِى الأصل ثم مَن أراد أن يدفع قيمة هذا الصاع بدل أن يدفع الصاع كان ذلك جائزًا فِى بعض المذاهب ولعل قيمة الصاع اليوم فِى هذه البلاد ليرة ونصف[١].

(١) هذا فِى وقت إلقاء الدرس.

ثم إنما تجب زكاة الفطر عليه إن وجد ما يزيد عن حاجاته الأصلية من قوته وقوت عياله أى أولاده الصغار الذين لم يبلغوا أو مَنْ كان فِى حكم الصغار كالمعتوه والزَّمِن الذِى لا يستطيع العمل وأبويه الفقيرين وزوجته فاضِلًا عن أجرة المسكن وكسوته وكسوة هؤلاء ونفقتِهم ودَينه ولو كان هذا الدين مؤجلًا فمن كان بهذه الصفة يجب عليه أداء زكاة الفطر، والشرطُ أن يكون حيًّا عند غروب شمسِ ءَاخِرِ يوم من رمضان فَمَنْ مات قبل ذلك فلا فطرة عليه ومَن وُلدَ بعد ذلك فليس عليه فطرة ومَن فضل له عما ذُكر أقلُّ من الصاع وجب عليه أن يدفعه ثم يجب أن يكون المدفوع إليه من أهل الزكاة أى مِنَ الذين جعل الله لهم حقًّا فِى الزكاة وهم الفقراء الذين لا يجدون نصف كفايتهم أو نصف حاجاتهم الأصلية والمساكينُ وهم الذين يجدون النصف ولا يجدون تمام الكفاية والغارمون جمع غارم أى مَنْ غَلَبَهُ الدَّين وهؤلاء الثلاثة هم أكثر أهل الزكاة المستحقين وجودًا فِى هذا الزمن فإنَّ المؤلَّفة وهم صنف من أصناف المستحقين للزكاة كالمعدومين فِى هذا العصر وكذلك العاملون لا يوجدون بالنسبة لأكثر البلاد الإسلامية إنما يوجد العاملون فِى البلاد التِى يحكمها سلطان مسلم يبعث جباة الزكاة فِى البلاد ليجمعوا الزكاة من أهل الأموال هناك يوجد الصنف الذِى سماه الله تبارك وتعالى فِى القرءان الكريم العاملين عليها أى على الزكاة.

ثم إنه يجوز دفع زكاة واحد لواحد على خلاف ظاهر نص الشافعىّ رحمه الله تعالى فإنَّ الشافعىّ

رحمه الله تعالى اشترط تعميم الأصناف لكن أصحابه أفتوا بأنه يجوز دفع زكاة شخص واحد لمستحق واحد يجوز دفع واحد لواحد هكذا أفتى أصحاب الشافعىّ وقال بعضهم لو كان الشافعىّ حيًّا لما وَسِعَهُ الآن إلا أنْ يُفْتِىَ بذلك منهم الإمام الجليل العالم النبيل الولىّ الصالح موسى بن عجيل اليمنِىّ فمن أداها على هذه الصفة فقد أسقط الواجب وسلم من الإثم وربح الثواب الجزيل من الله تعالى.

ثم الرجل الذِى لا يستطيع أن يدفع عن زوجته فإن كان يستطيع أن يدفع عن نفسه دفع فإن كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولا عن زوجته فليس عليه شىء وكذا ليس على زوجته شىء ولو كانت هِىَ أىِ الزوجة غنية ليس عليها أن تدفع لأن زكاتها على زوجها لكنه بما أنه غير مستطيع سقط عنه وعنها ليست عليها ولا عليه.

ومَن علم بنفسه مِن مستحقين فدفع إليهم فقد صح أداؤه ومن لم يعلم انتظر حتى يجد مَن يعلم أنه مستحق فإنْ وَكَّلَ شخصًا عارفًا بالمستحقين أمينًا جاز ذلك أيضًا.

أما أولاد الرجل البالغون فإن كانوا يجدون ما يدفعون عن أنفسهم بأن كانت عندهم كِفَايَتُهُمْ وجب عليهم أنْ يزكوا عن أنفسهم وإن كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم فليس على ءَابَائهم أن يدفعوا عنهم مهما كان الأب غنيًّا فلا يجب عليه دفع الزكاة عن أبنائه البالغين إنما الوجوب على الأولاد فإنْ أراد الأب أنْ يدفع عن ابنه البالغ صَحَّ أداء الزكاة عنه بإذنه

يسأل هذا الأب ابنَهُ البالغ هل ترضى أن أدفعَ عنك زكاةَ الفطرة فإذا قال ادفع عنّى يدفع عنه وإلا فلا يدفع عنه لأنه إنْ كان هذا الولد البالغ فقيرًا فليس عليه وإن كان غنيًّا ففطرته على نفسه أما الأب فليس مكلفًا إلا عن أولاده الصغار غير البالغين أو الولد البالغ الذِى هو مجنونٌ معتوهٌ فزكاته على الأبِ، الأبُ مكلفٌ أن يدفع لأنَّ المعتوه مثل الطفل. أما البالغ فلا يصح أن يدفع الأب عنه إلا أنْ يُوَكّله لأنَّ البالغ هو ينوِى عن نفسه. الزكاةُ تحتاج إلى نية قال رسول الله ﷺ **إنما الأعمال بالنيات**(١) اهـ فالبالغ هو ينوِى أما الطفل فينوِى عنه أبوه لأنه ليس مكلفًا، ما دخل فِى حد التكليف فينوِى عنه أبوه ويدفع عنه أبوه من ماله أى مال الصبِىّ إن كان له مال أما هذا البالغُ فهو مثل أبيه هذا مكلفٌ وهذا مكلفٌ فالزكاةُ عبادةٌ مفروضة لا تصح إلا بنية فإذا وَكَّلَ أباه صحّ ذلك.

ولا يجب إخبار ءَاخِذِ الزكاة بأنها زكاةٌ بل إذا سكت فذلك أطيب لخاطر المستحق لذلك أحسنُ إذا سكت ولم يقل له هذا زكاتِى لأنه إذا قال له هذا زكاتِى قد يستحِى.

والولد البالغ العاقل الصحيح الجسم هذا ليس عليه زكاة إن كان فقيرًا وليس على أبيه أيضًا أن يدفع زكاة الفطر عنه إنما إذا تبرع عنه أبوه بعد استئذانه كان فِى ذلك له ثواب ولابنه الذِى يدفع عنه ثواب.

---

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب كيف كان بدء الوَحْى.

والأب الفقير لا يأخذ زكاة ابنه ولا زكاة غير ابنه لأنه مكفِى بنفقة ابنه. أليس ابنُهُ ملزمًا شرعًا بأن ينفق على أبيه. الابن هو مكلف بأن يتحمل نفقة أبيه فليس للأب أن يأخذ الزكاة من ابنه ولا من غير ابنه لأنه مكفِى بنفقة ابنه والأم كذلك.

هذه الزكاة زكاةُ الفطرة تتبع النفقة والولد الطفل الذِى لم يبلغ نفقته على أبيه.

ثم الأخ إذا أعطى زكاة الفطرة لأخيه الفقير يكون أحسنَ من أن يعطيَها لأجنبىّ وكذلك الأخت. إذا أعطاها القريبُ القريبَ الفقير غير أمه وأبيه وجده يكون أحسن.

من عُلم أنه هاشمِىّ أو مطلبِىّ لا يجوز دفع الزكاة إليه لأن الزكاة حرمها رسول الله على أهل بيته.

سئل الشيخ هل اليتيم يستحق

قال الشيخ واليتيم الفقير الذِى لم يترك له أبوه مالًا يكفيه يستحق الزكاة لكن لا تُسَلَّمُ ليد هذا اليتيم الذِى هو دون البلوغ بل تسلم إلى يد قيّمه الذِى يشرف على أمور معيشته.

دار الأيتام لو كان المشرف عليها مسلمًا فقيهًا يعرف أحكام الزكاة وأمينًا كان يجوز عند ذلك تسليم الزكاة للأيتام إلى يده أما إذا كان غير أمين أو كان جاهلًا بأحكام الشريعة فلا يجوز. وسبحان الله والحمد لله ربّ العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحذر من السحر والسحرة

درس ألقاه المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان الحذر من السحر والسحرة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمّد أشرف المرسلين.

أما بعد فإنَّ من الكبائر السحرَ وهو من السبع الموبقات التِى ذكرها رسول الله ﷺ فِى حديثه، وهو مزاولة أفعال وأقوال خبيثة، وهو أنواع منه ما يجرُّ إلى عمل كفرِىّ ومنه ما يجرُّ إلى كفر قولىّ فالأول كالسجود للشمس أو السجود لإبليس ومنه ما يجرُّ إلى تعظيم الشيطان بغير ذلك، فما يجرُّ إلى الكفر ولا يحصل إلا بالكفر فهو كفر وما لا يُحوجُ إلى الكفر فهو كبيرة. وقد أطلق بعض العلماء تحريم تَعلّمِهِ، وفصَّل بعضٌ فِى ذلك، فقال بعضٌ إن كان تَعَلّمُهُ وتعليمُه لا يُحوِجُ إلى الكفر ولا إلى تعاطى مُحَرَّم جاز ذلك بشرط أنْ لا يكون القصدُ تطبيقَهُ بالعمل وإلا فتحريمه متفق عليه ولو كان للمحبة أى حتى يحب هذا هذه أو هذه هذا، أو للتبغيض حتى يكره هذا هذه أو هذه هذا فهو

حرام ومن استحلَّ عمله فقد كَفَرَ.

وأما قول بعض الناس إنَّ رسول الله ﷺ قال تعلموا السحر ولا تعملوا به فهذا كذب على رسول الله.

وكذلك السحر لإمراض الشخص حتى يُجَنَّ أو نحوِ ذلك حرام أيضًا والذِى يَنْفِى وجود السحر فقد كذَّب القرءان، قال الله تعالى فى سورة البقرة ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾(1).

ويُعْلَمُ مِنْ هذه الآية أنَّ هاروت وماروت ملكان أمرهما اللهُ أن ينزلا إلى الأرض ويعلّما الناسَ السحرَ لا ليعملوا به بل ليعرفوا حقيقته، كانا يعلّمان الناسَ السحر مع التحذير، يقولان للناس ﴿نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أى محنة وابتلاء من الله واختبار نعلّمكم ونقول لا تكفروا أى لا تعتبروا السحر حلالًا إنما تتعلَّمون فقط لتفرقوا بين السحر والمعجزة. ثم الناس الذين تعلَّموا منهما بَعْضُهُمْ ما عَمِلَ بهذا السحر الذِى تعلموه وبعض الناس عملوا به وعَصَوْا ربهم.

وكان مِنَ السحر غيرُ هذا الذِى علَّمه هاروت وماروت للبشر. الشياطينُ أى كفار الجن كانت تعمل

(1) سورة البقرة/الآية (١٠٢).

السحر وتعلمه للناس لكن الشياطين كانت تُعَلِّمُ بطريقة الكفر. بعض أنواع السحر الذِى كانت الشياطين تُعَلِّمُهُ البشرَ كان فيه كفرٌ كعبادة الشمس، ومنه ما فيه عبادة إبليس بالسُّجود له، ومنه ما كان فيه غير ذلك من أنواع الكفر حتى إنَّ منه ما تشترط الشياطين على مَنْ تُعَلِّمُهُ لِتُساعِدَه أن يبول الشخص على المصحف لأن الكفر إذا حصل من ابنِ ءادَمَ فهذا عندهم أعظم شَىْءٍ يشتهون هذا اشتهاءً.

ثم مما يحتالون به لترويج عمل السحر أنهم يخلطون بعض الآيات القرءانية بالسحر، يضعون كلامًا خبيثًا فِى الورقة ثم يكتبون قُرْبَهُ بعضَ الآيات فيظن الجاهلون من البشر أنَّ القرءان له دخل فِى السحر فالشياطينُ بذلك تُضِلُّ الناسَ فَتُدْخِلُ بعض الآيات القرءانية فِى السحر لترويجه فمن رأى شيئًا مكتوبًا من السحر وإلى جانبه ءايَاتٌ قرءانيةٌ فَلْيَعْلَمْ أنَّ القرءانَ لا دَخلَ له إنما الشياطينُ أدخلتْ هذا لِتُضِلَّ الناس بأن يظنوا أنَّ القرءان فيه سحر، والقرءان ضدُّ السحر بل بالقرءان يُفَكُّ السِّحْرُ.

سيدُنا سليمانُ عليه السلام كان الكفَّارُ يقولون عنه إنه مَلِكٌ من الملوك وإنه كان يعمل بالسحر وكذبوا، السحر ليس من عمل الأنبياء والأولياء إنما الشياطين كانوا مغتاظين من سيدنا سليمان عليه السلام لأنَّ الله أعطاه سرًّا فكانت الشياطين تطيعه مع كفرهم فكانوا يخدمونه من غير أن يؤمنوا ويعملون له أعمالًا شاقةً

فمن خالفه منهم يُنزل الله تعالى به عذابًا فِى الدنيا ولذلك كانوا مقهورين له فلما مات كتبوا السحر ودفنوه تحت كُرسِيِّهِ ثم قالوا للناس بعد أن ظهرَ عددٌ منهم للناس سليمانُ كان يحكمكم بالسحر احفروا تحت كُرسِيِّهِ فحفروا فوجدوا هذا الكتابَ فَصَدَّقَ قسم منهم أنّ هذا الكتاب لسليمان وضع فيه السحر فكفروا لأن السحر ليس من عمل الأنبياء ولا الأولياء.

والحَذَرَ الحَذَرَ من الذين يقولون لهم فلان روحانيٌّ أو معه جنٌّ رحمانيٌّ احذروهم وحَذِّرُوا الناس منهم، أغلب هؤلاء ولا نقول كلُّهم ضالون مفسدون يوقعون الناس فِى الضلال والكفر لأن الإنسان إذا اعتقد السحر حلالًا وأنه شئ حَسَنٌ يكفر لأنَّ السحر أمر محرَّم من المحرَّمات الكبائر واستحلاله كفر. وقد قال رسول الله ﷺ **ليس منّا مَنْ تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لهُ أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ**[1] اهـ

السحر هو مزاولة أعمال وأقوال خبيثة ومنه ما يكون بالاستعانة بالشياطين ومنه ما يكون بغير ذلك، ولا يجوز مقابلة السحر بالسحر كما يفعل بعض الجهال.

من أعمال السحرة وأقوالهم الخبيثة أنهم يستنجدون بالشياطين ويتكلَّمون بكلامٍ قبيحٍ فيه تعظيم للشيطان ليعينهم على إيذاء الشخص، ومنَ الأفعال الخبيثة التِى يزاولونها أنهم أحيانًا يأخذون دم الحيض لِيَسقُوهُ

(١) رواه الهيثمِىّ فِى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب فِى السحر والكهانة.

الشخص الذِى يريدون ضرره وأحيانًا يستعينون بالشياطين، وأحيانًا يستنجدون بالكواكب، على زعمهم الكواكب لها أرواح تساعدهم وكذلك الشمس، ثم هم أحيانًا يختارون وقتًا مُعَيَّنًا لعمل السحر لأنَّ هذه الأوقات جعل الله سبحانه وتعالى لها خصائص لعمل الخير وعمل الشر.

ومِنْ أنواعِ السحرِ سحرُ التَّسليطِ، يُسَلَّطُ على الشَّخص جِنّىٌّ يُمْرِضُهُ وأحيانًا هذا الجنىُّ يقتله.

ومما ينفع للتّحصين من السحر أن يداوم الشخص كلَّ صباحٍ ومساءٍ على قراءة المعوذات قل أعوذ بربّ الناس وقل أعوذ بربّ الفلق وسورةِ الإخلاص ثلاثًا ثلاثًا.

وحضورُ مجالس السحرة أثناء عملهم ولو من غير أجرةٍ حرام أيضًا.

ولْيُعْلَم أنَّ ما يذكره كثير من المفسرين فِى قصة هاروت وماروت من أن الزُّهرَةَ كانت امرأةً فراوداها عن نفسها فَأَبَتْ إلا أن يُعَلّماها الاسم الأعظم فعلَّماها فَرُفِعَتْ كوكبًا إلى السماء فهو كذب ولعله من وضع الإسرائيليين، وأما قول بعض المفسرين من أهل السنَّة إنَّ هاروت وماروت مستثنيان من عصمة الملائكة وإنهما شربا الخمر ثم وقعا على المرأة التِى فُتنا بها فهذا القول غَلَطٌ لا صحة له.

وكذلك ما رُوِىَ أنهما رأيا امرأةً فَرُكّبَتْ فيهما الشهوة فأرادا الوقوع بها فقالت حتى تشركا فرفضا

فقالت اشربا الخمر فشربا فَسَكِرَا وَقَتَلَا الصبىَّ فهذا كذب، هذا خرافة. وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثامن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسماء الله تعالى

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى مسجد برج أبى حيدر يوم الأحد فِى الثانِى من ربيع الثانِى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للرابع عشر من نيسان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان بعض أسماء الله تعالى وما لا يجوز تسمية الله به. قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحابته وسلم.

أما بعدُ فقد قال الله تعالى فِى سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١) أسماء الله تبارك وتعالى كلُّها حُسْنَى أى كلُّ اسم منها لا يدل على نقص، فلا يجوز تسميةُ الله تعالى ءاه، مَن ذَكَرَ اللهَ تعالى بآه فقد عصى اللهَ كبعض أهل الطُّرُقِ يقولون ءاه اسمٌ مِن أسماء الله ولا يجوز ذلك لأن ءاه لا يَدُلُّ على كمال بل يدلُّ على العجز والضعف وقد قال علماء اللغة إنَّ ءاه كلمةٌ تقال عند الشكاية والتوجع فكيف يذكر الله تعالى بلفظٍ

(١) سورة الأعراف/الآية (١٨٠).

وُضِعَ للشّكايَةِ والتوجع ولم يَرِدْ فِى كتاب الله ولا فِى حديث رسول الله أنَّ ءاه اسمٌ مِن أسماء الله بل ورد فِى حديثٍ موضوعٍ مكذوبٍ على رسول الله أنَّ الأنين اسمٌ مِن أسماء الله. وقد وُضِعَ فِى اللغة للأنين اثنتان وعشرون كلمة من جُملتها ءاه فكيف اختاروا هذه الكلمة من بينها.

وأما قول الله تبارك وتعالى فِى سورة التوبة ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾(١) فمعنى الأواه الرحيم أى أنَّ إبراهيم كان رحيم القلب وكان حليمًا كما وصفه الله.

فهؤلاء الذين يذكرون بآه خالفوا قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢) حيث ذَكَرُوا اللهَ بلفظٍ ليس حَسَنًا فِى حَقّ الله.

وإذا كان اللهُ تعالى لا يُسَمَّى عاقلًا بل يُسَمَّى عالمًا وعليمًا ولا يُسَمَّى سَخِيًّا بل يُسَمَّى كريمًا فكيف يجوز أن يُسمَّى ءاه.

وقد بالَغ بعضُهم أى بعضُ هؤلاء الذين يذكرون بآهٍ بالافتراء على دين الله فقال إنَّ ءاه أسرعُ فُتُوحًا مِن الله وهذا بهتانٌ عظيمٌ هذا مِن شِدَّةِ افترائه على شريعة الله. ما هذا إلا افتراءٌ على الله، لا إله إلا الله. ما أعجبتهم الأسماءُ التسعةُ والتسعونَ حتى قالوا إنَّ ءاه ذِكْرُ القلبِ نعوذ بالله العظيم.

وأنكرَ ذلك أى الذكرَ بآه شيخُ الشاذلية بالمدينة

(١) سورة التوبة/الآية (١١٤).

(٢) سورة الأعراف/الآية (١٨٠).

المنورة الشيخُ ظافِرٌ ردَّ على هؤلاء الشاذلية الذين يذكرون بآه قال هذا ليس مِن أبى الحسن الشاذِلِىّ إنما شاذليةُ فاسٍ أحدثوا ذلك قال هؤلاء هم الذين أحدثوا الذكر بآه ليست مِن أصل الطريقة الشاذلية، شاذليةُ فاسٍ هم الذين أحدثوا الذِّكْرَ بآه أما أبو الحسنِ الشاذِلِىُّ لم يكن يَذْكُرُ بآه. فاسٌ مدينةٌ قريبةٌ مِن مراكش. والحديثُ الذِى يَحْتَجُّ به هؤلاء رواه الرافِعِىُّ فِى تاريخ قَزْوِينَ بإسنادٍ فيه كذّابٌ مِن حديثِ عائشةَ رضى اللهُ عنها أنها قالت دخل رسول الله ﷺ وعندنا رجلٌ مريضٌ يَئِنُّ فقلنا له اسْكُتْ فقال دَعُوهُ يَئِنُّ فإنَّ الأنينَ اسمٌ مِن أسماء الله تعالى، تمسَّكُوا بِهذا الحديثِ الموضوعِ المُفْتَرَى. على أنَّ العلماءَ اختلفوا فِى الأنينِ للمريضِ قال بعضُهم مكروهٌ وقال بعضُهم إنه مباحٌ، اختلفوا فيه بين التكريه والإباحة فكيف يُتَقَرَّبُ إلى الله بذلك فكيف يجوز أنْ يُذْكَرَ اللهُ بلفظٍ اخْتَلَفَ العلماءُ فيه بين الإباحة والتكريه فلو كان اسمًا مِن أسماء الله لرفعوه عن هذا المقام لأنه ظَهَرَ لنا بالاتفاق أنه ليس سُنَّةً فإذا كان للمريض هو أقلُّ مِن السُّنَةِ فكيف ينبغِى أنْ يُذْكَرَ اللهُ به. الذكر بآه لا يَنْزِلُ عن درجةِ الحرامِ. ما الذِى يدعو هؤلاء إلى صرف أنفاسهم بهذا اللفظ ويتركون ما هو أفضلُ الذكرِ وهو لا إله إلا الله التِى سمّاها الله تعالى فِى القرءان الكريم كلمةَ التقوى بقوله فِى سورة الفتح ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(١) وقال فيها رسول الله ﷺ إنها **أفضل**

(١) سورة الفتح/الآية (٢٦).

الحسنات(١) اهـ ثمَّ إنَّ بعض الناس يُسَمُّونَ الله تعالى بلفظٍ لا يجوز تسميتُهُ به وهو المُضِلُّ وذلك حرام ومنهم من يسميه بالمُقِيم ويقصدون بذلك أنه الذِى يُقِيمُ عبادَهُ حيث شاء وذلك أيضًا لا يجوز لأنَّ المُقِيمَ فِى اللغة معناه مَن أقام بمكان فإنه يُقال فلانٌ مُقِيمٌ وفلان مسافر فالمقيم خلافُ المسافر هذا معناه الذِى وُضِعَ له فِى اللغة فلا يُغْتَرَّ بما يُسْمَعُ مِن بعضِ المشايخِ مِن قولهم سبحان المُقيم.

ثم مِن أسماء الله تبارك وتعالى ما هو مدحٌ فِى حَقّهِ تبارك وتعالى وإذا أُطْلِقَ ذلك اللفظُ على غيرِ اللهِ كانَ ذَمًّا كالجبار فإنه مدحٌ فِى حق الله تعالى فإنَّ معناه إذا أُطْلِقَ على الله الذِى يُنْفِذُ على عباده مشيئتَهُ فلا يَخْرُجُ أحدٌ منهم عن مشيئةِ الله وهو ذَمٌّ فِى حَقّ العباد إذا قيل فلانٌ جَبَّارٌ معناه أنه ظَلُومٌ غَشُومٌ وكذلك المتكبرُ فمعناه فِى حقّ الله تعالى الذِى هو أكبرُ قَدْرًا مِن كُلّ كبيرٍ وهو مدحٌ له تبارك وتعالى وإذا أُطْلِقَ على العبد فقيل فلانٌ متكبرٌ كان ذَمًّا ففِى الحقيقة كلُّ اسمٍ مِن أسماء الله تعالى يكونُ إذا أُطْلِقَ على الله بمعنًى غيرِ ما إذا أُطلق على العبد، بيانُ ذلك أنَّ اللطيفَ إذا أُطلق على الله كان معناه الذِى احتجب عن الأوهام فلا تدركه لأنه لا يُشْبِهُ العالم بوجه من الوجوه فكيف تدركه الأوهام وكيف تتصوره القلوب وهو لا شبيهَ له وأما إذا أُطلق اللطيفُ على غير الله تعالى فمعناه ما كان خَفِيفًا يقال

(١) رواه أحمد فى مسنده باب حديث أبى ذرّ الغفارى.

عُودٌ لطيف أى خفيف غيرُ كبيرِ الحجم. وأما النور فقد ورد إطلاقه على الله تعالى اسْمًا ويُفَسَّرُ بالهادِى ويَصِحُ تَفْسِيرُهُ بالمُنِيرِ لأنه أنار قلوبَ عباده المؤمنين بالإيمان قال تعالى فِى سورة النُّور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1] أى هادِى أهلِ السموات والأرض كذلك فَسَّرَ الإمامُ عبدُ الله بنُ عباسٍ تَرْجُمانُ القراءان رَضِىَ الله عنهما فأما تفسيره بالنور الذِى هو الضوء فلا يجوز لأن الضوء مخلوق كما أن الظلمات مخلوقة قال الله تعالى فِى سورة الأنعام ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[2] أى خلق الظلمات والنور فأفهمنا الله تعالى أن النور مخلوق كما أن الظلمات مخلوقة له فمن اعتقد أن الله تعالى نور بهذا المعنى فقد جهل خالقه ولم يؤمن به.

وأما ما ورد من قول الله تعالى فِى سورة الزمر ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3] فِى صفة يوم القيامة فالمعنى أن الله تعالى يُشْرِقُ الأرضَ أى يُضِيئها ويُنِيرُها يوم القيامة بنورٍ مخلوقٍ لله تعالى ليس كما يَتَوَهَّمُ بعضُ الناس أن الله تعالى يَشِعُّ منه ضوءٌ كما يَشِعُّ مِن الشمس.

وكذلك ما ورد فِى حديث **أعوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الذِى أَشْرَقَتْ له السمواتُ والأرضُ**[4] اهـ فليس المعنى أنَّ

(١) سورة النور/الآية (٣٥).
(٢) سورة الأنعام/الآية (١).
(٣) سورة الزمر/الآية (٦٩).
(٤) رواه الطبرانىّ فى المعجم الكبير باب مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَر.

اللهَ جسمٌ نُورَانِىٌّ يَشِعُّ منه أشعةٌ نورانية تُضِيءُ منه السمواتُ والأرضُ كما يَزْعُمُ بعضُ الناسِ حين يسمعون هذا اللفظَ، كثيرٌ مِن الناسِ لما يَسْمَعُونَ أعوذُ بنورِ وَجْهِكَ الذِى أَشْرَقَتْ له السمواتُ والأرضُ يَظُنُّونَ ويتصورون ويتوهمون أن الله تعالى جسمٌ نُورانِىٌّ تَشِعُّ منه أشعةٌ نورانيةٌ فهذا جهلٌ وضلالٌ وإنما المعنى نورُ طاعتِكَ أى نورُ طاعةِ الله تعالى لأن هذه الطاعاتِ لها أنوارٌ فِى العرشِ وغيرِه لها أنوارٌ والوجْهُ يُطلق على الطاعة كما يقالُ عَمِلْتُ هذا لِوَجْهِ الله أى لطاعة الله والقربة إليه. وهذا الذِى أراده بعض المشايخ فِى هذه الصيغة المشهورة فِى الصلاة على النبىّ اللهم إنّى أسألك بنورِ وجهِ اللهِ العظيم الذِى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم أنْ تُصَلّىَ على سيدنا ومولانا ذِى القوة العظيم، يُسمونها الصلاةَ العَظِيمِيَّةَ، عُرِفَتْ بالصلاة العَظِيمِيَّةِ، ومعنى ذلك نورُ طاعةِ اللهِ الذِى ملأَ نواحِىَ العرشِ.

وجاء فِى حديث المعراج من طريق أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله هل رأيتَ رَبَّكَ قال **نورٌ أَنَّى أَرَاهُ** اهـ[1] فالمعنى مَنَعَنِى وشَغَلَنِى نورٌ أى شَغَلَ بَصَرِى نورٌ مخلوقٌ لله تعالى فكيف أراه أىْ إنّى لم أَرَهُ بِعَيْنِى فقد نَفَى رسولُ الله ﷺ رؤيته لربه بعينه وهذا هو الحقُّ الذِى لا مَحِيدَ عنه ولم يَنْفِ رسول الله ﷺ رؤيتَهُ بفؤاده أىْ بقلبه فيجب علينا الإيمانُ بأنَّ الله

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب فِى قوله عليه السلام نور أنى أراه.

تبارك تعالى لا يراه العبادُ بأبصارهم فِى الدنيا وإنما يراه المؤمنون بأبصارهم فِى الآخرة فقط وذلك لأن هذه الأَعْيُنَ كتبَ اللهُ عليها الفناء فلا ترى الحَىَّ الباقِىَ الذِى لا شبيه له. ومَن ادَّعى من المنتسبين إلى الصوفية ذلك فقد شذ فقد اتفق أئمة الصوفية على أن الله تعالى لا يُرَى فِى الدنيا ومَن ادعى مِن المنتسبين إليهم ذلك فقد شَذَّ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس التاسع



الاجتهاد والتقليد

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان الاجتهاد والتقليد. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد فإن الاجتهاد هو استخراج الأحكام التى لم يرد فيها نصٌّ صريح لا يحتمل إلا معنى واحدًا فالمجتهد مَنْ له أهليةُ ذلك بأن يكون حافظًا لآيات الأحكام وأحاديث الأحكام مع معرفة أسانيدها ومعرفة رجال الإسناد ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد ومع إتقان اللغة العربية بحيث إنه يحفظ مدلولات ألفاظ النصوص على حسب اللغة التِى نزل بها القرءان ومعرفة ما أجمع عليه المجتهدون وما اختلفوا فيه لأنه إذا لم يعلم ذلك لا يؤمن عليه أن يخرق الإجماع أى إجماع من كان قبله.

ويُشترط فوق ذلك شرط وهو ركن عظيم فِى الاجتهاد وهو فقه النفس أى قوة الفهم والإدراك ويشترط فِى المجتهد أيضًا العدالة وهى السلامة من الكبائر ومن المداومة على الصغائر بحيث تغلب على

حسنات الشخص من حيث العدد. وأما المقلد فهو الذِى لم يصل إلى هذه المرتبة.

والدليل على أن المسلمين على هاتين المرتبتين قوله ﷺ **نَضَّرَ اللهُ امرَأً سَمِعَ مَقَالتِى فَوَعَاهَا فَأَدَّاها كما سَمِعَهَا فَرُبَّ مُبَلِّغٍ لا فِقْهَ عِنْدَهُ**(١) اهـ رواه الترمذىّ وابن حبان. الشاهدُ فِى الحديث قوله فرب **مُبَلِّغٍ لا فقه عنده** اهـ وفِى روايةٍ **ورُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامعٍ** اهـ فإنه يفهمنا أن من الناس مَنْ حظّه الرواية فقط وليس عنده مقدرة على فهم ما يتضمنه الحديث من المعانى. وفِى لفظ لهذا الحديث **فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أَفْقَهُ منه** اهـ وهاتان الروايتان فِى الترمذى وابن حبان.

وهذا المجتهد هو مَوْرِدُ قوله ﷺ **إذا اجْتَهَدَ الحاكِمُ فأصابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وإذا اجْتَهَدَ فَأَخْطأَ فَلَهُ أَجْرٌ**(٢) رواه البخاريُّ، وإنما خَصَّ رسولُ الله ﷺ فِى هذا الحديث الحاكمَ بالذّكْرِ لأنه أحوج إلى الاجتهاد مِنْ غيره فقد مضى مجتهدون فِى السلف مع كونهم حاكمين كالخلفاء الستة أبى بكر وعمر وعثمان وعلِىّ والحسن بن علِىّ وعمر بن عبد العزيز.

فيكون معنى حديثِ رسولِ الله ﷺ دعاءً لهؤلاء الذين يسمعون الحديثَ مِنْ رسولِ الله ثم يحفظونه

(١) رواه الترمذىّ فى سننه بَابُ فَضْل نَشْرِ الْعِلْم، ورواه ابن حبان فى صحيحه باب ذِكْر وَصْفِ الْغِنَى الذِى وَصَفْنَاهُ قَبْلُ.

(٢) رواه البخارىّ فى صحيحه باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

فَيَرْوُونَهُ لغيرهم مِنْ غير أن يزيدوا فيه أو يُحَرّفُوهُ بِنَضْرَةِ وجوههم يوم القيامة، ثم بَيَّنَ أنَّ أكثر هؤلاء لا يستطيعون أن يستخرجوا الأحكام مِنْ حديث رسول الله وفِى لفظٍ لهذا الحديث **فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** معناه رُبَّ حاملِ علم إلى غيره بروايته لحدِيثِى لا يدرك معنَى هذا الحديثً الذِى يحمله حتى يَستنبط منه الأحكام ويَجتهد أى أنَّ الأكثر هذه حَالَتُهُمْ.

فإذا كان أصحابُ رسول الله الذين يستمعون منه الحديث أكثرهم ليس لهم مقدرة على أن يستخرجوا الأحكام من حديثه عليه الصلاة والسلام فما بال مَن بعدهم كأهل عصرنا هذا. فهذا الحديث يقطع الطريق على المُدَّعِينَ للاجتهاد من غير أن يكونوا مستأهلين ويكشف أنهم تائهون ليسوا على الاستقامة.

وقد عَدَّ بعض علماء الحديث الذين أَلَّفُوا فِى كتب مصطلح الحديث المُفْتِينَ فِى الصحابة أقلَّ من عشرة وبعضهم عَدَّ نحوَ مِائَتَيْنِ منهم بلغ درجة الاجتهاد فإذا كان الأمر فِى الصحابة هكذا فَمِنْ أين يَصِحُّ لكل مسلم يستطيع أن يقرأ القرءان ويطالعَ فِى بعض الكتب أن يقول أولئك رجالٌ ونحن رجالٌ فليس علينا أنْ نُقَلّدَهُمْ. وقد ثبت أنَّ أكثر السلف كانوا غير مجتهدين بل كانوا مقلدين للمجتهدين فيهم.

وفِى صحيح البخارىّ أنَّ رجلًا كان أجيرًا لرجل فزنى بامرأته فسأل أبوه فقيل له إنَّ على ابنك مائةَ شاة وأَمَةً ثم سأل أهل العلم فقالوا له إنَّ على ابنك جلدَ مائةٍ وتغريبَ

عام. وجاء إلى الرسول ﷺ مع زوج المرأة فقال يا رسول الله إنَّ ابنِى هذا كان عسيفًا أى أجيرًا على هذا وزنى بامرأته فقيل لِى إنَّما على ابنك جلدُ مِائَةٍ وتغريبُ عام فقال رسول الله ﷺ **المائةُ شاةٍ والوليدةُ رَدٌّ عليه وإنَّ على ابْنِكَ جَلْدَ مِائَةٍ وتغريبَ عامٍ**(١) اهـ

فهذا الرجل مع كونه مِنَ الصحابة سأل أناسًا من الصحابة فأخطأوا الصوابَ ثم أفتاه الرسول ﷺ بما يوافق ما قاله أولئك العلماء، فإذا كان الرسول ﷺ أفهمنا أنَّ بعضَ مَنْ كانوا يسمعون منه الحديث ليس لهم فقه أى مقدرة على استخراج الأحكام من حديثه وإنما حظهم أن يرووا عنه ما سمعوه مع كونهم يفهمون اللغة العربية الفصحى فما بالُ هؤلاء الغوغاءِ الذين يتجرؤون على قول أولئك رجالٌ ونحن رجالٌ يعنون أنَّ المجتهدين كالأئمة الأربعة رجالٌ وهم رجالٌ فلهم أنْ يجتهدوا مثلهم.

ثم هناك حديثٌ ءَاخَرُ يوضح هذا المعنى رواه أبو داود وغيره أنَّ رجلًا كان فِى سفر فأجنب فِى ليلة باردة وكانت برأسه شَجَّةٌ فقال لرفقائه أنا أصابتنِى جنابة وبرأسِى شجةٌ فقالوا له اغْتَسِلْ فاغْتَسَلَ فمات لأنَّ الماء فِى تلك الليلة التِى كانت شديدة البرد لما دخل فِى شَجَّتِهِ أودى به أى أهلكه فمات فأخبر رسول الله ﷺ

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ.

فقال **قتَلوُهُ قَتَلَهُمُ اللهُ هَلَّا سَأَلُوا إِذْ جَهِلُوا**(١) اهـ المعنى هؤلاء ليسوا أهلًا للفتوى لماذا لم يسألوا مَنْ هم أهلٌ للفتوى فَتَوَلَّوُا الفتوى بأنفسهم، مِنْ غضبه عليهم قال **قتلهم الله** اهـ هؤلاء كانوا من الصحابة، ولسانُهُمْ عَرَبِيٌّ لُغَتُهُمْ لغةُ القرءان لغةُ الحديث، مع هذا ما كانوا وصلوا إلى حَدّ الاجتهاد أيِ الاجتهاد الصحيح بل أَفْتَوْا مِنْ غير أن يكونوا مجتهدين فقال الرسول ﷺ **هَلَّا سألوا إذْ جَهِلُوا** اهـ معناه ما كان لهم حقٌّ أن يُفْتُوا بل كان حقهم أن يسألوا غَيْرَهُمْ ممن هم مِنْ أهل الفتوى أى مِنْ أهل الاجتهاد، هذا الحديث أيضًا دليل على أنه لا يصلح لكل إنسان أن يكون مجتهدًا كما يزعم بعض أهل هذا العصر، يكتفون بأفكارهم لا هم مجتهدون ولا يتبعون المجتهدين الذين رزقهم الله ذلك الفهمَ والحفظَ كالأئمة الأربعة وغيرهم. لكن الأئمة الأربعة مذاهبهم مدوّنة، تلاميذهم سجلوا فتاويهم واجتهاداتهم، أما المجتهدون الآخرون فِى ذلك الزمن وفيما قبل ذلك ما دُوِّنَتْ مذاهبهم بل انقرضتْ، أتباعهم الذين كانوا يأخذون باجتهادهم انقرضوا، كان عددٌ كثيرٌ مِن المجتهدين بعضُهُمْ مِنَ الصحابة وبعضُهُمْ مِنَ التابعين وبعضُهُمْ مِنْ أتباع التابعين وبعضُهُمْ مِنْ تَبَعِ الأتباع كان عدد كثير من المجتهدين فِى هذه العصور لكن مذاهبهم انقرضت كان مذهبهم معمولًا به فِى

(١) رواه أبو داود فى سننه باب المجروح يتيمم، والبيهقىّ فى السنن الكبرى باب المسح على العصائب والجبائر.

بعض البلاد نحو مِائَتَىْ سنة، الإمام الأوزاعىُّ كان أتباعه يوجدون فِى بَرّ الشام والمغرب نحو مائتى سنة ثم هؤلاء تحولوا إلى الشافعية والحنفية والمالكية فانقرض مذهب الأوزاعىّ أى لم يبقَ أحد يحفظه ولا مؤلفاته بقيت بين أيدى الناس بل تلفت وكذلك مجتهدون غيره.

ثم مع هذا كله نحن لا نقول باب الاجتهاد مغلقٌ مسدود على كل إنسان بل نقول إنه صعب جدًّا. نقول يجوز أن يكون فِى هذا العصر مجتهدٌ رزقه الله مِنَ الفهم والحفظ كما رزق أولئك لكن الذِى هو أهل لهذا يرى أنه ليس ضروريًّا أن يُظْهِرَ نَفْسَهُ ويقولَ يا أيها الناس أنا مجتهد كما كان أولئك الأئمة مجتهدين فخذوا بمذهبِى واتبعونِى، لا يَرَى ذلك أمرًا ضروريًّا يقول ما عليه الناس من اتباع مذاهب الأئمة المجتهدين الأربعة يكفيهم ليس ضروريًّا أن أظهر نفسِى وأقولَ للناس يا أيها الناس أنا فِى هذا العصر رَزَقَنِى اللهُ تعالى درجةَ الاجتهادِ فاتبعونِى بدل أن تتبعوا الشافعىَّ أو مالكًا أو أبا حنيفة أو أحمد بن حنبل لا يرى ذلك من الضرورىّ بل يسكت لأنه يرى أنَّ ما هم عليه مِن اتباع المذاهب الأربعة حقٌّ.

والدليلُ على أنَّ باب الاجتهاد مفتوح لمن هو أهلٌ لذلك ما قاله الإمامُ علىُّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنه لِكُمَيْل بن زياد **لن تَخْلُوَ الأرضُ مِن قائمٍ لله بِحُجَّةٍ**[1] اهـ رواه

(١) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء باب وصية علىّ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ.

أبو نعيم والخطيب البغدادىُّ وغيرُهما.

ثم الاجتهاد يكون فِى الأحكام ليس فِى أصول العقيدة، أصولُ العقيدة ليس فيها اجتهادٌ بل اتباع ما كان عليه الرسول مما تلقاه الصحابة عنه ثم التابعون الذين لم يَلْقَوْا رسولَ الله واتبعوا الصحابة أى فِى أصول العقيدة تلك[1] وهكذا تسلسل إلى عصرنا هذا. عند جمهور الأمة فِى الاعتقاد وفِى أصول العقيدة لا اختلاف، لذلك الصحابةُ لم يختلفوا فِى أصول العقيدة أى فِى ما يتعلق بمعرفة الله والأمور الاعتقادية التِى تحصل فِى الآخرة كالإيمان بوجود الجنة ووجود جهنمَ والحساب والميزان ورؤية الله للمؤمنين بأبصارهم من غير أن يشبه شيئًا من الأشياء وأن الله خالق كل شىء من الأجسام وأعمال العباد الظاهرة والقلبية أى أن ذلك كله الله خالقه لا خالق للأجسام ولا للحركات والسكنات وتقلب القلوب إلا الله. فِى هذا لم يختلف الصحابة، وكذلك جمهور الأمة على هذه العقيدة.

أما الاختلاف فِى الفروع أىْ فروع الأحكام فقد حصل من أصحاب رسول الله ﷺ. هناك مسئلة لم تحدث فِى زمن الرسول ﷺ أىْ لا ذكرت فِى القرءان ولا الرسول ذكرها وهى أن الرجل إذا مات وترك جَدًّا وإخوةً فاجتهد أصحاب رسول الله فكان اجتهادُ بَعْضِهِمْ أَدَّاهُ إلى أنَّ الجد يرث مع الأخوة أىْ يتشارك الجَدُّ مع الإخوة فيأخذ الجدُّ حصته مِن مالِ ابنِ ابنِهِ

(١) وهذه الأصول تشهد لها كُلّها الأدلةُ العقلية.

وإخوةُ الميت يأخذون حصتهم، واجتهد ءاخَرُونَ من الصحابة فأداهم اجتهادهم إلى أنَّ الجد مثل الأب فلذلك هو يرث أىْ الجدُّ فقط يأخذ المالَ والإخوةُ لا يأخذون شيئًا. مثل هذا الاختلاف فِى الأحكام ليس فيه ضرر إذا كان مِمَّنْ هو أهلٌ للاجتهاد لأنَّ الذين قالوا الجَدُّ هو وَحْدَهُ يأخذ الميراث لأنه مثل الأب هم سيدُنا أبو بكر وبعضٌ مِنَ الصحابة وافقوه، والذين قالوا الإخوةُ والجَدُّ يشتركون فِى الميراث كذلك من أكابر الصحابة مثل سيدنا علىّ وزيد بن ثابت. لا هؤلاء عابوا على هؤلاء ولا هؤلاء عابوا على هؤلاء اجْتِهادَهُمْ فالمذاهبُ الأربعة هذا شأنهم، بعضهم اجتهد فوافق اجتهادُهُ اجتهادَ أبِى بكر وبعضهم اجتهد فوافق اجتهادُهُ اجتهادَ سيدنا عَلِىّ فلا بأس على هؤلاء ولا على هؤلاء.

فينبغِى لأهلِ كُلّ بلدٍ أن لا يخرجوا عن المذاهب المعتبرة بدعوى الاجتهاد لأنفسهم أو لأناس شَذُّوا وتَصَدَّرُوا هذا المنصبَ منصبَ الاجتهاد وليسوا بأهل بل هم من أبعد الناس عن هذا المنصب.

فالنصيحةُ للجميع أن لا يلتفتوا لهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم مجتهدين وهم ليسوا من أهل الاجتهاد.

وكم من المُحدّثين حفظوا من متون أحاديث رسول الله عشراتِ الألوف ومِنَ الأسانيدِ ما يزيد على مِائَةِ ألفٍ يحفظون ذلك عن ظهر قلبٍ مِنْ غير مراجعة لِما تَلَقَّوْهُ من أمثالهم لم يَدَّعُوا الاجتهاد بل كان قسمٌ منهم

مالكيين وقسم منهم شافعيين كالحافظ ابن حجر الذِى قيل عنه أمير المؤمنين فِى الحديث من كثرة محفوظاته لأحاديثِ رسول الله ورواةِ أحاديث رسول الله، حتى هذا كان شافعيًّا كان قاضيًا على مذهب الشافعىّ، وكذلك محدثون كانوا يحفظون عشراتِ ألوف الرواة مِنَ الصحابة، كان يعرف أحدهم أن أبا هريرة وحده كان له ثَمَانِمِائَةِ راوٍ أىِ الذين سمعوا منه الحديثَ عددهم ثمانِمِائة وأنَّ عدد الذين أخذوا عن الإمام عَلِىّ كذا وكذا وأن عدد الذين أخذوا عن أبِى بكر كذا وكذا مع حفظهم لهذا عن ظهر قلب ومع ذلك ما ادَّعَوُا الاجتهادَ كان هذا شافعيًّا أو مالكيًّا أو حنفيًّا أو حنبليًّا فكيف بهؤلاء الذين تصدَّرُوا اليومَ منصبَ الاجتهاد بغير أهلية، لا يحفظ أحدُهم عشرة أحاديث بأسانيدها من أنفسهم إلى رسول الله، كيف يَصِحُّ لهم دعوى الاجتهاد وكيف يصح للناس أن يتبعوا هؤلاء ويتركوا المذاهب المعتبرة.

ثم وظيفةُ المجتهدِ التِى هِىَ خاصةٌ له القياسُ أىْ أنْ يعتبر ما لم يَرِدْ به نَصٌّ بما ورد فيه نَصٌّ لشبهٍ بينهما. فالحذرَ الحذرَ مِنَ الذين يحثون أتباعهم على الاجتهاد مع كونهم وكون متبوعيهم بعيدين عن هذه المرتبة.

فهؤلاء يُخَرّبُونَ ويَدْعُونَ أتباعهم إلى التخريب فِى أمور الدين، وشبيهٌ بهؤلاء أناسٌ تَعَوَّدُوا فِى مجالسهم أن يوزعوا على الحاضرين تفسير ءايَةٍ أو حديثٍ مع أنه لم يسبق لهم تَلَقّ معتبر من أفواه العلماء فهؤلاء المُدَّعُونَ شَذُّوا عن علماء الأصول لأن علماء الأصول

قالوا القياسُ وظيفةُ المجتهِدِ وخالفوا علماء الحديث أيضًا، فالنصيحةُ عدمُ الالتفاتِ إلى كلام هؤلاء وعدم الخروج عن المذاهب المعتبرة. فَمِمَّنْ ادَّعَى منصب الاجتهاد فَشَوَّشَ على المسلمين فِى العقيدة والأحكام رجلٌ ظهر فِى أواخر القرن السابع الهجرى يقال له أحمد بن تيمية أفتى فتاوى مخالفةً للشريعة الإسلامية ضد ما كان عليه علماء الإسلام قبله بلغت ستين مسئلة كما قال الحافظ ولِىُّ الدينِ العراقىُّ، ومن جملتها قوله الذِى يزور قبرَ نبىّ أو ولِىّ لطلب البركة مِن الله بزيارته لهذا النبىّ أو هذا الولِىّ مشركٌ كافرٌ إلا الذِى يزور للسلام عليه والدعاء له هذا زيارته شرعية. وكذا عمل ابن تيمية بلبلةً فِى مسائل عديدة.

هو كان نشأ فِى دمشق فعلماءُ الشام عملوا له مجلس مناظرة فحاجُّوه غلبوه فِى الحجة ثم أظهر أنه تاب وأمضى بخطه رجعتُ إلى ما عليه الجماعة، ثم تركوه ثم عاد للتشويش ثم أخذوه وهكذا تكرر منه هذا الشذوذُ والتشويشُ على المسلمين، ثم المَلِكُ السلطان محمد بن قلاوون الملك الناصر الذِى كان مقره فِى القاهرة استدعاه وقال وجهوه إلينا من الشام إلى مصر، فَوَجَّهُوهُ إلى هناك ثم أمر الملكُ محمد بن قلاوون العلماءَ بأن ينظروا فِى أمره فاجتمع قاضِى قضاةِ الشافعية وقاضِى قضاةِ المالكية وقاضِى قضاةِ الحنابلة وقاضِى قضاةِ الحنفية هؤلاء الأربعةُ كل واحد منهم قاضِى القضاةِ ليسوا من العلماء الصغار، اجتمعوا فنظروا فِى أمره قالوا هذا الرجلُ ضالٌّ يجب التحذير

منه ويلزم حبسه الحبس الطويل. فردوه إلى الشام فوضع فِى السجن إلى أن مات.

هذا الذِى يقال عنه اليوم عند بعض الناس المخدوعين شيخ الإسلام ابن تيمية.

وهذا شأنه، وهذه القصة أن قضاة المذاهب الأربعة حكموا عليه بالحبس الطويل رواها عِدَّةٌ من المؤرخين منهم تلميذٌ لابن تيمية اسمه صلاح الدين الصفدىُّ له تاريخٌ سماه عيونَ التواريخ يقول فِى ذلك هذا التفصيل أنَّ ابنَ تيمية أخذوه من الشام إلى مصر ثم الملك أصدر المرسوم بحبسه وأصدر مرسومًا يُقرأ على المنابر فِى بر الشام فقرئ على المنابر فِى بر الشام وفِى مصر فِى التحذير منه ومن أتباعه ثم مات ابن تيمية فخفت فتنته ثم بعد ثَلاثِمِائَةِ سنةٍ فِى نجدٍ رجلٌ يقال له محمد ابن عبد الوهاب طالع كتب ابن تيمية فشوّش على المسلمين بتلك الفتاوى التِى كان ابن تيمية أنشأها وهِىَ سارية إلى اليوم فِى نجد الحجاز هؤلاء يُنسبون إلى ذلك الرجل محمد بن عبد الوهاب يُقال لهم الوهابية.

كان لابن عبد الوهاب أخ اسمه الشيخ سليمان، كان مخالفًا لأخيه الذِى شذ عن أئمة المسلمين واتبع ابن تيمية حتى إنه ألّف فِى الرد عليه، وَرَدُّهُ هذا موجودٌ اليوم فِى بَرّ الشام ومصرَ وتركية واسمه فصل الخطاب فِى الرد على محمد بن عبد الوهاب.

هذا الرجل الشاذ شوّش على المسلمين، يكفر

المسلمين بغير حق وأتباعُهُ إلى اليوم يقتدون به فِى التشويش فاحذروهم، يوردون الأحاديث فِى غير مواضعها والآياتِ القرءانية فِى غير مواضعها فيوهمون الناس أنَّ كلامَهُمْ صحيحٌ موافق للقرءان والحديث فاحذروهم كلَّ الحذر هؤلاء مفتونون ومَن اتبعهم فهو مفتونٌ تائِهٌ عن الحقّ زائغٌ ضالٌّ وكذلك كل من شذ عن أئمة الهدى وأئمة الاجتهاد فَحَلَّلَ وَحَرَّمَ على خلاف ما كان عليه علماء الإسلام فِى السلف والخلف. علماء الإسلام كلهم من الصحابة إلى ذلك العصر الذِى ظهر فيه ابن تيمية وإلى اليوم يعتبرون زيارة قبور الأنبياء والأولياء للتبرك جائزًا فقد روى الحافظ الخطيب البغداديُّ بالإسناد أنَّ الشافعيَّ رَضِىَ الله عنه قال إنّى لأتبرك بأبِى حنيفة وأَجِىءُ إلى قبره فِى كل يوم زائرًا فإذا عَرَضَتْ لِى حاجةٌ صَلَّيْتُ ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألتُ الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عنى حتى تُقْضَى (١) اهـ علماء الإسلام ما كان أحدٌ منهم ينكر هذا حتى جاء هذا الرجل ابن تيمية فأنكر وشَوَّشَ على المسلمين وتَشْوِيشُهُ هذا إلى يومنا سائر بين الناس على لسان أتباعه التيميين فاحذروهم كل الحذر وَحَذّرُوا منهم ولا يَكْفِى أن تَحْذَرُوا أنتم لأنفسكم بل واجب عليكم أن تحذّروا غيركم لأنهم مندسُّون بين الناس هنا وهناك فاحذروهم وحذّروا منهم حتى تسلموا وتنطفئ فتنتهم.

(١) تاريخ بغداد (١/٤٤٥).

وبعد هذا البيان الموجز اتضح لذِى عينين بصيرتين مَن هو المجتهد المستأهل ليتبعه غيره، ألهمنا الله السهر على عقيدة أهل السنة والجماعة وجنبنا الله الفتن ما ظهر منها وما بطن. وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس العاشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان أن إنكار صفة القدرة لله تعالى على كل شىء ضلالٌ بالإجماع

درسٌ أملاه المُحَدّثُ الشيخ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهررىُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لسنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وألف ر فِى بيته فِى بيروت وهو فِى بيان وجوب ثبوت صفة القدرة لله تعالى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

وبعدُ فقد أجمع علماء الإسلام أنه يجب على المكلف معرفةُ أن الله تعالى مُتَّصِفٌ بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وقالوا إنَّ مَن أنكر كونَ اللهِ تعالى متصفًا بصفة منها يكونُ غيرَ عارفٍ بالله تعالى وإيمانُهُ غير صحيح.

وما ذكره بعضُ الناس مِن أنَّ طائفة من العلماء ذهبوا إلى أنه لا يكفرُ ولا يفسقُ مسلمٌ فِى جهله بشىء مِن ذلك وأنه يُؤْجَرُ على اجتهاده فِى شىء مِن ذلك فلا يثبت ذلك المذكورُ عن ابنِ أبى لَيْلَى وأبى حنيفةَ والشافعِىّ وسفيانَ وداودَ ولا عن أحد من الصحابة، والعَجَبُ العُجابُ قولُهُ لا خلافَ فِى ذلك أصلًا.

وأما احتجاجُهُ بالرَّجُلِ الذِى أَوْصَى بأَنْ يُحْرَقَ جَسَدُهُ إذا مات ويُذَرَّ رمادُهُ فِى البر والبحر فالحديثُ مُؤَوَّلٌ بأنَّ معنى لَئِنْ قدر اللهُ علَىَّ لَيُعَذِّبَنّى عذابًا ما عَذَّبَهُ أحدًا، أنه بمعنى التضييق لا بمعنى الشك فِى قدرة الله، فالرجلُ لم يكن شاكًّا فِى قدرة الله على كل شىء إنما قصدُهُ أنه إنْ عَذَّبَهُ اللهُ فِى قبره فإنَّ عذابَهُ شديدٌ. كان مسلمًا وكان نبّاشَ قُبورٍ يأخذُ الأكفان ويبيعُها لذلك خاف عند موته خوفًا شديدًا كان فِى حالةٍ كحالةِ الجُنونِ مِن شِدَّةِ الخوفِ فقال ما قال وهو لا يعقل.

وكيف يُعذر مَن يشك فِى قدرة الله عليه أو على إنسان غيره.

ولا يستطيع هذا الزائغ أنْ يأتِىَ بنصّ ثابتٍ عن واحدٍ مِن هؤلاءِ الذين يَذْكُرُهُمْ. أما ابن حزم فيحتمل أن يقول بذلك لأن ابن حزم ليس فِى عِداد الأئمة المجتهدين فكيف يُعَدُّ مجتهدًا مَن فَرقَ فِى البول بين أن يبولَ الشخصُ فِى الماء وبين ما إذا كان فِى وعاء ثم صَبَّ هذا البولَ فِى الماء بأن الأول ينجّس الماءَ والثانى لا ينجّس فهل لهذا اعتبار فِى معنى الاجتهاد.

وليس التأويلُ المذكورُ باطلًا كما زَعَمَ هذا الزائغُ بل له وجهٌ صحيحٌ. ولمزيد إيضاحِ المسألةِ ننقل روايةَ البخارِىّ مِن طريق أبِى هريرة عَنِ النبىّ ﷺ **قال كان رَجُلٌ يُسْرِفُ على نَفْسِهِ فلمّا حَضَرَهُ الموتُ قال لِبَنِيهِ إذا أنا مِتُّ فأحرقونِى ثم اطحنونِى ثم ذُرُّونِى فوالله لئن**

قدر الله علَىّ ليعذبنِّى عذابًا ما عذّبه أحدًا. فلما مات فُعل به ذلك فأمر اللهُ الأرض فقال اجْمَعِى ما فيك منه فَفَعلَتْ فإذا هو قائم فقال ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ قال يا ربّ خَشْيَتُكَ فغفر له[١] اهـ ثم نتبعه بكلام الشارح الحافظ ابن حجر العسقلانِىّ قال ما نصه فِى الجزء السادس قولُهُ لئن قدر الله علىَّ فِى رواية الكُشْمَيْهَنِى[٢] لئن قدر علىّ ربّى، قال الخطابىّ قد يُستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فُعل به ذلك لا يُعاد فلا يعذب وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله، وهذا من الخطابِىّ محمول على أنه أراد أنه صدر منه لكونه قريب عهد بالإسلام فلا يمنع ظنه ذلك صحة إسلامه لأن قريب العهد بالإسلام يعذر فِى أشياء يظنها وهى خلاف الشرع كما نص عليه الفقهاء فِى كتاب أحكام المرتد فَظَنُّ قريب العهد بالإسلام أنه إن فُعل به ذلك يسلم من عذاب الله لا يمنع صحة إسلامه لأن هذا ليس جهلًا بأصل العقيدة بل هذا من توابع العقيدة بل العذاب على بعض الجرائم كجريمة نبش القبور التِى كانت جريمة هذا الإنسان إذا ظن الجاهل القريب العهد بالإسلام أنه يسلم من هذه العقوبة إذا فُعل به

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه باب حديث الغار.

(٢) نسبة إلى كشميهن. قال فى تاج العروس بضم الكاف وسكون الشين وفتح الميم وكسرها.

هذا الفعل لا يمنع صحة إسلامه اهـ ثم قال قال ابن قتيبة قد يغلط فِى بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك وردَّه ابنُ الجوزِىّ وقال جحدُ صفة القدرة كُفرٌ اتفاقًا اهـ قال الحافظ وإنما قيل إن معنى قوله لئن قدر الله علَىّ أى ضَيَّقَ وهى كقوله تعالى فِى سورة الطلاق ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[١] أى ضُيّق. وأما قوله لَعَلّى أَضَلُّ اللهَ فمعناه لعلّى أفُوتُهُ، يقال ضَلَّ الشىءَ إذا فات وذهب وهو كقوله تعالى فِى سورة طه ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[٢] ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدِى وأنا ربك، أو يكون قوله لئن قَدَّرَ الله علَىَّ بتشديد الدال أى قدر علَىَّ أن يعذبنى لَيُعَذِبَنّى أو على أنه كان مثبتًا للصانع وكان فِى زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان وأظهر الأقوال أنه قال ذلك فِى حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول ولم يقله قاصدًا لحقيقة معناه بل فِى حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسِى الذِى لا يؤاخذ بما يصدر منه، وأبعد الأقوال قول من قال إنه كان فِى شرعهم جواز المغفرة للكافر انتهى. وأما رواية لعلّى أضل الله فقد فسرها شارح القاموس الزبيدِىُّ بقوله أى أغيب عن عذاب الله.

فكل ما يذكر من التأويل إنما يحتاج إليه على تقدير

(١) سورة الطلاق/الآية (٧).

(٢) سورة طه/الآية (٥٢).

أنه قال ذلك وهو فِى حال التكليف أى العقل والإرادة وإلا فلا حاجة إلى ذلك.

وقد تبين من كلام ابن الجوزِىّ المار أن الشكَّ فِى قدرة الله كفرٌ بالإجماع إن كان من الجاهل أو من غيره فلو كان الجهل فِى ذلك عذرًا يمنع الكفر عن صاحبه لكان الجهل فِى سائر أمور الدين عذرًا يُسقط عن صاحبه العقوبةَ فِى الآخرة ومعنى ذلك أن الجهلَ خيرٌ من العلم وكفَى بذلك خزيًا لقائل هذه المقالة.

وليست هذه المسألة أى قدرةُ الله والجهلُ بها كبعض أمور الدين التِى قد تخفَى على قريبِ عهد بالإسلام أو ناشئٍ بأرض بعيدة عن أهل العلم بأمور الدين وهِى التِى قال الفقهاء يُعذر مَن جهلها فلا يكفر وذكروا لذلك مثالَ إنكار وجوب الصلاة وإنكار حرمة الزنى وأما قدرة الله على كل شىء فمسألتها من أظهر عقائد الإيمان لأنها من خصائص الألوهية كعلمه بكل شىء.

وأما احتجاج هذا الكاتب بقول الحواريين لعيسى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١) فالجواب عنه أمران أحدهما ما قيل إن ذلك صدر منهم قبل أن يثبت يقينهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى فِى سورة المائدة ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١١٢﴾ كما قد حصل لبعض أتباع موسى أن قالوا ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾(٢) وهل يفهم من ذلك أن هؤلاء

(١) سورة المائدة/الآية (١١٢).
(٢) الأعراف/الآية (١٣٨).

حين قالوا تلك الكلمة كانوا مؤمنين معذورين بقولهم هذا؟ والثانى أنَّ معنى يستطيعُ يُجِيبُ أى هل يجيبك ربك يا عيسى إذا طلبت منه ذلك وهذا تفسيرٌ صحيحٌ لغةً كما ذكره صاحب البحر المحيط فِى تفسيره والمفسرُ اللغوِىُّ الراغب الأصبهانِىّ فِى مفرداته ويؤيد هذا قراءةُ الكسائِىّ هل تستطيع رَبَّك أن يُنَزّل علينا مائدة معناه هل تطلبُ لنا مِن ربك أن ينزل لنا مائدةً وهذا الوجه يتعين المصير إليه لما عُلِمَ للحواريين مِن الثناء المشهور المتواتر على الألسنة. قال صاحب البحر فِى تفسيره قال المفسرون والحواريون وهم خواص عيسى وكانوا مؤمنين ولم يشكُّوا فِى قدرة الله تعالى على ذلك، قال ابن الأنبارِىّ وهو أحد أئمة اللغة لا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكوا فِى قدرة الله وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معِى وهو يعلم أنه مستطيع ولكنه يريد أن يقول له هل يسهل عليك وقال الفارسِىّ معناه هل يَفْعَلُ ذلك بمسألتك إياه وقال الحسن لم يشكُّوا فِى قدرة الله وإنما سألوه سؤالَ مُسْتَخْبِرٍ هل يُنزل أم لا فإن كان يُنزل فاسأله لنا اهـ وقال صاحب البحر أيضًا فِى تفسيره المختصر من البحر المسمى بالنهر المادّ من البحر وقرأ الكسائِىّ هل تستطيع بالتاء وربَّك بالنصب وهو على حذف مضاف تقديره سؤال ربك فالمعنى هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل وهذه القراءة أحسن فِى المحاورة من قراءة الجمهور اهـ فتبين وظهر مما أوردناه أن صاحبَ المقالة أبعدَ فِى النُّجعة من غير

طائل غير أنه يُمَوّهُ على أمثاله ومَن هو أضعف منه فهمًا وأعجبُ ما فِى كلامه أنه لم يكتف بنفيِ الكفر عمن شك فِى قدرة الله بل نفَى عنه التفسيق أيضًا.

ومما يناسبِ ما نحن فيه أنه ورد حديثان صحيحان أحدهما أخرجه البخارِىُّ والثانِى أخرجه أصحاب السنن الأربعة فحديث البخارِىّ هو ما رواه من طريق أبى هريرة رضِىَ الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر**[1] اهـ والحديث الآخر رواه أصحاب السنن الأربعة من طريق بُرَيدةَ رضِى الله عنه أن النبىّ ﷺ قال **القضاةُ ثلاثةٌ قاضٍ فِى الجنة وقاضيان فِى النار فالذِى فِى الجنة قاضٍ قَضَى بحقّ بعلم واللذان فِى النار قاضٍ قَضَى بِجَوْرٍ وقاضٍ قَضَى بجهلٍ** اهـ هذان الحديثان مَوْرِدُهُمَا فِى فروع الشريعة وليس فِى أصول الدين والعقيدة فحديث البخارِىّ هو فِى الحاكم المستوفِى لشروط الاجتهاد كعمر بن عبد العزيز وشُرَيْح والشَّعبِىّ فإنه إن أصاب كان له أجران وإن أخطأ فله أجرٌ وحديثُ بُريدة فِى القاضِى الذِى ليس من أهل الاجتهاد فيقضِى بلا علم وهو جاهل فقال الرسول ﷺ عن هذا

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ.

رواه أبو داود فى سننه بَابٌ فِى الْوُضُوءِ مِنَ النَّوْم، والترمذىُّ فى سننه باب ما جاء فى كراهية الصلاة بعد العصر وبعد الفجر، والنسائىُّ فى سننه باب ذكر ما أعد الله تعالى للحاكم الجاهل، وابن ماجه فى سننه بَابُ الْحَاكِمِ يَجْتَهِدُ فَيُصِيبُ الْحَقَّ.

إنه فِى النار فإذا كان هذا فاسقًا بشهادة حديث رسول الله ﷺ هذا فكيف يقول هذا الكاتب إن الجاهلَ بصفات الله تعالى كالقدرة على كل شىء معذورٌ لا يكفر ولا يفسق، بل هو ومن اتبعه ممن يهدمون دين الله وهم يَدَّعُونَ أنهم دُعاةُ دينِهِ فليعلموا ذلك وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وليعلموا أنَّ نصوص الشرع ءاياتِ القرءان والأحاديثَ الثابتةَ عن رسول الله ﷺ ليس فيها تناقضٌ وإنما داءُ الجهل بمآخذِ الأحكام يَجْعَلُ صاحِبَهُ يَظُنُّ كأنَّ نصًا يُناقض نصًّا.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادى عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وجوب التسليم لحكم الشرع

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ الهررىُّ رحمهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيان وجوب التسليم لحكم الشرع. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد.

أما بعدُ فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾(١) قال تعالى ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ المعنى أنه يجب التسليمُ للشرع فِى كل شَىْءٍ، كلُّ ما جاء به شرعُ اللهِ يجب التسليم له، يجب التسليم لرسول الله فِى كل ما جاء به مِن تحليلٍ أو تحريمٍ أو حكمِ الجناياتِ. لا يصح أن يُؤمَنَ ببعضٍ ويُكْفَرَ ببعضٍ. هذه الآيةُ فيها نَفْىُ الإيمان لمن لا يُسَلِّمُ للشريعة تسليمًا مُطلقًا. يجب تصديقُ رسولِ الله فِى كلّ ما جاء به فِى أصول العقيدة وفِى الأحكام وفِى الحدود فيجب الحذرُ من أناسٍ يَدَّعُونَ أنه ليس لازمًا أى ليس واجبًا تطبيقُ كُلّ أحكامِ

(١) سورة النساء/الآية (٦٥).

الشريعةِ. بعضُ أهلِ العصرِ من الدكاترة الذين يتخرجون باسم جامعة كذا وجامعة كذا يُحرّفون شريعة الله يُسايِرون الكفار فإنهم لمّا يسمعون من الكفار انتقادَ شرع الله فِى بعض أحكام دين الله مثلِ قتل المرتد إذا لم يرجع إلى الإسلام يسايرونهم فِى ذلك. المرتدُّ فِى شرع الله، المسلم الذِى خرج من الإسلام بقولٍ أو فعلٍ يقتضِى الكفرَ يُدْعَى إلى الرجوع إلى الإسلام ثلاثةَ أيامٍ فإن لم يَتُبْ يقتله الخليفةُ أو نائبُه، وواجبٌ عليه.

وقد سبق فِى شرع غيرنا قتلُ المرتد، موسى عليه السلام حكمَ بقتلِ أناسٍ عبدوا العِجلَ مع أنهمْ رَجعُوا حكَمَ بقتلهم أما فِى شرعنا إن رجعَ لا يُقتَل. والكفارُ الذين درسوا بعض المسائل التِى فِى التوراة يعلمون ذلك، يعلمون أن موسى عليه السلام ذهب إلى الطُّورِ بأمر الله تعالى وترك قومَهُ الذين نَجوْا معه مِن فرعون وكانوا سِتَّمائةِ ألفٍ وهؤلاء بنو إسرائيل ذريةُ يعْقوبَ ذريةُ يوسفَ عليه السلام وإخوتِهِ كان بلغ عددُهم نحو سِتّمائةِ ألفٍ فِى نحو أربعمائةِ سنةٍ ومكث سيدنا موسى فِى غيبته أربعين ليلةً ففُتِنَ أكثرُ بَنِى إسرائيلَ برجل صاغ عِجلًا من ذهبٍ، هذا الذهبُ كانوا حملوه من مصر، حُلِيٌّ كانَ عوارِىَ لبعض الكفار وكان فيهم رجل أصله من عُبّاد البقر ظاهرًا مسلم جمعوا هذا الذهب وصاغه هذا الرجل عجلًا صار هذا العجل يَخُورُ ويمشِى فقال لهم هذا الرجلُ هذا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ موسَى فصدّقه كثيرٌ منهم فعبدوا العجل، فلما رجع موسى عَلِمَ بما فعلوا فَحَكَمَ بقتل سبعين ألفًا الذين عبدوا العجل. البحّاثون

من هؤلاء الأوروبيين يعرفون هذا لكن بما أنهم ابتعدوا من شرائع الأنبياء كلَّ البعد ينتقدون حكم المسلمين الذِى هو فِى دين الله الذِى جاء به سيدنا محمد. قَتْلَ المرتد يَعيبون، كذلك يَعيبون قتلَ الزانِى المُحْصَنِ أى الزانِى الذِى كان تزوّج زواجًا شرعِيًّا وقضَى وَطَرَه وهذا أيضًا الزانِى المحصنُ فِى شرع موسى عليه السلام كان يُقتَل، الرجل والمرأة إن كانا محصَنَينِ ثم زنَيا. اليهودُ الذين كانوا فِى زمن الرسول فِى المدينة جاؤوا إلى الرسول فقالوا هذان زَنَيا وهما مُحْصَنانِ فقال لهم **ما تَجِدُونَ فِى التوراةِ** قالوا نَجِدُ الفضيحةَ لهما، قال **ألا تجدون فِى التوراة الرجم** أى القتل رميًا بالحجارة، قالوا لا، قال **ائتوا بالتوراة**، وفِى ذلك الوقت التوراة التِى بأيديهم كان فيها ما هو صحيح لم يُبَدَّل أو كانت كلُّها صحيحةً لكن حكموا بغير ما فيها فجاء شخص من علمائهم فبدأ يقرأُ فِى التوراة ووضع يده على ءاية الرجم وكان هناك يهودِىٌّ أسلمَ اسمه عبدُ الله بن سلام لما رءاه وضع يده على موضع فِى التوراة وصار يقرأ ما قبل الموضع الذِى وضع عليه كفَّه وما بعده قال له ارفع يدك فرفع يده فإذا ءايَةُ الرجم تحت يده أى الآية التِى تَحْكُمُ بأنَّ الزانِىَ المحصن يرجم بالحجارة حتى يموت، ثم طُبّقَ عليهما الرجم هذين اليهوديين اللذين زنَيا(١) اهـ هذا أى حكم الرجم كانت نزلت ءايةٌ فِى

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابُ أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَإِحْصَانِهِمْ إِذَا زَنَوْا وَرُفِعُوا إِلَى الإِمَامِ.

النصّ عليه ثم نُسِخَتْ تلاوتُها، الله نسَخَها تِلاوَةً وأبقَى حُكمَها، الآن لا تُقرأ قرءانًا لكن حكمها باقٍ، من حيث التلاوةُ لا تُقرأ قرءانًا، الآن لا توجد فِى المصحف، الصحابة قرأوها مُدّة من الزمن على أنها قرءان ثم نسخَ اللهُ تعالى تلاوتَها. وهذا عالمُ اليهودِ الذِى وضع يده على ءاية الرجم يسمَّى ابنَ صُورِيا كان من الذين حَرَّفوا حكم التوراة.

صَحَّ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال من جَحَدَ الرجمَ فقد كفر بالرحمن اهـ وفِى لفظٍ مَن كفر بالرجم فقد كفَرَ بالرحمن(١) اهـ هذا إن بلَغَه أن شريعة الله فيها رجم الزانِى المحصن أما من لم يبلُغْه فإن أنكرَ لا يُكَفَّر.

ءايَةُ الرجم التِى كانت فِى القرءان هى الشيخُ والشيخَةُ إذا زَنَيا فارجُمُوهما ألبَتَّة نكالًا مِن الله والله عزيزٌ حكيمٌ(٢) هذه الآية كانت فِى سورة الأحزاب، سورة الأحزاب اليوم ثلاثة وسبعونَ ءايَةً كانت أولَ ما أُنْزِلَتْ طويلةً مثلَ سورة البقرة ثم نَسَخَ الله أكثرَها وأبقَى ثلاثةً وسبعينَ ءايَةً. الشيخُ والشيخَةُ معناه الثَّيّبان أى شخصان تزوجا بالحلال وجامع الذكر منهما زوجته وجامع الأنثى منهما زوجُها أما غيرُ الثَّيِّب فعقابُه جلدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ، الحاكمُ الخليفةُ يَجْلِدُ مائةَ جلدةٍ

(١) رواه ابن حبان فى باب ذكر إخفاء أهل الكتاب ءاية الرجم.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك باب تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الرجلَ والمرأةَ ثم يُغرَّبان أى يُنفَيان سنةً كاملةً يبقيان مَنفِيَّيْنِ، هذا حكم الزانِى البِكر.

منذ ستين سنةً أو أكثرَ فِى مصر بعضُ من يَدَّعِى العلم من الخَوَنَةِ حَرَّفُوا قطعَ يدِ السارق، السارقُ فِى شريعة الله إن سرق ما قيمته ربع دينارٍ ذهبًا تُقطع يده إن سرقه من المكان الذِى يُحفظ فيه عادةً تُقطع يدُه اليُمنى أوّلَ مرّة، هذا ورد فيه ءاية فِى سورة المائدة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾[1] بعضُ الخوَنَة من أهل مصر ممن يدعِى العلم قال وجدنا لهذه الآية حلًّا قال معنى اقطعوا أعطوهم مالًا بالعطاء هذا العطاء يكون قطعًا بدل قطع اليد، قال بدل قطع اليد مشايخنا استنبطوا هذا الحكم اهـ هذا باطل، هذا تحريف للشريعة. السارقُ الذِى سرق ما يساوِى ربعَ دينارٍ ذهبًا مِن مكان يُحفَظ فيه عادةً مِن مكانٍ حِرزٍ لذلك المالِ إن بلغَ أمرُهُ الحاكمَ وجب على الحاكم إذا ثبتت السرقة على الشخص عنده قَطْعُ يَدِهِ مِن مَفْصِلِ الكفّ ثم يُحْسَم يُغْمَس فِى الزيت المُغْلَى، لا يبقى الدم ينزِف.

ثم أيضًا فِى مصر حرّفوا حكم الطلاق منذ ستين سنة أو سبعين سنة. محاكمهم الآن أفسدَتْ حكمَ الطلاق تركوا المذاهب الأربعة وتَبِعوا رجلًا حَرّفَ دين الله اسمه أحمد بن تيمية أخذوا بكلامه وتركوا المذاهب الأربعة. وهذا الرجل كان مُشَوّشًا على المسلمين أُخِذَ

(١) سورة المائدة/الآية (٣٨).

فاجتمعَ عليه القضاةُ وولاةُ الأمور والعلماءُ فِى مصر حكموا عليه بأن يُحبَسَ حبْسًا طويلًا من دون تحديد وذلك فِى أوائل القرن الثامن فقضَى فِى السجن سنتين فمات فأُخرِجَ مَحمولًا. هذا الرجل الخبيث أحمد بن تيمية هو الذِى حَرَّفَ حكمَ الطلاقِ، قال إنَّ الرجل إذا حلف بالطلاق على وجه اليمين تكفِى الكفارةُ. عندهم اليوم إذا قال شخص طلقت زوجتِى ثلاثًا يعتبرونه طلاقًا واحدًا لأنه ليس مُفَرَّقًا إنما يكون الطلاق ثلاثًا عندهم إذا كان مُفَرَّقًا أما إذا جُمِعَت الثلاثُ بلفظٍ واحدٍ لا يعتبرونه طلاقًا ثلاثًا يعتبرونه طلاقًا واحدًا معناه يجوز له أن يرتجعها بقول أرجَعْتُكِ إلى نِكاحِى وهذا من جملة ما أفسده الخَوَنَةُ فِى مصر من أمر الدين. تركوا المذاهب الأربعة لقول هذا الرجلِ الخبيث ابن تيمية ثم بعدما شاع فِى مصر تبعهم أناسٌ من غير أهل مصر. فِى سورية فِى دمشق كان رجل مُسِنٌّ يَتَزَيَّا بزِىّ شيخ كان أهل الشام يقصدونه إذا طلّقوا ثلاثًا معلّقَة يذهبون إليه فيقول هات خمسًا وعشرين ليرة كفّارةً وارجع إلى زوجتك. هذا الرجلُ عُرِف فِى دمشق واشتهر قوله باسم مذهب الكلاب سماه أهل البلد مذهبَ الكلاب ومع ذلك كان الناس الذين ما عندهم تقوَى يذهبون إليه، يقصده بعض الناس الذين ليس لهم عنايةٌ بالدين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثانى عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان معنى قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان معنى قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد فيقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] معنى وَلَذِكْرُ اللهِ أكبرُ ذِكْرُ الله عبدَهُ أكبرُ مِن ذِكْرِ العبدِ ربَّهُ.

ويجوز أنْ يُفَسَّرَ بأنَّ ذِكْرَ اللهِ الذِى فِى الصلاة أفضلُ مِن سائرِ أعمالِها لأنَّ الصلاةَ مؤلَّفةٌ مِن أمرين ذِكْرٌ باللسان وعَمَلٌ بالبدن فأمر الصلاةِ الذِى هو ذِكرٌ باللسان أفضلُ مما سواه مِن أعمالها. مِن جُملة الذِّكْرِ الذِى فِى الصلاة الشهادتان وهما فِى التحيات أليس يُقالُ ءاخِرَ التحيات أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، فهذه الأذكارُ التِى فِى الصلاة بما فيها هاتان الشهادتان أكبرُ مِن سائر أعمالها التِى هِىَ القيامُ والركوعُ والسجودُ لكون الأذكارِ أذكارِ الصلاةِ تَشْتملُ على الشهادتين اللتَيْنِ هما أفضلُ

(١) سورة العنكبوت/الآية (٤٥).

الأعمال وعلى غيرهما. الشهادتان لهما فضلٌ كبيرٌ فَضْلُهُمَا يزيدُ على فضل سائر الأعمال لأنَّ الشهادتين بهما يَدْخُلُ الإنسانُ بالإسلامِ فلو سجد الإنسانُ بنية الدخول فِى الإسلام لا ينفعُهُ هذا السجودُ، ولو ركَعَ ركوعًا بنية الدخول فِى الإسلام لا يَدْخُلُ فِى الإسلام بالركوع، ولو قام ووَضَعَ إحدَى الكَفَّيْنِ على الأُخرى لا يَدْخُلُ فِى الإسلام، إنّما يَدْخُلُ فِى الإسلام بالشهادتين أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، وكذلك مَن كان مسلمًا ثم كفر خَرَجَ بالكُفْرِ فطريقُ العودة إلى الإسلام الشهادتان، مِن غيرِ الشهادتين لو تَصَدَّقَ أعظمَ صدقةٍ لا يَدْخُلُ فِى الإسلام ولو تَخَلَّى عن جميع مالِهِ. الإنسانُ إذا كَفَرَ سَبَّ اللهَ أو سَبَّ رسولَهُ أو سَبَّ القرءانَ أو سَبَّ الملائكةَ أو الأنبياءَ وأرادَ الرجوعَ إلى الإسلام لا يَرْجِعُ إلا بالشهادة أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ مِن غيرِ ذلك لا يَعُودُ إلى الإسلام، فلذلك الذِّكْرُ الذِى فِى الصلاةِ أفضلُ مِن سائرِ أعمالِ الصلاةِ. هذا التفسيرُ الثانِى لقول الله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ليس معنى الآية أنَّ الذِى يَقْعُدُ فيقولُ الله الله خمسةَ ءالافِ مَرَّةٍ عشرةَ ءالافِ مَرَّةٍ أو يَمْدَحُ الرسولَ أو يُنْشِدُ القصائدَ فِى مَدْحِهِ أنَّ ذلك أفضلُ من الصلوات الخمس التِى تبتدئُ بالتكبير وتختم بالتسليم بل الصلواتُ الخمسُ أفضلُ الأعمالِ بعدَ الإيمان بالله ورسوله.

جاء رجلٌ إلى النبىّ ﷺ قال يا رسولَ الله ما أفضلُ

الأعمالِ قال **الصلاةُ** ثم قال الرجلُ ثمَّ ماذا قال **الصلاةُ** ثم ماذا قال **الصلاةُ** ثم قال الرجل المرة الرابعة ثم ماذا قال **الجهادُ فِى سبيل الله**[1] اهـ أما قولُ الله الله الله الله الله بالقلب مع إطباقِ اللسان على الحنك أو يقول نُطْقًا الله الله فهذا ليس أفضلَ الأعمال لأنه لم يُرْوَ أنَّ الرسولَ كان يقول الله الله الله لكنه فِى حَدّ ذاتِهِ فيه ثوابٌ. إذا إنسانٌ قال الله الله الله فِى قلبه له ثوابٌ وبلسانه أيضًا إذا قال له ثوابٌ لكنْ لا يُقال عنه أفضلُ الأعمال.

هِىَ الصلواتُ الخمسُ سُمّيَتْ ذِكْرًا فِى القرءان، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2] ذِكْرُ اللهِ هنا هى الصلاةُ أى مع ما يَتَقَدَّمُها مِن الخُطْبَتَيْنِ لأن الخطبتين فرضٌ الخطبتان اللتان قبل الصلاة يومَ الجمعة فرضٌ الخطبتان ذِكْرُ الله والصلاةُ ذكر اللهِ، اللهُ تبارك وتعالى قال ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هذا دليلٌ على أنَّ الصلاةَ تُسمَّى ذِكْرًا.

بعضُ الناس يُموّهُونَ فيقولون الذّكْرُ وَرَدَ فِى القرءان بثلاثِمائةٍ وزيادةٍ مِن المواضع وأما الصلاةُ فقد ذُكِرَتْ أقلَّ مِن هذا العدد فالذكر أفضلُ مِن الصلاة، هؤلاء دَجَّالُونَ قد خرجوا مِن دين الله. هؤلاء كذَّبوا شريعةَ الله. الذِى يقول إنَّ الذِى يذكرونَهُ هم أفضلُ من

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه فى باب ذكر الخبر الدال على أن الصلاة فريضة.

(٢) سورة الجمعة/الآية (٩).

الصلوات الخمس فقد كَذَّبَ اللهَ ورسولَهُ. هؤلاء يجبُ عليهم أن يَرْجِعُوا عن الكفرِ الذِى كَفَرُوهُ إلى الإسلام وإلا فإنهم يموتون كافرين. مشايخُ الطريقَةِ لا يقولونَ هذا. مشايخُ الطريق المُعْتَمدُونَ الذِى عليهم المُعَوَّلُ لا يقولون هذا إنما بعضُ مَن يَنْتَسِبُ إلى الطَّرِيقَةِ ويُدَجّلُ تَدْجِيلًا هُمُ الذين يقولونَ هذا القولَ لهوًى فِى أنفسهم. الذين يقولون هذا تَعَوَّدوا أن يأخذوا الهدايا مِن مُرِيدِيهِم فلم يَجِدُوا وسيلةً يَجْلِبُونَ بها الناسَ إلى أَخْذِ طريقتِهِم إلا أنْ يَدْعُوهم باسْمِ الذّكْرِ ويَفْتَرُوا على الله بإيرادِ هذه الآيةِ فِى غير موضعها ليقول من يسمعهم مِن الناس الشديدِى الجهلِ إذا كان وِرْدُنَا هذا وهو أنْ نَذْكُرَ اللهَ خمسةَ ءالافِ مرةٍ بقلوبنا نقولُ الله الله أفضلَ من الصلوات الخمس وإذا حافظنا على ذلك وتَصَوَّرْنَا صورةَ الشيخ نكونُ أَخَذْنَا النورَ مِن قَلْبِ الشَّيْخِ الذِى هو يأخذُ النورَ مِن قَلْبِ الرسولِ نكونُ صِرْنَا أفضلَ خَلْقِ اللهِ صِرْنَا أولياءَ الله اهـ هكذا يوهمونهم وليس قَصْدُهُمْ مِن هذا إلا أنْ يَظَلُّوا خاضعين لهم أنْ يَظَلُّوا كثيرين عَدَدًا حتى تَكْثُرَ الهدايا. ليس هَمُّهم فِى الحقيقة تقريبَ الناسِ إلى الله تعالى. لو كان هَمُّهم تقريبَ الناسِ إلى الله كانوا عَلَّمُوهُم الأمورَ على حسب ما جاء مِن الرسول.

رسولُ الله ﷺ قال الذِى ذكرتُ لكم ءانِفًا لما سُئِلَ عن أفضل الأعمال قال الصلاةُ ثلاثَ مراتٍ، وكان الرسول ﷺ إذا جاءه إنسانٌ دخل فِى الإسلام أول ما يدخل فِى الإسلام يُعَلّمُهُ الصلاةَ، يُعَلّمُهُ الصلاةَ قَبْلَ أنْ

يُعَلّمَهُ الزكاةَ قبل أنْ يُعَلّمَهُ الصيامَ قبل أنْ يُعَلّمَهُ الحجَّ، قبل أنْ يُعَلّمَهُ سائرَ الأشياءِ يُعَلّمُهُ الصلواتِ الخمسَ وهذا دليل أيضًا على أنَّ الصلاةَ أمرُها عظيم عند الله، دليلٌ على أنَّ مَوْقِعَ الصلاة من الدين عظيم. فالحذرَ الحذرَ مِن هؤلاء المشايخ الذين يُعَلّمُونَ مُرِيدِيهم هذا الكلامَ الفاسدَ أنّ الذكر الذى هم تَعَوَّدُوهُ أفضلُ مِن الصلوات الخمس، هذا تَدْجِيلٌ وكُفْرٌ والعياذ بالله تعالى.

وليس هذا مِن أصول الطريقةِ. أصولُ الطريقةِ ليس فيها هذا الشىءُ إنما بعضُ المشايخ المُدَّعِينَ الكَذَّابِينَ الذين هَمُّهُمُ المالُ هم الذين يُعَلّمون هذا الكلامَ الفاسدَ لمريديهم لكونِ هؤلاء المريدين لم يتعلَّموا عِلْمَ الدين فَيَسْتَجْلِبُونَ منهم الأموالَ بهذه الطريقة ثم يتبينُ لهم يومَ القيامَةِ أنهم لَيْسُوا على شَىْءٍ. هؤلاء من الذين قال الله فيهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾(١) هذه الآيةُ تَشْمَلُ هؤلاء الرُّهبانَ والرَّاهباتِ وتشمل حاخامات اليهود وتشمل هؤلاء البُوذِيين وهؤلاء الذين يقولون وِرْدُ الطريقةِ الذى هو أن يُطْبِقُوا ألسنتهم على الحنك ثم يقولوا فِى قلوبهم الله الله خمسةَ ءالافِ مرةٍ مع إطراق الرأسِ وتَغْمِيضِ العيونِ أفضلُ من الصلاة، هؤلاء وأولئك الآخرون الرُّهبان والراهبات الذين يريدون أنْ يَتَقَرَّبُوا إلى الله بغير ما جاء به رسول الله

(١) سورة الكهف/الآية (١٠٣ - ١٠٤).

ﷺ كلُّ هؤلاء مِن الذين تَخِيبُ أعمالُهم يوم القيامة. كانوا يَظُنُّونَ فِى الدنيا أَنَّهُم جَمَعُوا لآخرتهم ذُخْرًا كبيرًا وليس لهم عند الله تعالى شىءٌ مِن الثواب. هناك يتبين لهم أنهم خاسرون أنهم ليس لهم شىءٌ مِن الثواب. هناك يَعْرِفُونَ أنهم حُرِمُوا مِن الثواب. وفِى ذلك الوقتِ أى فِى الآخرة لا يَنْفَعُهُمُ الندمُ. كلُّ مَن يُحاوِلُ التقربَ إلى الله على خلاف ما جاء به رسول الله ﷺ فقد خاب عملُهُ وليس له فِى الآخرة إلا الندمُ وذلك لأنَّ النفوسَ خبيثةٌ إلا مَن طَهَّرَ اللهُ تعالى نُفُوسَهُم. كثيرٌ مِن الناسِ الذين يَدَّعُونَ الولايةَ كَذَبُوا على الرسول ﷺ للتوصل إلى أغراضِهِم الدنيويةِ، حتى إنّ منهم مَن كذَبَ على الرسول ﷺ فقال لبعض الناس رأيتُ الرسول ﷺ فِى المنام فأمرك أن تزوجنِى بنتك، مِن أجل الوصول إلى غرض الزواج كذبوا على الرسول افتَرَوا على الرسول ﷺ وهم يَدَّعُونَ الطريقةَ والمشيخة والولاية، يقولون نحن أهل الطريقة نحن صوفيةٌ لكن نفوسُهم خبيثة يُظْهِرونَ للناس بألسنتهم وأَزْيَائِهم أىْ مِن حيثُ اللباسُ أنهم مِن أهل الله وهم مِن أعداء الله، هنا كان رجلٌ مُتَوَفَّى منذ سنينَ أَعْرِفُهُ كَذَبَ على شخص من الطيبين مِنْ أهل الله افترَى قال هذا رقيقُ القلب إذا قلتُ له الرسولُ يأمرُكَ بأنْ تُزَوّجَنِى بنتك يُزَوّجُنِى لا يُخالِف فافترى على الرسول ﷺ فَزَوَّجَهُ، هنا كان فِى بيروت ذلك الرجلُ أنا أعرفه، وفِى دمشق أيضًا حصل وفِى غيرهما أىْ غير بيروت ودمشق أيضًا حصل فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

أما أهل الطريقة الصادقون فإنهم بعيدون مِن هذا الافتراء. كلُّ طرق أهل الله دخل فيها أناسٌ كذّابون أما الذين أَسَّسُوا هذه الطرق فكلُّهم أولياءُ الله كلُّهم أهل الصدق والنصيحة والإخلاص، إن كانت الطريقةَ الرفاعية وإن كانت النقشبنديةَ أو كانت القادريةَ وإن كانت غير ذلك مِن طرق أهل الله كلُّها أُسّست على تقوَى الله لكنَّ المنتسبين إليها قسمان قسمٌ صادقون وقسمٌ كاذبون والصنفُ الكاذبون هم الذين يفترون هذه الافتراءات مِن أجل مطامعَ نَفْسِيَّةٍ، لأغراضٍ نَفْسِيَّةٍ يكذبون على الله وعلى رسول الله ﷺ. بعضُ هؤلاء الكذابين الذين يَدَّعون الطريقةَ وليسوا من أهل الطريقة قال هذا الذِّكْرُ الذِى نحن عليه أفضل مِن الصلوات الخمس حتَى يزدادَ المريدون تَعَلُّقًا بهم وحتّى يُصْغُوا لهم ويَبْذُلوا لهم الأموالَ. وعندهم أيضًا من الاحتيال لأخذ أموال المريدين أشياءُ أخرى مِن جملتها يقول أحدهم للمريد المحبةُ بلا إنفاقٍ نِفاقٌ معناه إذا لم تَبذلوا لنا من أموالكم لا تَرْتَفِعُ درجاتُكم هذا يجعلونه حديثًا والعياذُ بالله تعالى. هذا هم افتَرَوْهُ مِن أجل أن يستلموا أموال الناس كذبوا على الله وعلى رسول الله ﷺ.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الثالث عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان الجزاء على الأعمال الصالحة فِى الدنيا وفِى الآخرة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق لسنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان أن الجزاء على الأعمال الصالحة قد يكون أحيانًا فِى الدنيا. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه الأكرمين.

أما بعدُ فإنّ الشفاعة فى الآخرة خاصة بالمؤمنين لا تنالُ الكافرَ. وقد دلَّ القرءان الكريم على أنّ الكفار لا يَشْفَعُ لهم أحدٌ مِن ملائكة الله ولا مِن غيرهم وهو قوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1] فمن زعم أنَّ نبيًّا من أنبياء الله يشفعُ لكافر إنْ كان أباه أو ابنَهُ فقد ردَّ كتابَ الله وكذّب القرءانَ وكذلك مَن اعتقد أنَّ الكافر يرحمُهُ اللهُ تعالى يومَ القيامة فقد كذَّب القرءان وخرج من الإسلام لأنَّ الله تعالى أخبرنا أنَّ رحمتَهُ فِى

(١) سورة الأنبياء/الآية (٢٨).

الآخرة خاصةٌ بالمؤمنين قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(١) ورحمتِى وسعت كلَّ شىء أى فِى الدنيا فسأكتبها للذين يتقون أى يتجنبون الشركَ أى جميعَ أنواع الكفر، فمِن هنا عَلِمْنَا أنّ الله تبارك وتعالى لا يرحمُ الكافرَ يومَ القيامة إنما يرحمُهُ فِى الدنيا. لا يجوز لقائل أنْ يتمسَّك بالجزء الأول من هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ويَظُنَّ أن ذلك شامِلٌ للدنيا والآخرة إنما رحمةُ اللهِ تَعُمُّ وتَشْمَلُ المؤمنَ والكافرَ فِى هذه الدنيا فقط أما فِى الآخرة فلا يرحمُهُمْ.

وهناك أيضًا دليلٌ قرءانىٌّ وهو قوله تعالى ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾(٢) هنا أيضًا عَلِمْنَا أنَّ الله تعالى لا يرحمُ كلَّ إنسانٍ فِى الآخرة فالذِى يعتقدُ أو يقولُ بلسانِهِ إنَّ الله تعالى يرحم هؤلاء الكفار فِى الآخرة إما بشفاعة نبىّ مِن الأنبياء أو بالحسنات التِى كان يعملُها مع الناس فِى هذه الدنيا كصلة الرحم وإعتاق الرقبة وإطعام المسكين والعطف والشفقة على خلق الله تعالى فإنه يخرج من الإسلام. إذا حصل من الكفار فِى هذه الدنيا حسناتٌ فإنهم يُجَازَوْنَ فِى هذه الدنيا بالصحة والرزق ونحوِ ذلك أما فِى الآخرة فلا يجازيهم الله بشىء مما عملوه من الحسنات فِى الدنيا، أما المؤمن فإنَّ الله تبارك وتعالى إما أنْ يُطْعِمَهُ بحسناته التِى

(١) سورة الأعراف/الآية (١٥٦).

(٢) سورة العنكبوت/الآية (٢١).

يعملُها فِى هذه الدنيا ويُثِيبَهُ فِى الآخرة فِى الدرجاتِ العُلا فِى النعيم المُقِيم الذى لا يزولُ ولا يَفْنَى وهو نعيمُ الجنة وإما أنْ لا يُطْعِمَهُ بحسناته فِى الدنيا بل يؤخّرَ له جزاءَهُ وافرًا إلى يوم القيامة. كثيرٌ من المؤمنين يعملون الحسناتِ يَصِلُونَ الرَّحِمَ فِى هذه الدنيا ويُحسنون إلى الفقراء والمنكوبين ومع ذلك فِى هذه الدنيا لا يزداد رزقُهُمْ ولا يَتَوَسَّعُ رزقُهُمْ عمّا كانَ فهؤلاء أَخَّرَ اللهُ تعالى جزاءَهم إلى الآخرة ومِن المؤمنين مَنْ يُجازِيهِمُ اللهُ تعالى فِى الدنيا وفِى الآخرة، بعضُ الناس عندما يكونون محسنينَ يَصِلُونَ أرحامَهم بمالهم ويعطفون على الفقراء ويُشفِقون ويرحمون المنكوبين منهم مَن يزداد رِزقًا فِى هذه الدنيا ويرجو رحمة الله تعالى فِى الدرجات العُلَا فِى الآخرة ومنهم مَن لا يزداد رزقُهم فِى هذه الدنيا مهما عَمِلُوا مِن الإحسان إلى الناس، لا يَقُل المسلمُ أنا عَمِلْتُ كذا أحسنتُ إلى الناسِ وَوَصَلْتُ أَرْحَامِى وأحسنتُ إلى المنكوبين فما زاد رِزْقِى وما عَوَّضَنِى اللهُ تعالى بذلك شيئًا مِن الرزق فِى الدنيا لا يقل، الذِى يقولُ هذا يكون علامةَ الحِرْمانِ لِيُحْسِنْ ظَنَّهُ بربِّهِ يقول لعلَّ رَبّى أَخَّرَ لِى جَزائِى إلى الآخرةِ، الآخرةُ هِىَ دارُ القَرارِ إنْ وَسَّعَ علَىَّ هنا بمّا عملتُ من الإحسان إلى عباده وإن لم يُوَسّعْ عَلَىَّ فأنا أرجو رحمةَ اللهِ والدرجاتِ العُلا فِى الآخرة هذا الذِى يليق بالمسلم لأنَّ كثيرين مِن الناس يعملون معروفًا مع الناس يُحسنون ويَتصدَّقون على الفقراء ثم يَنتظرون فَيَنْظُرُونَ هل زادَ رِزْقُهُمْ فإنْ

وجدوا رزقَهم لم يَزْدَدْ يتشاءمون يقولون ماذا نَفَعَنا هذا الإحسانُ الذِى أحسنَّاهُ إلى الفقراء وَزَّعْنا وأَحْسَنَّا فماذا حصل لنا مِن ذلك فهذا رزقُنا لم يَزِدْ بل نَقَصَ هؤلاءِ يُخْشَى عليهم أنْ تسوءَ حالتُهم فيموتوا على حالةٍ سيئةٍ إما الكفر وإما ما دون ذلك. فينبغى على المؤمنِ أن لا يُعَلّق قلبه إذا أحسنَ للفقراء والمساكين وعمِل مَبَرَّاتٍ وخِدمةً لمساجد الله ونحو ذلك أن لا يعلق قلبه بأنْ يَعُودَ له جزاءٌ فِى هذه الدنيا بتوسعة رزقه على ما كان عنده مِن النعم، هذا لا ينبغى بل ليقلْ عملتُ هذا لوجه اللهِ اللهُ يَفْعَلُ بِى ما يريدُ وأرجو أن أكون مِمَّنْ أخَّر اللهُ تعالى لهم جزاءهم إلى الآخرة لَعَلّى أنا مِن الذين أَخَّرَ لهم جزاءَ إحسانِهم إلى خَلْقِ اللهِ تعالى إلى الآخرة حتى يُوَفّيَنيهِ يومَ القيامة كاملًا أما إذا علق قلبه بأنه ينال جزاءه فِى هذه الدنيا يُخشَى عليه من فساد الاعتقاد فيرجعَ القَهْقَرَى والعياذ بالله تعالى.

بعضُ الناس يندفعون بُرْهَةً مِن الزمن، يندفعون إلى عمل البر والإحسان مع الناس ثم إذا بهم بعد مدة بعد زمان انقلبوا فصاروا يائسين وإذا بهم قد تغيرت عقائدُهم كثيرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فِى أشدّ البؤس فِى زمن الرسولِ ثم بعدَ أنْ تُوُفِى رسولُ الله ﷺ أكثرَ اللهُ تعالى لهم أرزاقَهم فصار عندهم غِنًى كبيرٌ ومنهم مَن مات ولم يوجد له ما يَكفيه لِتَكْفينِه ولعله عند الله من أهل الدرجات العُلَا.

الذِى يَفهم قدرَ الآخرةِ لا يُبالِى إنْ تَوَسَّعَ عليه رزقُهُ فِى هذه الدنيا أو لم يَتَوَسَّعْ لا يُبالِى لأنه يبتغِى وجهَ اللهِ فالمؤمن يعلم يقينًا أنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعادَ وأنه غنىٌّ واجِدٌ لا يُعْوِزُهُ شَىْءٌ وأنَّ خزائنَهُ مَلْأَى لا يَنْقُصُهَا الرزقُ الذى يُفِيضُهُ اللهُ على عباده الليلَ والنهارَ هذا لا يَنْقُصُ خزائن الله تعالى لذلك مَن قَوِىَ يقينُهُ بالله تعالى لا يُبالِى مهما أنفق فِى وجوه الخير ومهما عمِل مِن المَبَرَّاتِ لوجه الله تعالى لا يُبالِى يَعْلَمُ يقينًا أنَّ الله تعالى لا يُخْلِفُ الميعادَ يقول إنْ خَتم اللهُ تعالى لِى بالحُسْنَى وحَفِظَنِى مِن الكفر والشرك وخرجتُ من هذه الدنيا سالمًا فإنِّى ألقَى جَزائِى عند الله تعالى الذِى هو خيرُ مَن أَعْطَى الذِى هو يُجَازِى بالكثير على عملٍ قليلٍ، إنما الذِى يُعامِلُ الإنسانَ ويُعَلّقُ قلبه بانتظار الجزاء مِن الإنسان هذا قد لا ينال من هذا الإنسان مكافأتَهُ على معروفه بالمثل أو بأكثرَ، العبد قد يَعْجِزُ أما الله تبارك وتعالى لا يَعْجِزُ لكن إنْ أَخَّرَ لِبَعْضِ الناسِ جزاءَهم إلى الآخرة كذلك لا يَضِيعُ له شىءٌ عند الله وإنْ عَجَّلَ لهم وأَخَّرَ لهم ثوابًا فِى الآخرة أيضًا فذلك فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاء.

مِن أَوْلَى وجوه البِرّ صلة الرحم، الرَّحِمُ إذا لم يَزُرْ رَحِمَهُ ولم يُكاتِبْ ولم يَبْعَثْ رسالةً شَفَوِيَّةً بالسلام ولم يُسَاعِدْ إنْ كانَ رَحِمُهُ بحالةِ الضرورةِ وكان عنده فَضْلٌ مِن المالِ أى ما يَزِيدُ عَلَى حاجاته فإنه قد عَرَّضَ نفسَهُ لعذابِ اللهِ لأنَّ ذلك قَطْعُ رَحِمٍ، الرسولُ عليه الصلاة

والسلام قال **لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِعُ رَحِمٍ**[1] اهـ أى لا يَدْخُلُ مع الأَوَّلِينَ وإنْ دَخَلَ بعد ذلك بإسلامه وإيمانه لكن ذنبه هذا أى قطع الرحم يُؤَخِّرُهُ عن دخول الجنة مع الأولين من أهل الجنة.

أهلُ الجنة ليس كلُّهُمْ يدخلون دفعة واحدة إنما أولُ مَن يَدْخُلُ الجنة رسولُ الله ثم أنبياءُ الله ثم الصُّلَحاءُ مِن أمة محمد وقِسْمٌ مِن غيرِهم مِن غيرِ الصلحاءِ مِن أمة محمد ثم الآخرون.

هو أَوَّلُ مَن يَدخل مِن أمة محمد الجنة بل قبل سائر الأمم فقراءُ المهاجرين أى المؤمنين الذين كانوا من أهل مكة ثم تركوا وطنَهم مكةَ وهاجروا لِيُؤَازِرُوا رسولَ الله بالمدينة لأن المدينةَ دارُ هجرةٍ فَبِتَكَتُّلِهِمْ فِى المدينة حولَ رسول الله يكونون ءازَرُوا دين الله هؤلاء الذين تركوا مكةَ أهلَهم وأموالَهم التِى لم يستطيعوا أن يحملوها معهم تركوها رَغْبَةً وحُبًّا بالله ورسوله، هؤلاءِ المهاجرون مَن كان مِن الفقراءِ منهم هو أولُ مَن يدخلُ الجنة من الأمم من أمم الأنبياء يدخلون الجنة قبل باقِى الأولياء بخمسمائة عام أى بتقدير خمسمائة عام باعتبار أيام الدنيا هذه يسبقون غيرهم مثل أهل الصُّفة الذين كانوا يأْوُون إلى مسجد رسول الله لم يكن لهم بالمدينة أهلٌ ولا مالٌ كانوا يأْوُون إلى المساجد كانوا فِى الليالِى يَتَهَجَّدُونَ لربهم وفِى النهار واحدٌ منهم يأتِى بالماء للمصلين للوضوء ونحوِهِ ولِلسَّقْيِ سَقْيِ العطشِ

(١) رواه البخاريُّ فى صحيحه باب إثم القاطع.

ونحوِ ذلك كانوا يُقاسُونَ مَرَارَاتِ الفَقْرِ ويصبرون احتسابًا لله تعالى الذين قال الله تعالى فيهم ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1] ومنهم أبو هريرة كان أبو هريرة الله تعالى أعطاه مِن اليقين والصبر على الجوع وغيرِ ذلك لا تُزَعْزِعُهُ المَشَقَّاتُ والشدائدُ كان أحيانًا مِن الجوع يُغْشَى عليه يَدُوخُ يقع على الأرض فيظنه مَن لا عِلْمَ له بحاله أنه أصابه الصَّرْعُ يظنه أنه مصابٌ بداءِ الصَّرْعِ لكنه بعد وفاة رسول الله أغناه الله تعالى، وَسَّعَ اللهُ تعالى عليه فِى المعيشة مما فتح اللهُ على المسلمين مِن أموال الكفار التِى اغتنموها ولا سيما أيامَ عمرَ وعثمانَ بنِ عفانَ لكنَّ قسمًا ءاخَرِينَ منهم ماتوا على مِثْلِ ما كانوا عليه فِى زمن الرسول ومنهم من كانوا ماتوا فِى زمن الرسول فِى حياة رسول الله ﷺ مِثْلُ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، لما كان مع أهله على الشرك والكفر كان مِن أنعم الناس، هو مِن بيتِ ثَرْوَةٍ وغِنًى لكنه انخلع مِن هذا المال حُبًّا فِى الله ورسوله ورَضِىَ بالفقر وقَنِعَ وتَجَرَّدَ فِى طاعة الله ورسوله ومات وهو بتلك الحالِ فلم يوجد ما يَسَعُهُ لتكفينه لم يوجد له إلا ثوبٌ واحدٌ لا يُغَطِّى رأسَهُ وقَدَمَيْهِ، إنْ غُطِّىَ رأسُهُ بهذا الثوبِ تَبْدُو قَدَمَاهُ وإنْ غُطِّيَتْ قدماه بَدَا رأسُهُ ظَهَرَ رأسُهُ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام **غَطُّوا رأسَهُ واجعلوا على رجليه إِذْخِرًا**[2] اهـ الإِذْخِرُ هو نَبْتٌ طيب

(١) سورة البقرة/الآية (٢٧٣).

(٢) رواه النسائى فِى السنن باب القميص فِى الكفن.

الرائحة موجود فِى الحجاز.

مِثْلُ هذا، هذا انقطع إلى الله تبارك وتعالى هذا ترك النعيمَ نعيمَ الدنيا وءاثَرَ الآخرةَ جعل الله جزاءه فِى الآخرة بالدرجات العُلا التِى هو لها أَهْلٌ بفضل الله تعالى بما رزقه من اليقين وحُبّ الله ورسوله الحبَّ الكاملَ الذِى لا تزعزعه عواصف المشقَّات.

ثم صلة الرحم درجاتٌ منها أن تكون صلته لرحمه بحيث لا يَشْعُرُ رحمُه بالجفاء أى بحيث لا يَشْعُرُ رَحِمُهُ بأنه جافاه ولو تباعدت الأوقات، إن كانت بحيث لا يَشْعُرُ بالجفاء فقد حَصَلَتِ الصّلَةُ أما إذا قطع مدةً تُشْعِرُ رَحِمَهُ بأنه جفاه فهذا ما وصل رحمه. عادة الناس جرت بالصلة بالسلام والزيارة فِى رمضان وفِى الأعياد أليس هكذا وفِى أيام الحزن إذا حصل موت لأحد من الرحم، يراعِى هذه الأوقاتِ أكثرَ من غيرها لأن مَنْ ترك الصلة فِى هذه الأوقات يكون أشعر رحمه بالجفاء لأنه أهمله لأنه لا يبالِى به فيكون قد ترك الصلة.

أما رَحِمُهُ الذِى يَكْفُرُ[1] فهذا يُعْلِمُهُ أنه إنما يَجْفُوهُ لأجل ما فيه مِن الكفر فإنْ رجع عن غَيِّهِ فذلك الأمر وإن لم يرجع فما عليه إنْ هَجَرَهُ إلى الممات.

وكذلك إن هجره للفسق مما هو دون الكفر كشرب خمر أو قطع صلاة أو أكل الربا أو نحو ذلك إذا أشعره أنه جفاه لذلك وأنه إن تاب يعود لصلته فإن لم

(١) أى رحمه الذى كان مسلمًا ثم ارتدّ.

يتب ذاك ولم يعد هذا إلى صلته فليس عليه أيضًا عقوبةٌ فِى الآخرة لأنه جفاه لسبب شرعىّ.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيان حديث خلق الله ءادم على صورته

هذا قطعة من درس طويل ألقاه الأصوليُّ المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى بيان معنى حديث خلق الله ءادم على صورته. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه الأكرمين.

أما بعدُ فالإنسان يُسَمَّى العالمَ الأصغرَ، مجموعُ الكون يسمى العالم الأكبر أما الإنسان بما أن الله تعالى شرفه وإن كان حجمه صغيرًا جعل فيه معانىَ راقيةً لم يجعلها فِى غيره من المخلوقات يُسَمّى العالم الأصغر لكن لا يقال الإنسان صورة مصغرة عن الله لا يقال لا يقال لا يقال، لا مناسبة بين الله وبين أى شىء من خلقِه لا الإنسانِ ولا الملائكةِ لو كان الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه لأشبه الملائكةَ الذين هم خُلِقُوا من نورٍ، النورُ عالمٌ لطيفٌ عظيمُ النفع جميلُ المنظر ومع ذلك لا مناسبة بين الله وبين الملائكة، الله تعالى لا يشبه شيئًا لأنه هو أوجد هذه الأشياءَ اللطيفةَ والكثيفة، الإنسانُ والنور والظلمات والروح والهواء كل ذلك هو خلقه لا يشبه شيئًا من هؤلاء ولا

من هؤلاء، لو كان يشبه شيئًا من هؤلاء ما استطاع أن يخلقَهم لكن تشريفًا لابن ءادم الله تعالى أوحى إلى نبيه حديثًا فقال **إن الله خلق ءادم على صورته**[١] اهـ أى الصورة التِى هى لله مِلْكًا وخَلْقًا مُشَرَّفَةٌ عنده مُكَرَّمَةٌ، بهذا المعنى قال **إن الله خلق ءادم على صورته** أى صورة الله بمعنى الصورة التِى هى ملكٌ وخَلْقٌ لله تعالى مشرفةٌ عنده، بهذا المعنى الرسول ﷺ قال **إن الله خلق ءادم على صورته** لا بمعنى أن الله تعالى له شكلٌ، خالقُ الأشكالِ كيف يكون له شكلٌ لو كان له شكلٌ لَصَحَّتِ الألوهية للبشر، لَصَحَّتِ الألوهية للشمس لصحت الألوهية للقمر لم تكن الألوهية خاصةً لله، لو كان الله له شكل كالإنسان كالشمس والقمر والكواكب لم يكن منفردًا بالألوهية دون هذه العوالم النيرة وغيرها مع ما فيها من بديع الشكل وبديع الحُسن، لو كان الله تعالى يشبه شيئًا منها لصحت الألوهية لغيره كالشمس هذه الشمس نَيِّرَةٌ عظيمةُ النورِ عظيمةُ النفع تنفع الإنسان تنفع الأرض تنفع الجَوَّ تنفع النبات تنفع الحيوانات تنفع أبدان الناس ومع ذلك لا يجوز عبادتُها إنما يُعْبَدُ مَن خَلَقَ هذه الأشياءَ المتقابلاتِ كلَّها، خلق النور وخلق الظلمات، خلق المتقابلات، ما هو مقابلُ النورِ الظلمةُ ما هو مقابل الحرارة البرودةُ ما هو مقابل البرودة الحرارة ما هو

---

(١) رواه البخاريّ فى صحيحه بَابُ بَدْءِ السَّلَامِ، ومسلمٌ فى صحيحه باب النهى عن ضرب الوجه وغيرهما.

مقابل اليبوسة الرطوبة ما هو مقابل الرطوبة اليبوسة وهكذا سائر المتقابلات هو خَلَقَهَا، الذِى خلق هذه المتقابلات الذِى لا يشبه شيئًا منها هو الذِى يستحقُّ أنْ يُعبد وهو الله.

حديثُ خَلَقَ اللهُ ءادَمَ على صورته اهـ ثابت لكن بعض الناس يغلطون فِى فهم معناه يأخذون من هذا معنى الشكل أى أن الله تعالى له شكل كالإنسان قريب إلى شكل الإنسان هذا كفر والعياذ بالله.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا تحصل الولاية لمن لم يتعلم علم الدين

درس ألقاه المحدّثُ الصوفىّ العالمُ الفقيهُ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى ألمانية وهو فِى بيان أن الولاية لا تحصل لمن لم يتعلم علم الدين. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(1).

الله تعالى وَصفَ الأولياءَ فِى تلك الآية قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أى الذين ءامنوا بالله أى عَرَفُوا اللهَ كما يجب ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ثم ثَبَتُوا على طاعة الله لزموا طاعةَ الله أى عَمِلُوا كلَّ ما هو فرضٌ وتركوا كلَّ ما هو معصيةٌ هؤلاء تتنزَّل عليهم الملائكةُ، الملائكةُ يُبَشّرُونَهُم قبل خروجهم من الدنيا أنْ لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون. هذا شرطُ الوليّ. الاستقامةُ

(1) سورة فصلت/الآية (٣٠).

بطاعة الله أى لزومُ طاعةِ اللهِ أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرمات بدون هذا لا يكون الإنسانُ وليًّا.

ثم الأولياءُ لهم وجود فِى الإنسِ وفِى الجن لكن أولياء الإنسِ أكبرُ لأنَّ الإنس أفضلُ خلق الله لوجود الأنبياء فيهم، لولا الأنبياءُ لكانت الملائكةُ أفضلَ مِن كلّ خَلْقِ الله لكن لوجود الأنبياء فِى البشر نقول البشر أفضل من الملائكة.

وأوَّلُ شرطٍ للولاية أنْ يَعْرِفَ اللهَ كما يجب، اللهُ تبارك وتعالى موجودٌ لا كالموجوداتِ لا هو كالنورِ ولا هو كالظلامِ ولا هو كالجسم اللطيف ولا هو كالجسم الكثيفِ لا هو كالملائكة والجن والريح أى الهواءِ ولا هو كالروح ولا هو كأجسام الإنسان ولا هو كالجمادات الشمسِ والقمرِ والكواكبِ لا يُشْبِهُ شيئًا مِن الأشياء لو كان يشبه شيئًا من الأشياء ما استطاع أنْ يَخْلُقَ هذا العالَمَ، لو كان يشبه الإنسانَ ما استطاع أن يخلق الإنسان، لو كان يشبه النور ما استطاع أن يخلق النور. الله موجودٌ بلا مكان، البشرُ لهم مكانٌ والملائكة لهم مكان، السمواتُ السبعُ مسكنُ الملائكةِ، كلُّ سماءٍ لا يوجد فيها مَوضِعُ أربعِ أصابعَ فارغٌ ليس فيها موضعٌ مثل هذا إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ ثم فوق ذلك العرشُ الكريمُ، فوق ذلك كلّه بعد الكرسىّ وبعد الجنةِ يوجدُ العرشُ هذا أكبر خلق الله. اللهُ تعالى خَلَقَهُ إظهارًا لِقُدْرَتِهِ حتى يزدادَ الملائكةُ الذين

هناك حول العرش عِلْمًا بكمال قدرة الله. ومِن الملائكة مَن خِلْقَتُهم عظيمةٌ، بعضُهم مِن شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عاتقه مسافةُ سبعِمائةِ عام باعتبار طيرانِ الطير هؤلاء مع عظم خِلقتهم لمَّا يَرَوْنَ هذا العرشَ الذِى هو لا يَعْلَمُ حَدَّهُ إلا اللهُ يزدادون خشيةً مِن اللهِ وعِلْمًا بكمال قدرته. اللهُ تبارك وتعالى لا كأولئك ولا كشىءٍ مِن الأشياء يستحيلُ عليه اللونُ والشكلُ والحَدُّ، اللهُ ليسَ له حَدٌّ صغيرٌ ولا حَدٌّ كبيرٌ ولا حَدٌّ وَسَطٌ، كلُّ ما تَتَصَوَّرُهُ أيها الإنسانُ ببالك اللهُ تعالى لا يُشْبِهُ ذلك الشىءَ لا تستطيعُ أنْ تتصورَ الله فماذا نفعلُ نقول اللهُ موجود لا يشبه الموجودات بلا مكان وبلا شكل.

ثم من شرط الولىّ أن يكون تعلم العلمَ الضرورىّ إما قراءةً على عالِمٍ أو تَلَقِّيًا شَفَوِيًّا مِن عالِم أى بأن يسمع أمور الدين مِن إنسان عالم بدون قراءة فِى كتاب يسمعُ منه يَتَعَلَّمُ منه ما هو حرامٌ ما هو حلالٌ ما هو فرضٌ ثم يُطَبّقُ ذلك يُطَبّقُ ما تَعَلَّمَهُ، يؤدّى كلَّ الواجباتِ ويجتنب كل المحرمات، ليس شرطًا للولِىّ أنْ يكون عالِمًا بل شرطُهُ أن يكونَ تَعَلَّمَ القدرَ الذِى لا بُدَّ منه مِن علم الدين القدرَ الذِى يُمَيّزُ به الحلالَ مِن الحرام مِن الكلامِ والنظرِ والمشيِ والأكلِ والشربِ والمالِ، كلّ هذا يكونُ تَعَلَّمَهُ ما أَحلَّ اللهُ وما حَرَّمَ اللهُ وأعمالَ القلوب حلالَهَا وحرامَها تعلَّم مِن أهل العلم مِن أهل المعرفة.

الشيخُ عبدُ القادر الجيلانىُّ رَضِىَ اللهُ عنه كان تَلَقَّى العلمَ مِن المشايخِ ثم تَجَرَّدَ للعبادة وصار يَسِيحُ فِى البَرَارِى قَضَى أربعين سنة فِى السياحة ثم رجع إلِى المُدُنِ يَتَعَلَّم مِن العلماء بعد أنْ صار وليًّا صار يتعلم، وقبل أن يصير وليًّا كان تعلم من المشايخ علمَ الدين الضرورىَّ الذِى يُعرف به ما أحل الله مِن كلام ومَشْىٍ وأكلٍ وشربٍ ولباسٍ لأنه ليس كلُّ لباسٍ حلالًا بل مِن اللباسِ ما هو حلالٌ ومنه ما هو حرامٌ، ومِن المالِ، المالُ ليس كلُّه حلالًا بل منه حرامٌ ومنه حلالٌ. الذِى تعلم هذه الأشياءَ الضرورية مِن أهل العلم لو بالمشافهةِ بأن يَسْمَعَ منه فقط ولو لم يقرأ فِى كتاب على شيخ ثم طبّق ما تعلّمه أقام الواجباتِ واجتنبَ المحرماتِ كلَّها وزاد على ذلك السننَ هذا ولِىُّ الله. أما مَن ليس كذلك فليس وليًّا، لا يجوز أن يقال له ولىٌّ لا يجوز، لو كان أبوه قُطْبَ عصرِهِ لا يُقالُ له وَلِىٌّ إلا إذا سلك مسلك أبيه تعلَّمَ علمَ الدين الضرورىّ ثم عمِل بالواجبات كلّها واجتنبَ ما حرم الله كلَّه وأكثرَ مِن السنن عندئذ يصير وليًّا كأبيه كجده، بغير هذا فلا، مستحيلٌ مستحيلٌ. قال الإمام الشافعىُّ ويُروَى عن أبى حنيفة رضى الله عنهما ما اتَّخَذَ اللهُ وليًّا جاهلًا ولو اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ(١) اهـ أما مجرّدُ أنَّ جَدَّهُ أو أباهُ ولِىٌّ لا يَكْفِى، لا بُدَّ أنْ يتعلّمَ هو كما تعلّمَ أبوه الولِىُّ أو جَدُّهُ

(١) ذكره الملا علِىّ القارِى فِى مقدمة مرقاة المصابيح عند ترجمة الإمام الشافعىّ.

الولِىُّ عِلْمَ الدين مِن المشايخ يَتَعَلَّمُ هو، ثم يَعْمَلُ بهذا العلم يُؤَدّى الواجباتِ التى تَعَلَّمَها ويَجْتَنِبُ المحرَّماتِ ويُكْثِرُ مِن السُّنَنِ فيكونُ مِثْلَ أبيه أو جده وليًّا. أما إذا كان ما تعلَّم مِن أهل المعرفة لا مِن أبيه الولِىّ ولا مِن جده الولىّ ولا مِن شيخ ءاخَرَ ثقةٍ يَعْرِفُ عِلْمَ الدين بل اكتفَى بمجرد أنه ابنُ الشيخِ الفلانِىّ الولِىّ أو حفيدُ الشيخِ الذِى هو معروفٌ بالولاية هذا لا يَكْفِى، هذا مستحيلٌ أن يكون وليًّا مستحيلٌ مستحيلٌ مستحيلٌ.

الله تبارك وتعالى خلق عباده أشكالًا وألوانًا، بعضُ الأنبياء طَلَعَ منهم ذريةٌ أنبياءُ، إبراهيمُ وَلَدَ إسحاقَ، إسحاقُ وَلَدَ يعقوبَ، يعقوبُ وَلَدَ يُوسُفَ، هؤلاء كلُّهم أنبياءُ انظروا إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب ثم يوسف هؤلاء أنبياءُ، وخلق أناسًا على خلاف هذا نوحٌ عليه السلام أولُ الرسل الذين أرسلوا إلِى أهل الأرض أى بعد انتشار الناس فِى الأرض ءادم أُرسِل لأولاده نبيًّا رسولًا وكذلك ابنُهُ شِيثٌ أُرسِل رسولًا كذلك بعد شيثٍ إدريسُ عليه السلام أُرسِل نبيًّا، بعد إدريسَ كان الناس قد انتشروا فِى الأرض وحدث فيهم الكفر فأُرسل إليهم رسولُ الله نوحٌ وكان له أربعةُ أولادٍ ذكورٌ ثلاثةٌ مؤمنون والرابعُ كافرٌ غَرِقَ مع الكفار اللهُ تعالى أَهْلَكَهُ مع الكفارِ بطُوفانِ الماءِ الذِى أغرقَ البشرَ الكفارَ وسَلِمَ منه الذين ءامنوا بنوح وكانوا نحوَ ثمانين شخصًا مِن ذكورٍ وإناثٍ هؤلاء نَجَوْا لأنهم كانوا مؤمنين تَبِعُوا نوحًا أطاعوه أما ابنُهُ الذِى خالَفَ أباهُ هذا طَلَعَ كافرًا هَلَكَ مَعَ الكُفّارِ. لا تَغْتَرُّوا بأنَّ فلانًا أبوه ولِىٌّ أو أنَّ جَدَّهُ

وَلِىٌّ لا يَغُرَّنَّكُمْ هذا، إنْ لم يَسْلُكْ سبيلَ أبيه أو جَدِّهِ الذِى هو وَلِىٌّ لا تَعْتَبِرُوهُ وليًّا إن رأيتموه يخالفُ الشريعةَ أَنْكِرُوا عليه إنْ رأيتموه يَعْمَلُ المعصيةَ قولوا له اتق الله لا تقولوا هذا ابنُ فلانٍ الولِىّ أو هذا حَفِيدُ فلانٍ الولِىّ، هذا جهلٌ، لو كان الأبُ لا يَطْلُعُ منه إلا وَلِىٌّ كان أولادُ نوحٍ كلُّهم أولياءَ لكن الله تعالى شاء فِى الأزل أن يخلقَ ثلاثة ذكور مؤمنين من أبناء نوح وءاخَرَ كافرًا.

نحن نَعْرِفُ أناسًا لم يسلُكوا مَسْلَكَ ءابائهم، ءاباؤهم تعلَّموا علمَ الدين مِن أهل المعرفة مِن الثقاتِ مِن العلماءِ الأتقياءِ فطلعوا أولياءَ، جَدُّوا فِى طاعةِ اللهِ فصاروا أولياءَ خالَفُوا أهواءهم واتبعوا رضوانَ الله الشىءَ الذِى يحبه الله فصاروا أولياءَ، أما الذين لم يتَّبعوا ءاباءهم الأولياءَ لأنهم ما تعلموا العلم كما تعلم ءاباؤهم الأولياء أو تعلموا العلم لكن ما تبِعوا العلم بل تبعوا أهواءَهم، غلب عليهم حبُّ الدنيا حبُّ المال، هؤلاء لا يُعتبرون كآبائهم وأجدادهم الذين هم أولياء، ولا تقولوا هذا ابنُ فلانٍ الولِىّ حفيدُهُ، يَغْضَبُ له إذا نحن تكلَّمنا عليه إذا نحن حَذَّرْنَا منه بما يستحقُّهُ مِن التحذيرِ جدُّهُ يغضب له لا تقولوا، جَدُّهُ لو كان حيًّا لحاربه، كان أَمَرَهُ بأنْ يتعلم علم الدين ألزمه بأن يتعلم علم الدين لكن الأب أحيانًا يموت والولدُ طفلٌ، هذا الطفل إما أن يسلك مسلك أبيه ويتعلمَ علم الدين ويعملَ بعلم الدين يؤدى الواجبات ويجتنب المحرمات فيصير وليًّا وإما أن يطلَع على خلاف ما كان عليه أبوه

أو جدُّه فيطلع من العاصين بعيدًا من الولاية.

رجل اسمه زين العابدين كان فِى ديار بكر ثم انتقل إلى إسطنبول، قبل ست سنوات أنا رحت إلى إسطنبول فقيل لى إن زينَ العابدين حفيدَ الشيخِ رمضانَ ابنَ ابنه هناك يسكن فِى طرف إسطنبول الشرقى قصدناه زرناه فبمجرد ما دخلنا صار هو يتكلم، لو كان يتكلم بحقّ لكان كلامه على العين والرأس لكن ماذا قال؟ قال ليس كمثله شىء وهو عينُ الأشياء اهـ معناه الله تعالى هو الإنسان هو البقر هو السماء هو الجبل هو الحجر هو الماء هو الظلام هو الضوء هو الملائكة والبهائم هو النار هذا معناه وهو عين الأشياء معناه هو كل شىء. نهيناه ما انتهى، ثم تركناه فذهبنا ثم بعد عامين زُرْتُ إسطنبول أرسلت إليه بضعةَ أشخاص منهم الشيخُ نِعْمَةُ اللهِ شيخٌ جليلٌ تُرْكِىٌّ كبيرُ السن ومُحَمَّد فَتَّهْ من أهل معصرتى وثلاثة أشخاص ءاخرين أرسلتُ إليه خمسةَ أشخاصٍ أرسلتُهم إليه ليكلموه بتلك الكلمة.

صاروا يكلمونه ساعتين وزيادةً ما كان يرجع عنها فِى الأخير قال لهم إن كانت كفرًا فقد رجعنا عنها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. ثم قال أنا أزورُ الشيخَ فِى الغد. أنا كنت نزلت فِى تَرَابيه بعيدًا من محله، مَحلُّه ءاخرَ إسطنبول تحت الجبل سفح الجبل أنا فِى وسط إسطنبول كنت نازلًا، ما جاء ما زارنى قال أزور الشيخ فِى الغد ما زارنى. مثلُ هذا الذِى حَمَلَ اسمَ جَدِّهِ الشيخِ رمضان وادَّعَى الولايةَ، بعضُ أتْبَاعِهِ قال لِى فِى إسطنبول إنَّ معه مائةَ ألفِ

مُرِيدٍ، وهو ضَالٌّ لا يَعرفُ عِلْمَ الدين لا يَعرفُ عِلْمَ العقيدةِ ما عَرَفَ اللهَ، الذِى يقولُ اللهُ كُلُّ شىءٍ هذا ما عَرَفَ اللهَ، جَعَلَ البَشَرَ جُزءًا منه والجِنَّ والملائكةَ والماءَ والشجرَ والحجرَ كلَّ هذا أجزاءً مِن الله، هذا مثالٌ لهذه القضيةِ مثالٌ واحدٌ لهذه القضية. وأمسِ منذ جئتُ إلى هنا محمد يونس وشاب ءاخر اسمه وليد على خان قالا كنا عند نورِ الدين ابنِ الشيخ رمضان، فقال الذِى يَرْمِى المصحفَ فِى القاذورةِ لا يكفر لكن الذِى يَزنِى ويَسرقُ هذا الكافِرُ عكَسَ دينَ الله، الزانى والسارق إذا ماتا على الإسلام اللهُ تعالى يغفر لهما إن شاء الله لمن مات على الإسلام إنْ شاء يغفر له ولو مات على غير توبة إنْ شاء يغفر له وإن شاء يعذبُهُ ثم يُخْرِجُهُ لأنه مُسْلِمٌ، أما إن مات بعد التوبة فكأنه ما عَمِلَ تلك المعصيةَ أما الذِى يَرْمِى المصحفَ فِى القاذورة كافرٌ، فِى المذاهبِ الأربعةِ هو كافرٌ عدوٌّ اللهِ مثلُ اليهودِىّ والنصرانِىّ وإنْ كان فِى قلبه لم يعتقد أن المصحف ليس حقًّا، هذا مِن شِدَّةِ جهله قَلَبَ الحقيقةَ عَكَسَ الحقيقةَ بَدَلَ أن يقول الذِى يرمِى المصحف فِى القاذورات كافرٌ أما الزانِى والسارقُ مسلمٌ فاسِقٌ قال قولًا ضِدّ الدين، مِثْلُ هذا لا يُغْتَرُّ به، ثم قال لمحمد ابنِ يونس ومن معه قال أنا شيخ وأنت شيخ فلنضرب بالشيش كأنَّ الشّيشَ هو حجةُ الولاية ومنشورُ الولاية، الشيشُ ما لها دَخَلٌ، ثم هؤلاء الذين يضربون بالشيش يتمرنون على ضرب هذا الموضع، يطوون هذه الجلدة يغرزونها أو هذا الجلد الذِى فِى الجنب يُطْوَى ثم يُغْرَزُ

يُوهِمُونَ الناسَ أنهم أولياءُ لهم الكراماتُ هيهاتَ هيهاتَ ليس ضربُ الشيش مِن شَرْطِ الولاية.

هؤلاء الأولياءُ الذين طارَ صِيتُهُمْ فِى الشرق والغرب الشيخُ عبدُ القادر الجيلانِىُّ والشيخُ أحمدُ الرّفاعِىّ والشيخُ أحمدُ البَدَوِىّ والشيخ إبراهيمُ الدَّسُوقِىّ ومَن قَبْلَهُمْ كالإمام الحسنِ البِصْرِىّ ومَن لا يُحْصَوْنَ مِن أولياءِ اللهِ هؤلاء كلُّهم تَعَلَّمُوا عِلْمَ الدين مِن أهلِ المعرفةِ ثم جَدُّوا فِى العمل فِى طاعة الله خالَفوا الهوَى خالفوا أهواءَهم أهواءَ نفوسِهم وءاثَرُوا مَحَابَّ الله تعالى وأعرضوا عن أهوائهم فصاروا أولياءَ، الولايةُ ليست بالنَّسَبِ الولايةُ بالعِلم والعَمل.

هذا الشيخُ عبدُ القادِرِ الجيلانِىُّ عاش نحو تسعين سنة، قَبْلَ أنْ يَسِيحَ فِى البَرارِى تَعَلَّمَ العِلْمَ مِن أهل المعرفةِ مِن العلماء فِى بغدادَ ثُمَّ غَلَبَ عليه الحالُ حبُّ الطاعَةِ حُبُّ العِبادَةِ صار يَسِيحُ فِى البرارِى لِيَتَعَبَّدَ اللهَ مِن غير أن يَشْغَلَهُ أحدٌ ظَلَّ يَدُورُ فِى البَرارِى سنينَ طويلةً ثم عاد إلى بغداد ثم طَلَبَ العِلم مرةً ثانيةً مِن المشايخ وهكذا كان يتعلَّم مِنْ وقتٍ إلى وقتٍ يَزْدادُ عِلْمًا ما قال أنا صِرْتُ صاحبَ حالٍ أنا أسيرُ فِى البرارِى ولا أخافُ مِن السباع ولا مِن الثعابينِ أنا أَنِسْتُ بِذِكْرِ اللهِ أينما كنتُ أنا قلبِى مُطْمَئِنٌّ مُسْتَأْنِسٌ بِذِكْرِ اللهِ تعالى لا أحتاجُ إلى أنْ أزدادَ عِلْمًا لا، الرسولُ عليه السلام الله تعالى قال له ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى

عِلْمًا ﴿١١٤﴾(١). كلُّ إنسانٍ لا يَهْتم للعِلْم اعلموا أنه بعيدٌ مِن اللهِ ولو كان أبوه قطبَ الأقطابِ لَو كان أبوه قطبَ الأقطاب. الشخصُ الذِى ما له عنايةٌ بتعلُّم علم الدين مِن أهل المعرفة هذا اعلموا أنه بعيد من الله ولا ينفعه كونُه ابنَ وَلِىّ مِن أولياءِ اللهِ أو حفيدَ وَلِىّ مِن أولياءِ اللهِ لا يَنْفَعُهُ.

الأولياءُ يُخْفُونَ كَراماتِهِمْ لا يُظْهِرُونَها إلَّا لضرورةٍ أو لحكمةٍ شَرْعِيَّةٍ. الإمامُ أحمدُ الرّفاعِىُّ قال الأولياءُ يَتَسَتَّرُونَ مِن كراماتِهم كما تَتَسَتَّرُ النساءُ مِن الحيض.

أساسُ الإسلامِ الإيمانُ بالله ورسوله أن يُصَدّقَ أنَّ كلَّ ما جاء به سيدُنا محمدٌ حقٌّ بقلبه وأنَّ اللهَ موجودٌ ولا أحدَ يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ إلَّا هو هذا أساسُ الإسلام ثُمَّ بعدَ ذلك فرائضُ يجب تأديتُها وهناك محرَّماتٌ يجب تَجَنُّبُهَا، المسلمُ الكامِلُ هو الذِى ءامَنَ بالله ورسوله وأدَّى الواجباتِ كلَّها واجتنبَ الحرامَ كُلَّهُ هذا مسلمٌ كامِلٌ أمّا الذِى ءامنَ بالله ورسوله ولا يؤدّى الفرائضَ ويرتكبُ المعاصِىَ فهو مسلمٌ ناقِصٌ لكنَّهُ مُسْلِمٌ.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) سورة طه/الآية (١١٤).

الدرس السادس عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اجتماع الصحابة على عقيدة واحدة

درس أعطاه شيخنا الأصولِىُّ المحدّثُ الشيخُ عبد الله ابن محمد الهررِىُّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة فِى الحادى والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وأربعِمائة وألف من الهجرة الموافق للحادِى عشر من شهر كانون الثانى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف ر وهو فِى اجتماع الصحابة على عقيدة واحدة وبيان هذه العقيدة. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

أمّا بعدُ فقد قال رسول الله ﷺ **أُوصِيكُمْ بِأَصْحابِى ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم**(١) اهـ

أصحابُ رسول الله ﷺ كانوا متفقين فِى أصول العقيدة لم يكن بينهم خلافٌ، كانوا متفقين على أنَّ الله تبارك وتعالى متصفٌ بالقدرة وبالعلم وبالإرادة أى المشيئة وأنه ما شاءَ كانَ أىْ حَصَلَ وَوُجِدَ مِن الأعيان والأعمال أى الحركاتِ والسكناتِ وأنَّ ما لم يشأ لم يكن أىْ لا يَدْخُلُ فِى الوجود، ما لم يشأ الله فِى الأزل لا يدخل فِى الوجود ولا فرق فِى ذلك بين الأعيان أى

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه باب ما جاء فى لزوم الجماعة.

الأجرامِ والأجسام والأعمال أى الحركاتِ والسكنات التِى تحَصل من بَنِى ءادم وغيرهم من الحيوانات فلا يتحرك متحركٌ ولا يسكن ساكنٌ ولا يحصل مِن إنسان عملٌ قَلْبِيٌّ إلا بمشيئة الله الأزلية فما شاء الله فِى الأزل أن يحصل من العباد حصل وما لم يشأ اللهُ أن يحصلَ لا يحصل ولو اجتمع الخلقُ كلُّهم على أن يُحْدِثُوا شيئًا لم يشأ الله فِى الأزل لا يَقْدِرُونَ ولو اجتمعوا على أن يمنعوا تَحَقُّقَ ما شاء الله فِى الأزل أن يحصل فلا يستطيعون أن يمنعوا وقوعَه وحصولَه. على هذا كان أصحابُ رسول الله ﷺ كلُّهم.

وكانوا على اعتقادٍ لا يختلفون فيه أن الله تبارك وتعالى متكلمٌ بكلام لا يشبه كلامَ المخلوقين لا يشبه كلامَ العالَمين وعلى أنه تبارك وتعالى سميعٌ لا كسمع المخلوقين وعلى أنه بصيرٌ لا كبصر المخلوقين وعلى أنه تبارك وتعالى خالقُ كُلّ شىء أىْ من الأعيان وحركات المخلوقين وسكناتهم، كلُّ ذلك بخلق الله يحصلُ أى بإحداثه من العدم ولولا أنَّ الله تبارك وتعالى أحدثَ أعيانَ الأشياءِ مِن ذَوِى الأرواح ومن الجماداتِ لما حصل شىءٌ لما دخل فِى الوجود شىءٌ لَبَقِىَ العالَمُ كلُّه فِى العدم كما كان فِى الأزل معدومًا فلو لم يشأ الله دخولَهُ فِى الوجود لَبَقِىَ فِى طَىّ العدم.

ومتفقون أيضًا على أن الله تبارك وتعالى يُرَى فِى الآخرة بالأبصار من غير كيفٍ ومِن غير أن يكون فى جهة كما يُرَى المخلوق. المخلوقُ يُرَى إما فِى جهةِ

الأمامِ أو جهةِ الخلف. اللهُ تعالى يُرَى مِن غيرِ أن يكونَ فِى جِهةٍ فوقٍ مِن المخلوقِين الرَّائينَ من غير أن يكون فِى جهة السُّفْل أى التحت منهم ومِن غير أن يُرى فِى جهة يمينِهم ومن غير أن يكون فِى جهة يسارهم أى يرونه بأبصارهم بقدرة يجعلها الله فيها. المؤمنون يرونه وأما الكفار فهم محجوبون عن رؤيته فِى الآخرة كما أنهم محجوبون اليوم فِى الدنيا.

أصحابُ رسولِ الله لم يختلفوا فِى هذا وهم مُتَّفِقُونَ على أنه تبارك وتعالى قادرٌ على كلّ شَىْءٍ لا يُعْجِزُهُ شَىْءٌ ومُتَّفِقُونَ على أنَّ عِلْمَهُ شامِلٌ لكلّ شَىْءٍ يَعْلَمُ ما كان ويَعْلَمُ ما يكونُ جملةً وتفصيلًا حتى الحركات والسكنات والأنفاس التِى تحصل فِى الآخرة للعباد ما يحصل للمؤمنين وما يحصل للكافرين، فِى دار النعيم بالنسبة للمؤمنين وفِى دار العذاب المؤبَّدِ بالنسبة للكافرين. كل ما يحصل لأهل هذه الدار ولأهل هذه الدار فهو عالم به فِى الأزل جملةً وتفصيلًا لا يَحْدُثُ له عِلْمٌ جديدٌ، متفقون على هذا.

فأصحابُ رسول الله متفقون فِى كل ذلك لم يختلفوا، ثم جمهورُ الأمةِ المحمديةِ فِى الاعتقاد معهم لا يخرجون عن هذا إنما خرج عن ذلك شراذِم وهم بالنسبة للجمهور الموافقِين للصحابة والتابعين لهم بإحسان شَىْءٌ قليلٌ جدًّا.

ثم إنَّ الصحابةَ أيضًا متفقون فِى جواز التوسل بالنبِىّ ﷺ فِى حياته وبعد مماته لم يختلفوا فِى ذلك إنما هذا

الخلافُ نَشأَ فِى القرن السابع الهجرى فِى أواخر القرن السابع الهجرىّ مِن رجلٍ يقال له أحمد ابن تيمية أبو العباس الحرّانِىّ فاتّبعه شُذّاذ مِن الناس وكان فِى العصر الذِى ظهر فيه هذا الرجل مُسْتَذَلًّا إنما اتّبعه ألوفُ الحَمْقَى وسَمَّوْهُ شيخَ الإسلام وليس هو بأهل لهذا اللقب. ثم هذا الرجل فتح لأتباعه أبوابًا من التمويهات. من جملة تمويهه فِى تحريم التوسل أنه قال لو كان التوسّل بالنبِىّ بعد موته جائزًا ما كان عمرُ بنُ الخطاب يتوسل بالعباس عَمّ رسول الله وقد توسّل به فقال اللهم إنّا كُنّا نتوسّل بنبيك فتسقينا واليوم نتوسّل إليك بعمّ نبيك العباس(١) اهـ أى نطلب منك المطرَ متوسّلين بالعباس كما كنّا نتوسل بالنبِىّ ﷺ، قال لهم ابن تيمية لو كان التَّوسُّل بالرسول بعد وفاته جائزًا ما ترك عمر التَّوسّل بالنبىّ إلى التَّوسُّل بعمّه العبَّاس وهذا تمويهٌ ليس عمر توسّل بالعباس لأن الرسول كان قد مات وإنما توسّل بالعباس مراعاةً لِحَقّ قرابته من رسول الله لأنه كان عَمَّهُ كان أقربَ الناس إلى النبِىّ ﷺ من الرجال نسبًا أما علىٌّ رضى الله عنه فلم يكن أقربَ الناس إليه من حيث النّسبُ لأنَّ عمَّ الشخص أقربُ من ابن عم الشخص. العبَّاسُ عمُّه وأما علىٌّ فابنُ عمّه.

ولنا دليلٌ على أن عمر ما توسّل بالعباس لأن الرسول كان قد مات وإنما توسّل به مراعاة لحق قرابته للنبىّ وذلك

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا.

أن عمر رضِىَ الله عنه قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يَرى للعباس ما يَرى الولد لوالده فاقتدوا به فِى عمّه العباس واتخذوه وسيلةً إلى الله(١) اهـ

هذا الأثرُ أىْ قولُ عمرَ أيها الناس إنَّ رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده فاقتدوا به فِى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله اهـ هذا الأثر رواه الحاكم وأما توسّل عمر بالعباس فقد رواه البخارىُّ.

ثم إنّ العباس رَضِىَ الله عنه نفسُهُ قال عندما استسقى لهم أى طلب المطر لهم من الله تعالى اللهم إنَّ القومَ توجَّهوا بِى إليك لمكانِى مِن نبيّك اهـ أى لأنّى عمُّ نبيّك أىْ أرادوا أن يراعوا حقَّ قَرَابَتِى ويُكرمونِى أىْ أرادوا أن يَرْقبوا محمدًا فِىّ لأنّى عَمُّهُ ﷺ.

هذا حقيقةُ توسّلِ عمر بالعباس ليس ما يقوله هؤلاء المشوشون. هذا مِن جملة ما يُشوّشون به على الناس وكثيرًا ما يلهجون بهذا فِى مجالسهم ليزخرفوا قولهم الباطلَ بتحريم التوسل بالرسول بعد وفاته. افْتَرَوْا على عمرَ وافْتَرَوْا على العباسِ والحقيقةُ كما ذكرنا.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب ذكر إسلام العباس رضى الله عنه.

الدرس السابع عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أعمالنا أعلام الثواب والعقاب

درس ألقاه المحدث الفقيه الأصوليّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى بيروت وهو فِى بيان أن أعمالَنا أعلامُ الثواب والعقاب وفِى بعض مخالفات ابن تيمية للإمام أحمد. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل والثناء الحسن صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء المرسلين وسلامُه عليهم أجمعين.

أما بعد فقد رُوِّينا بالإسناد المتصل فِى كتاب القدر للبيهقىّ رحمه الله تعالى من طريق الشريف العثمانىّ قال سمعت الإمام أبا الطيب سهل بن محمد يقول أعمالنا أعلام الثواب والعقاب اهـ هذا الإمام سهل بن محمد أبو الطيب ذَكَرَ الحاكمُ فِى مستدركه أنه هو مجدد القرن الرابع بعد أن ذكر أنَّ مجدد القرن الأول عمر بن عبد العزيز لأنه كان على رأس المائة الأولى ومجدد القرن لا بد أن يكون حيًّا على رأس المائة وذكر أنَّ مجدد القرن الثانى كان الإمام الشافعىَّ محمدَ ابنَ إدريس وأن مجددَ القرن الثالث الإمامُ الفقيه

الشافعىُّ بنُ سُرَيج رَضِىَ الله عن الجميع ثم قال فِى الإمام أبِى الطيب سهل بن محمد بن سليمان

والرابع المشهور سهلُ محمد
أضحى إمامًا عند كل مُوَحّدِ اهـ

كان سهلُ بن محمد رَضِىَ الله عنه من الأشعرية، الأشعرية هم والماتريدية أهل السنة والجماعة فلا يتجاوز الحقُّ فِى المعتقدات هاتين الفرقتين لأن هذين الإمامين الأشعرىَّ والماتريدِىَّ اعتنيا بتلخيص ما كان عليه السلف من المعتقد كما أنَّ كثيرًا من الأعلام فِى الحديث والفقه والتقوى والورع كانوا من الأشاعرة يعرف ذلك من يعرف الحقيقة ومن يجهلها جهل ذلك.

المشبهةُ يعادون الأشعريةَ قديمًا وحديثًا لأن مشربهم بعيد عن مشربِ الأشعريةِ، الأشعريةُ ينزّهون اللهَ عن مشابهة الخلق بأىّ وجه من الوجوه أما المشبهة فأُشْرِبُوا حبَّ التشبيه، يقرأون قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) لفظًا ويخالفونه معنى. إنَّما ءامَنَ بهذه الآية مَن نزّه الله عن مشابهة الخلق بكل الوجوه كما قال أبو جعفر الطحاوىُّ ومَن وصف الله بمعنى من معانِى البشر فقد كفر اهـ هؤلاء ءامَنُوا بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أمّا الذين يقولون إنَّ الله فِى جهة كذا ويعتقدون مُقْتَضَى ذلك فهؤلاء ما ءامَنُوا بها كذلك الذين يقولون إنَّ الله استوى على عرشه بمعنى جَلَسَ ثم يُتْبِعُونَ ذلك بكلمةِ لا كجلوسنا، هؤلاء لا ينفعهم

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

قولُهم لا كجلوسنا شيئًا، هم شبَّهوا بقولهم إنَّ الله جلس على العرش، هذا عين التشبيه، فبعد هذا لا ينفعهم قولهم لكن لا كجلوسنا لأنَّ الجلوس فِى اللغة العربية معروف معلومٌ ما هو على اختلاف كيفياته. فالجلوس معنًى من معانِى البشر على أىّ كيفية كان، ومن اعتقد فِى الله ذلك فقد شبّهه وينطبق عليه قول أبِى جعفر الطحاوىّ ومن صف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر اهـ

أما الذين يقولون لله يد لا كأيدينا ويعنون بهذا الكلام أن لله يدًا بمعنى الصفة لا بمعنى الجسم والجارِحة فهذا كلامٌ صحيح لأن الله تعالى أضاف لنفسه اليدَ والعينَ والوجهَ إضافةَ صفاتٍ فمن اعتقد أن الله تبارك وتعالى منزّه عن الصورة والشكل والأعضاء فقال بناءً على هذا الاعتقادِ لله يدٌ لا كأيدينا لله عينٌ لا كأعيننا لله وجهٌ لا كوجوهنا فهو على صواب.

أما الرِّجْلُ ما ورد على أنه صفة لله بل ورد على معنًى ءَاخَرَ وهو جزءٌ من خلقه، يُقال فِى لغة العرب رِجلٌ من جراد أى فَوْجٌ من جراد، فالحديث الذِى ورد فيه ذِكْرُ الرِّجل مضافًا إلى الله، جاء فيه أنّ الله تبارك وتعالى يملأ يوم القيامة جهنم بفوج من خلقه كانوا من أهلها فِى عِلم الله تعالى لأنّ أهل النار لا يدخلون النارَ دفعةً واحدةً كلُّهم، لا بل يدخل فوج ثم بعد ذلك فوج ثم بعد ذلك فوج فالفوج الأخير مِن خلقه الذين هم حِصَّةُ جهنم عبَّر عنه رسولُ الله ﷺ بقوله **يُقال**

لجهنم هل امتلأتِ فتقول هل مِن مَزِيد فيضعُ الجبَّارُ رِجْلَهُ فيها فينزوِى بعضُها إلى بعضٍ فتقول قط قط[1] اهـ رواه البخاريُّ أى اكتفيتُ اكتفيتُ معناه وجدتُ مِلِئِى وجدتُ ما يملؤنِى. فرِجْلهُ فِى هذا الحديث معناه الفوجُ الأخيرُ الذين يُقَدّمُهُمْ للنار، تقول العرب رِجْلٌ من جراد أى فوج من جراد. أما مَن تَوَهَّمَ مِن هذا الحديث أن لله رِجلًا بمعنى عضو فهو كافرٌ مشبّهٌ لله بخلقه لا ينفعه انتسابه إلى الإسلام لأنّ مَنْ لم يعرف الله لا تصح عبادته.

كذلك روايةُ القَدَم **فيضعُ فيها قدَمَهُ**[2] اهـ معناه الشّىء الذِى يُقدّمُهُ اللهُ لجهنم. كذلك قال أئمة اللغةِ القدمُ ما قدَّمَه اللهُ تعالى للنار ليس بمعنى أنّ له عضوًا فيُقدّم هذا العضوَ للنار أى يدخلُه فيها، تنزَّه ربنا عن أن يكون له عضو.

وقول أهل الحق لله عينٌ ليست كأعيننا معناه أنها صفةٌ. عينُ الله صفةٌ من صفاته كما يقال علم الله قدرة الله، ليس بمعنى العضوِ والجارحة. مَنْ حملَهُ على معنى الجارحة فقد شبَّه الله بخلقه. ومن تمويه هؤلاء المجسمةِ المشبهةِ أنهم يقولون لفظًا لله عينٌ لا كأعيننا ويدٌ لا كأيدينا ووجهٌ لا كوجوهنا ويعتقدون الجوارحَ والأعضاءَ فِى الله، هؤلاء خالف كلامُهم معتقدَهم فلا ينفعهم قولهم هذا فلا يكونون مُنَزّهِينَ لله

(١) رواه البخاريّ فى صحيحه بَابُ قَوْلِه ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾.
(٢) رواه البخاريّ فى صحيحه بَابُ قَوْلِه ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾.

بل هم مُشَبّهُونَ لله، فيدخلون تحت هذه الجملة التِى نقلها أبو جعفر الطحاوىُّ رحمه الله عن أهل السنة والجماعة الذين منهم أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسفَ القاضِى يعقوبُ بن إبراهيمَ الأنصارِىّ ومحمدُ بنُ الحسن الشيبانِىّ.

فالأشعريةُ مُعتقدُهُم معتقدُ السلف هو أن الله تعالى منزّه عن الجوارح والأعضاء والحدود والغايات والأركان.

وقد حدَث فِى عصرنا هذا مؤلفاتٌ والعياذ بالله تَسُوقُ الناس إلى اعتقاد الحدّ لله تعالى بالعبارة الصريحةِ تنطق بأن لله تعالى حدًّا فمن لم يؤمن أنَّ له حدًّا عندهم ليس مسلمًا. إلى هذا الحد وصلوا.

والحدُّ عن الله منفِىٌّ على لسان السلف كما أنه منفِىٌّ بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لأن كلَّ شَىْءٍ من الأجرام له حَدٌّ.

فالله تعالى لو كان له حَدٌّ لكان له أمثالٌ لا تُحصر لكان العرشُ مِثلًا له ولكان الإنسانُ مِثلًا له وكذلك البهائم والأحجار والأشجار والأرض والسموات والنجوم والكواكب لأن كلَّ هذه الأشياءِ لها حدٌّ فلو كان الله له حدٌّ لكان له أمثالٌ لا تُحصَى ولا تُحْصَرُ ولا تُعَدُّ فيناقض ذلك قولَه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. هو الله تبارك وتعالى نَفَى عن نفسه أن يكون له مِثلٌ على الإطلاق لا مثلٌ واحدٌ ولا أمثال كثيرٌ. نَفَى عن نفسه ذلك على الإطلاق. هؤلاء لفساد أذهانهم يقيسون الخالقَ على المخلوق. على زعمهم

الشَّىْءُ الموجودُ لا بد له من حَدٍّ لذاته فقاسوا الخالق على المخلوق فجعلوا له حدًّا وهم فِى ذلك اقْتَدَوْا بأسلافهم كابن تيمية ومن كان على شاكلته وهو أى ابنُ تيمية اقتدى بمن قبله من المجسمة المنتسبة للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه.

الإمام أحمد نفْسُهُ نقلَ عنه أبو الفضل التميمىُّ الذِى هو رئيس الحنابلة ببغداد فِى كتابه الذِى سماه اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل نقل عنه عبارةً صريحة فِى نَفِى الحدّ عن الله. هذا أبو الفضل التميمىّ قبل ابن تيمية بزمان وهو من رؤوس الحنابلة ومن كبارهم. لكن فِى عصر أبِى الفضل التميمىّ وقبله بقليل وبعده كان أناسٌ ينتسبون للإمام أحمد بن حنبل ويخالفونه فِى المعتقد. يُثبتون لله الحَدَّ. ابن تيمية لَحِقَ هؤلاء لم يلحق بأحمدَ ولا بالذين كانوا على طريقته بل انتسب انتسابًا إلى أحمدَ من غير موافقةٍ له فِى المعتقد بل وفِى الأعمال. خالفه فِى أشياءَ كثيرةٍ فِى نحو ست وثلاثين مسئلةً من جملتها إنكارُ التوسل برسول الله بعد موته بل وفِى حال حياته إلا أن يكون بحضرته بأن يقول فِى حضور رسول الله فِى حياته قبل موته اللهم أسألُك بمحمد أن تفعلَ بِى كذا وكذا هذا هو الجائز عنده. عنده التوسلُ بالرسول ﷺ لا يجوز إلا أن يتوسل الشخص به فِى وجهه فِى حياته بل يعتبر ذلك شركًا فخالف بهذا السلف والخلف.

الإمام أحمد بن حنبل ثبت عنه أنه قال عند القحط

وعند انقطاع المطر يَتوسلُ الداعِى الذِى يصلّى صلاة الاستسقاء بالرسول ﷺ. هذا نَصُّ أحمد. أحمدُ يرى هذا التوسل حسنًا وابنُ تيمية يراه حرامًا أو شركًا. انظروا إلى البُعد الذِى بين الرَّجلين. ومع هذا يقول ابنُ تيميةَ عن الإمام أحمد من باب الاعتزاز به لأنه معروف بالعلم والورع والزهد والحديث يقول عنه إمامُ هدى، وهو حقًّا إمامُ هُدًى، لكن ابن تيمية لم يتبعه إنما انتسب إليه انتسابًا. الإمامُ أحمد يقول مطلوب شرعًا عند القحط أن يتوسل الداعِى المستسقِى أى الذِى يطلب من الله المطرَ بالرسول هكذا كلام أحمد ثم جاء ابن تيمية بعده بقرون فخالفه وهو ينتسب إليه انتسابًا ويعتزّ به يقول إمامنا، وهذا من جملة تمويهات ابن تيمية أنه يقول عن أحمد بن حنبل إمامنا. إن كان أحمد بن حنبل إمامَهُ وهو تابع له لماذا يُحرّمُ أو يَجْعَلُ شركًا أمرًا اعتبره أحمد بن حنبل سُنة.

كذلك أحمد بن حنبل يَعتبر من حلف برسول الله فحَنِثَ أنَّ عليه كفارةً كما أن الذِى يحلف بالله ثم يحنَث عليه كفارةٌ، أما ابن تيمية يجعل الحلف بغير الله شركًا مطلقًا كالذِى يحلف بغير الله وهو يعظمه كتعظيم الله. هذا الأخير أى الحلف بغير الله مع تعظيمه كتعظيم الله هو المراد بحديث من **حلف بغير الله فقد أشرك**[1] اهـ

(١) رواه أبو داود فِى مسنده باب ذِكر الزَّجْرِ عَنْ أَنْ يَحْلِفَ الْمَرْءُ بِشَىْءٍ سِوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

أى من حلف بغير الله معظّمًا له كتعظيم الله فقد أشرك. أما الذِى يحلف بغير الله على غير ذلك الوجه فليس حرامًا فضلًا عن أن يكون إشراكًا. هذا مع أنَّ المعروف فِى مذهب الإمام أحمد بن حنبل أن الحلفَ بغير الله حرام لكنه مع ذلك جعل الحلف بالرسول مُثْبِتًا للكفارة عند الحِنْث.

أما أبو حنيفة رحمه الله فهو كان يَكْرَهُ أن يُقال أسألك بحَقّ فلان، يقول اللهُ ليس لأحدٍ عليه حقٌّ أى أمرٌ يَلْزَمُهُ وهو مجبور عليه، والأمر كذلك الله تعالى ليس عليه لأحد مِن خَلْقِهِ دَيْنٌ ولا حَقٌّ يَلْزَمُهُ يكون هو إن تركه ظالمًا، الله منزه عن ذلك، إنما الله تبارك وتعالى تفضل على عباده المؤمنين بأن يكرمَهم إنْ هم أَدَّوْا ما عليهم وسمَّى ذلك فِى بعض المواضع حقًّا، قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾[1] أى إننا نتفضل ونتكرم عليهم ليس المعنى أنه فرض على الله، لا شىءَ واجبٌ على الله فرضٌ. فإذًا يرجع كلام أبِى حنيفة فِى كراهيته لقول الرجل أسألك بحق فلان أن هذه العبارة بخصوصها توهم أنَّ على الله حقًّا لازمًا لغيره لا لأنه يمنع التوسل بأهل الفضل على الإطلاق. ثم غير أبِى حَنيفة يرى أن هذه العبارة لا تُوهم ذلك إنما معناها أسألك بما لفلان عندك من الفضل والكرامة أن تعطيَنا كذا وكذا، فالقول الصحيح الراجح هو أنه لا بأس بأن يقول المسلم اللهم إنى

(١) سورة الروم/الآية (٤٧).

أسألك بحقّ محمد أو بحقّ إبراهيم أو بحقّ موسى أو بحقّ عليّ بن أبِى طالب أو بحقّ أبِى بكر أو نحوَ ذلك، هذا هو القول الصحيح الراجح، أما أبو حنيفة فرأيه أن قول اللهم إنِى أسألك بحق فلان يوهم أنّ على الله حقًّا لازمًا له لغيره من عباده ومن هنا كان يتحاشَى هذه العبارة ويكرهها لكنها فِى الحقيقة ليست كذلك لأنه لا يُفهم منها عند المسلمين فِى أدعيتهم ذلك المعنى الذِى حَذِرَهُ أبو حنيفة رحمه الله إنما يُفهم منها أنَّ هذا سؤالٌ لله تبارك وتعالى بما لفلان من عباده الصالحين عنده من الكرامة والدرجة.

ولم يكن بين المسلمين إنكارٌ للتوسل بالرسول فِى حضوره وفِى غير حضوره فِى حياته وبعد وفاته. المسلمون مُجمِعون على جواز ذلك، وعلى هذا كان أصحاب رسول الله.

كان الرسول ذات يوم جالسًا مع جمع من أصحابه فجاءه رجل أعمى فقال يا رسول الله ادعُ اللهَ لِى أن يكشف عن بَصَرِى قال **إنْ شئتَ صبرتَ وإنْ شئتَ دعوتُ لك** قال إنه شق عليَّ ذهابُ بصرِى وليس لِى قائدٌ قال له **ائتِ المِيضَأَةَ** أى محل الوضوء **فتوضأ وصلّ ركعتين ثم قل اللهم إنّى أسألك وَأَتَوَجَّهُ إليك بنبيك محمد نَبِىّ الرحمة يا محمدُ إنّى أتوجه بك إلى رَبّى فِى حاجتى هذه لِتَقْضِيَها** فذهب الرجل ففعل ذلك أى خرج من عند الرسول فتوضأ وصلّى ركعتين ثم قال هذه الكلمات مِنَ التوسل بالرسول ﷺ أى من سؤال

الله تعالى برسوله محمد ﷺ فَفُتِحَ بَصَرُهُ فعاد إلى الرسول ﷺ وهو لم يفارق مجلسه، يقول رَاوِى الحديث عثمانُ بن حُنَيْف الذِى كان مع الرسول ﷺ عندما سأل هذا الأعمى قال فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر[1] اهـ المعنى ظاهرٌ أن هذا الرجلَ ما قال هذه الكلمات فِى وجه رسول الله بل تغيب عنه فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم دخل. وهذا ينقض كلام ابن تيمية بأنه لا يجوز التوسل إلا بالحىّ الحاضر.

ثم هذا الصحابِىُّ عثمان بن حُنيف بعد وفاة الرسول عَلَّمَ رجلًا كانت له حاجةٌ عند عثمانَ بنِ عفانَ أن يتوسل بهذا التوسل ففعل الرجل فَقَضَى له عثمانُ حاجتَه. قبل أن يفعل هذا كان عثمان من شدّة شغل باله كان يَنْسَى ما كان يلتفت إليه لكن ببركة هذا التوسل بالرسول حَرَّكَ اللهُ عثمان بن عفان فقضى له حاجته، اعتنى به، اللهُ تعالى جعل قلبه يعطف على هذا الرجل فقضى له حاجته.

وهذا الحديث صحيح عند أهل الحديث لكنّ مُنَاصِرِى ابنِ تيمية فِى عمًى عن هذا الفهم.

نعود إلى قولِ الإمام أبِى الطيب سهل بن محمد رضى الله عنه أعمالنا أعلام الثواب والعقاب[2] اهـ

(١) رواه الطبرانى فِى معجميه الأكبر والأوسط باب مَا أَسْنَدَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ.

(٢) رواه البيهقى فِى الاعتقاد والهداية عن أبِى الطيب سهل بن محمد =

أعلام جمع عَلَم أى علامةٍ يعنى أنَّ أعمالنا التِى نعملُها من حسنات وسيئات أى من طاعات وقُرُبَات لله تعالى ومن معاصٍ بما فيها من الكفر أعلامٌ أىْ علاماتٌ للثوابِ والعقاب وذلك بما أنه ثبت عند أهل الحق أن الله تبارك وتعالى شاءَ وعَلِمَ وقدَّر ما يفعل العباد، فَمَن عَلِمَ اللهُ تعالى وشاء أن يكون طائعًا له فلا بُدَّ أن يكون كذلك ومن علم الله وشاء أن يكون عاصيًا له فلا بد أن يكون كذلك.

فإذًا الأعمالُ أى الطاعاتُ التِى نفعلُها والمعاصِى التِى يفعلُها العبادُ علاماتٌ على أنَّ هذا يُثاب بالنعيم المقيم وهذا يُجازَى بالعذاب المقيم، فالثواب فضلٌ من الله والعقابُ عدلٌ منه ليس ظلمًا. وإنما قلنا إن هذه علامات لأن أعمال العباد هذه ليست بخلقهم بل بخلق الله، الله يخلقها فيهم، فالمؤمنون إيمانهم وطاعتهم بخلق الله فيهم، لم يخلق أحد منهم شيئًا من ذلك، والكافرون والعصاة لم يخلقوا شيئًا من ذنوبهم مِن كُفْرٍ ومعاصٍ دون الكفر بل الله خالق ذلك كله. فإذًا هذه الأعمالُ علاماتٌ لكون هذا الفريق من أهل النعيم المقيم حيث تفضل عليه بأن وفّقه للأعمال الصالحة أىْ للإيمان وما يتبعه وهو حصل للعباد بخلقه فالله تعالى هو الذِى ألهم الطائعين الطاعات فعملوها فإذًا هم ليسوا مستوجبين على الله تعالى من باب الإيجاب اللُّزومِىّ أن

= بَاب الْقَوْل فِى خَلْقِ الْأَفْعَالِ، وفى القضاء والقدر بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِى ءادَمَ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ سَعَادَتُهُ وَشَقَاوَتُهُ.

يعطيهم ذلك الثوابَ بل هو متفضلٌ عليهم بالثواب، كما أنه متفضل عليهم فِى الدنيا بخلق تلك الحسنات فيهم فله الفضل على عباده المؤمنين فِى الدنيا والآخرة، فِى الدنيا وفّقهم وألهمهم هذه الطاعات وخلقها فيهم وفِى الآخرة ءَاتَاهُمْ فضلًا منه الثوابَ الجزيلَ، النعيمَ المقيم الذِى لا يَنفَدُ ولا ينقطعُ مع كونه ليس ملزَمًا بأن يعطيَهم الثوابَ على عملٍ هو خلقه فيهم.

وكذلك إذا عاقب أولئك العصاةَ على تلك الأعمالِ من كفر وما دونه فِى الآخرة لا يكون ظالمًا لهم، لا يُقال جارَ اللهُ عليهم لأن الله تبارك وتعالى تصرف فِى خلقِه الذِى هو ملكُه. اللهُ مالكٌ حقيقيٌّ للعباد فأنَّى يكون ذلك ظلمًا وجورًا.

فهذا معنى قولِ أبِى الطيب سهل بن محمد أعمالُنا أعلامُ الثوابِ والعقابِ والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الثامن عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذير من الغلو ومن عقيدة الوحدة المطلقة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررى فِى بيته وهو فِى بيان وجوب البعد عن الغلوّ وفى التحذير من عقيدة الوَحدة المطلقة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وخاتمِ النبيين.

أما بعدُ فقد رُوّينا بالإسناد الصحيح أن رسول الله ﷺ قال **إنَّ مُحَرّمَ الحلالِ كَمُسْتَحِلّ الحرام**[1] اهـ **إنَّ مُحَرّمَ الحلالِ كَمُسْتَحِلّ الحرامِ** اهـ **إنَّ مُحَرّمَ الحلالِ كَمُسْتَحِلّ الحرامِ** اهـ

فَفِى هذا الحديث الأمر لأمة رسول الله ﷺ بالاعتدال. يجب على المسلم أن يكون قولُهُ معتدلًا فِى التحليل والتحريم فلا يجوز الشَّطَطُ لأن الشطط مِن الغُلوّ الذِى نَهى عنه اللهُ ورسولُهُ قال الله تعالى فِى سورة النساء ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[2]

(١) رواه البيهقىّ فى السنن الكبرى بَابُ مَا جَاءَ فِى الضَّبِّ.
(٢) سورة النساء/الآية (١٧١).

وقال رسولُ الله ﷺ **إيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فإنَّ الغُلُوَّ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ**[1] اهـ

فيجبُ الاحتياطُ فِى الحكمِ على الكلمات التِى ظواهرُها كفرٌ ويجب ترك الحكَمِ بالكفر لأجل كلمةٍ تصدر من مسلم قبل معرفة ما يفهمه هذا الإنسان من هذه الكلمة فإنْ عَرَفَ أنه يفهم منها المعنى الذِى هو كفر حُكم على قائلها بالكفر بشرط أن لا يكون تكلم بها على وجه سَبْقِ اللسان، فإذا تحقق ذلك أى أنّ الشخص الذِى نطق تلك الكلمة يفهم منها المعنى الكفرىَّ ولم يكن نُطْقُهُ بها عن سبقِ لسانٍ ولا عن إكراهٍ ولا عن حكايةٍ لقول الغير عندئذ تعيّن الحكمُ على قائلها بالكفر.

وذلك أن كثيرًا من الكلمات أحدثها أناسٌ بمعنًى كفرىّ وكانوا يقصدون بها ذلك المعنى الكفرىَّ ثم تصير بمرور الزمان صار أناسٌ ءاخرون يَلْفِظُونَ بها وهم لا يفهمون منها ذلك المعنى الذِى قصده أولُ مَنْ أحدثَ ذلك اللفظَ.

فقولُ كثيرٍ من الناس لا موجودَ إلا اللهُ أو ما فِى الوجودِ إلا اللهُ أو هو الكُلُّ مثلًا هذه الكلماتُ الثلاثُ أحدثها فِى بَدْءِ الأمر أناسٌ ملحدون يدّعون التصوفَ وهم عقيدتُهم ضِدُّ التوحيدِ ضِدُّ الإسلام لأنَّ كثيرًا من المتصوفة فِى السلف وفِى الخلف تَسَتَّرُوا باسم التصوف وهم ملحدون فاسدو العقائد، منهم من يعتقد

(١) رواه ابن ماجه فِى سننه بَابُ قَدْرِ حَصَى الرَّمْي.

أنَّ الله هو جملةُ الموجوداتِ وهؤلاء يقال لهم أهل الوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ ويقال لهم أهل وَحدة الوجود، أخذوا هذه العقيدة من قدماء اليونانيين لأنَّ اليونان كان عندهم عقائدُ متعددةٌ منها عقيدة الوحدة المطلقة هذه، يَرَوْنَ أنَّ اللهَ تعالى هو الوجودُ المطلقُ وأنواعَ العالم أجزاءٌ منه وقد يقولون تعيناتٌ لله وهذا من أكفر الكفر، ثم بعد ذلك أناسٌ مسلمون صاروا يلفظون بهذه الكلمة لا موجود إلا الله وهم لا يفهمون منها هذا المعنى الذِى هو كفرٌ إنما يفهمون منها أنَّ الله هو مدبرُ العالم، لا يفهمون منها أنَّ اللهَ جملةُ العالم جملةُ الموجودات لا يعلمون أنها لا تعطِى إلا هذا المعنى.

كذلك الكلمة الأخرى ما فِى الوجود إلا الله هذه أيضًا كثيرٌ من عوامّ المسلمين يفهمون منها أنه لا مدبر للعالم إلا الله. كذلك الكلمة الثالثة هو الكلُّ هذه أيضًا يلفظ بها كثيرٌ من العوامّ الذين يتشبهون بالصوفية من غير فَهْم معناها الأصلىّ الذِى وُضعت له عند أولئك الملحدِينَ.

فإذا سمع أحدُنا من شخصٍ ظاهرُهُ الإسلامُ إحدى هذه الكلماتِ الثلاثِ لا يَنْبَغِى أن يَتسرعَ ويحكمَ عليه بالكفر نظرًا لمعانيها الأصلية حتى يعرف ماذا يفهم منها.

أما من يقصد بها مَعَانِيَهَا الأصلية فهو كافرٌ بل من شَكَّ فِى كفره فهو كافر. وكثير من الكتب التِى أُلِّفَتْ باسم التصوف فيها كفريات.

ثم مِن جملةِ مَن ينتسبُ للطريقة النقشبندية أو الشاذلية أو القادرية مَنْ يُصَحّحُ هذه الكلماتِ بدعوى التأويل وهو يفهم المعنى الأصلىَّ لكنهم يَدَّعُونَ أنَّ لها معنًى ءَاخَرَ وهؤلاء معاندون يدافعون عن هذه الألفاظ وهم يعلمون مَعَانِيَها الأصلية فالحذرَ الحذرَ منهم.

قبل خمس وعشرين سنة رأيت كتابًا أُلِّفَ فِى الصلاة على النبىّ ﷺ فيه هذ الجملة اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد الذِى شهد وَحْدَتَكَ فِى كَثْرَتِكَ اهـ معناه أنتَ واحدٌ وكثيرٌ، يقول هذا المؤلف وهو طرابلسىٌّ مِنْ ءَالِ مرحبا إنَّ الرسول علم أنَّ الله واحدٌ وكثيرٌ. كان هنا وفِى الشام وفِى مصر وفِى اليمن أناس هذه حالتهم. هذا الكفر الصريح يعتبرونه تصوُّفًا والعياذ بالله. فالحذرَ الحذرَ من كثير من هذه الكتب المؤلفة باسم التصوف.

وكذلك يجب الحذرُ من استحسانِ طريقة الحلّاج. هذا الحلاج كان فِى القرن الثالث الهجرىّ ثم قُتل بعد نحو تسع سنوات من تمام القرن الثالث الهجرى، كان يقول أنا الحقُّ وكان يقول كلماتٍ أمثالَ هذه منها ما يُوهِمُ أنَّ الله هو عينُ المخلوق ومنها ما يوهم أن الله تعالى حالٌّ فِى المخلوقاتُ.

وأكثر ما وُجِدَ مِثْلُ هذا الكلام فِى المنتسبين للطريقة الشاذلية فإن المنتسبين للطريقة الشاذلية المتأخرين عن مؤسس الطريقة الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ رضى الله عنه بنحو ثلاثمائة سنة حدث فِى بعضهم هذا الأمر ثم

منذ نحو ثمانين سنة زاد هذا الأمر فيهم. توجد فرقة تنتسب للطريقة الشاذلية يقال لهم اليَشْرُطِيَّةُ، هؤلاء ينتسبون لشيخ يقال له عليٌّ نورُ الدّين اليَشْرُطِيُّ، هو تونسيٌّ قدم إلى فلسطين ونزل بِعَكَّا فصار له أتباع، ثم هؤلاء الأتباع أكثرُهم انحرفوا فكفروا أشنع كفر، يعتقدون أنَّ الله داخلٌ فِى كل رجل وأنثى حتى إنهم لا يرون غُسل الجنابة واجبًا لأنهم يعتقدون أن الفاعلَ والمفعولَ به شىءٌ واحدٌ، لهم وجودٌ نساء ورجال فِى نحو ثلاث قُرى من البقاع، وفِى بيروت لهم وفِى سورية فِى نحو ثلاثِ قرى، يُقال لهم اليشرطية، وينتسبون إلى هذا الشيخ الذِى يقال له عليٌّ نور الدين اليشرطىّ. قال بعض من ترجم هذا الشيخ كان الشيخ على خيرٍ وصلاح إنما أتباعه شَذُّوا عن منهجه وانحرفوا فكفروا هذا الكفر الشنيع.

كانت قبل خمس وعشرين سنة امرأةٌ من هؤلاء بيروتية يقال لها زينب بَعْيُون كان تحتها ثمانون مريدةً قالت لرجلٍ كانَ خطيبَ جامعِ الأوزاعىّ أنتَ الله وهذا الجدارُ اللهُ وأخبرنى هذا الخطيب بذلك فكتبتُ لها ورقةً قلتُ فيها بَلَغَنِى أنكِ قلتِ كذا فإن كان هذا حصل منك فأنت كافرة وإن لم يكن حصل منكِ فبرئى نفسَكِ وإلا لا يَسَعُنَا السكوتُ عن التحذير منكِ فخافت فقالت أعوذ بالله أنا عبدةٌ لله ثم بعد ذلك تظاهرتْ بإنكار هذا.

فالحذرَ الحذرَ مِن مطالعة كثيرٍ من الكتب التِى أُلفت

باسم التصوف علمًا بأنه أُلف فِى التصوف كتبٌ خاليةٌ من هذه الكفريات. الجنيدُ رَضِىَ الله عنه الذِى هو سيد الطائفة الصوفية أوصى بأن تُدفن كتبُهُ التِى ألفها فِى التصوف فقيل لماذا قال أحببتُ أن لا يرانى الله وقد تركتُ شيئًا منسوبًا إلىّ وعلمُ رسول الله بين ظَهْرانَيْهم اهـ معناه أنا أَسْتَحِى مِنَ الله أن أشغلَ الناسَ بتآليفِى هذه وحديثُ رسول الله بين أيديهم. والجنيد هو سيد الصوفية فِى زمانه وكلُّ من جاء بعده وكان صوفيًّا حقيقيًّا فهو على منهجه ومَنْ لم يكن على منهجه فهو ليس صوفيًّا متحققًا إنما هو مُتَشَبِّهٌ.

ثم من الكتب التِى فيها هذا كفرُ وحدةِ الوجود والحلولِ كتابٌ يُسَمَّى الإنسان الكامل، هذا الكتاب منسوب لعبد الكريم الجيلىّ وهو غير الشيخ عبد القادر الجيلانىّ. هذا الكتاب فيه من الكفر هذه العبارة النصارى أخطأوا حيث جعلوا الألوهيةَ فِى شخص واحد أما لو جعلوا الألوهيةَ فِى كل شىء لم يخطئوا اهـ كُفْرُ النصارى عنده خطأٌ لأنهم يقولون فِى عيسى فقط هو الله ما قالوا كلُّ شخصٍ هو الله أو جزءٌ من الله.

نحن والحمد لله مع السَّلَفِ والخَلَفِ، لسنا كهؤلاء الكاذبين الذين يسمون أنفسهُم سلفية وهم لا من السلف ولا من الخلف، مَنْ هم؟ هم الوهابية، هؤلاء سَمَّوْا أنفسهم ترفعًا على الناس سلفيةً وهم مخالفون للسلف والخلف. احمدوا الله على أنْ جعلنا من أهل السنة الموافقين للسلف والخلف احمدوا الله على أن

هيأ لكم تَعَلُّمَ عِلْمِ أهل السنة عقيدة أهل السنة التى كان عليها الرسولُ وأصحابه ومَن تَبِعَهُمْ مِن السَّلَفِ والخَلَفِ.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين. بارك الله فيكم.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس التاسع عشر



التحذير من القاديانية

هَذا تحذيرٌ مِنَ القاديانيّةِ كَتَبَهُ بعض تلامذة الشّيخ عبدِ اللهِ بنِ محمّدٍ الهررىّ رحمهُ اللهُ تَعالى بطلبِهِ وتوجيهِهِ ثمَّ قرأهُ عليهِ فِى سويسرة فِى ذِى القَعدة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لشهر شباط سنة ألفين ر فغيّرَ كلمةً فيهِ فصَارَ التّحذيرُ كالآتى

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ يَهدِى مَن يشاءُ فضلًا وَيُضِلُّ مَن يشاءُ عَدلًا وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدِنا محمّدٍ النّبىّ الخاتم الذِى لا يُبعث نَبِىٌّ بعدَه ولا يَنْسَخُ شرعٌ شرعَهُ.

أما بَعدُ فقَد ظَهرَ منذُ نحوِ مائةِ سنةٍ رجلٌ من بَلدةِ قاديان فِى الهند يُسَمَّى غلام أحمد القادياني ادَّعى النّبوّة وتبِعَهُ على دَعواهُ طائفةٌ يُسمَّونَ بالقاديانيّةِ أو الأحمديّةِ وادَّعى هوَ وأتباعُه معَ ذلكَ الانتسابَ إلى الإسلامِ بَل ادَّعوا أنّهم صفوةُ المسلمين ومنذُ ذلكَ الوقتِ وهُم يحاولونَ نشرَ عقائدِهِم بينَ المسلمينَ ليَخدَعوا السُّذَّجَ ضِعافَ العلمِ والإيمانِ وهم يَدَّعُونَ فِى كُلِّ ذلكَ الالتزامَ بالدين الإسلامىّ والشريعة المحمدية مَكْرًا وزُورًا فرأينا أنهُ لا بدَّ من بيانِ حالهم ولو فِى وَرَقةٍ أو ورقتينِ دَفعًا لشرّهم ودَرْءًا لفتنتِهم وقيامًا بواجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهىِ عنِ المنكرِ. ولَسْنَا أوّلَ مَن حذَّر مِن هذهِ الطّائفة

المنحرفةِ وإنّما سبَقَنا كثيرونَ مِن علماءِ المسلمينَ لا سيّما فِى بلادِ الشّامِ ومصرَ والهندِ والباكستانِ جَزاهم اللهُ عنِ الإسلامِ والمسلمينَ خيرًا.

فـمِن مقالاتِ القاديانيّة الشّاذّةِ عمّا أطبقَ عليهِ المسلمونَ كُلُّهُمْ

أولًا ادّعاءُ زعيمِهم ومؤسّسِ نِحْلَتِهِمْ غلام أحمَدَ القاديانِىّ للنّبوّةِ صَراحةً كما فِى رسالتِهِ المسمّاة تحفة النّدوةِ التِى وجّهَها سنةَ اثنتينِ وتسعمائةٍ وألفٍ روميّةٍ إلى أعضاءِ ندوةِ العلماءِ فِى لكهنؤ فإنهُ قالَ فكما ذكرتُ مرارًا أن هذا الكلام الذِى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرءان والتوراة وأنا نبىٌّ ظِلّىٌّ وبُروزىٌّ مِن الله ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيحُ الموعودُ اهـ فقولُهُ هذا كفرٌ بإجماعِ المسلمينَ لأنّهم أطبَقوا منذُ أيّامِ الصّحابةِ الذينَ قَتَلُوا مُسيلمةَ الكذّابَ إلى أيّامنا على أنَّ كلَّ مَن ادَّعى أنهُ بُعِثَ نبيًّا بعدَ سيّدنا محمّدٍ ﷺ هوَ كافرٌ كذّابٌ سواءٌ زعَم أنهُ نبِىٌّ ظلِّىٌّ أم نبِىٌّ مُستَقِلٌّ وذلكَ لأنَّ اللهَ تعالى قالَ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1] ولا يَدفعُ عنهُ الكفرَ تمويهُهُ بتفسيرِ الآيةِ أنَّ معنى ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ زينةُ النبيّينَ لأنَّ هذا كلامٌ ركيكٌ يتنزّه القرءانُ عنهُ. ويَكْفِى فِى إبطالِ دعواهُ هذهِ حَديثُ مسلمٍ **وخُتمِ بِى النّبيّونَ**[2] اهـ وحديثُ البخارىّ الثّابتُ المعروفُ

(١) سورة الأحزاب/الآية (٤٠).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

ولكنْ لا نبِىَّ بعدِى[1] اهـ فإنّهما معَ غيرِهما منَ الأحاديثِ يُبيّنانِ بيانًا شافيًا مَعنى الآيةِ ولذلكَ تواترَ بينَ المسلِمينَ وعُلِمَ بينهم بالضّرورةِ أنَّ كلَّ مَنِ ادّعى النّبوّة بعدَ سيّدنا محمّدٍ ﷺ فهوَ كافرٌ لا يخفَى ذلكَ على جاهلٍ منهُم ولا عالمٍ.

ثانيًا يَدَّعِى غلامُ أحمد أنهُ أفضلُ مِن كلّ الأنبياءِ الذينَ كانوا قبلَ سيّدنا محمّدٍ ﷺ فيَقولُ فِى الجزءِ الرّابع مِن كتابِ الملفوظاتِ الأحمديّةِ فِى الصّحيفةِ الثّانيةِ والأربعين بعدَ المِائةِ كانَ قبلَ ذلكَ كلُّ واحدٍ منَ الأنبياءِ ظلًّا للنّبِىّ الكَريم محمّدٍ ﷺ فِى البَعضِ مِن صفاتهِ والآنَ أنا ظِلٌّ له ﷺ فِى جميع صفاته اهـ بل يَدَّعِى هذا المجنونُ تفوّقَهُ حتى على سيّدنا محمّد ﷺ وأنَّ صفاتِهِ أرقى وأكمل فيقولُ فِى خُطبتهِ المسماةِ بالخُطبةِ الإلهامية فكذلك طلعت روحانية نبينا محمد فِى الألف الخامس بإجمال صفة أو ما كان ذلك الزمان منتهى ترقياتها ثم كملت وتجلت تلك الروحانية فِى ءاخر الألف السادس أعنى فِى هذا الحين اهـ

وقالَ فِى المُسمَّى ملحق حقيقة الوحى فِى الصّحيفةِ الثّانيةِ والثّمانينَ منهُ وءاتَانِى ما لم يُؤْتِ أحدًا من العالمين اهـ وهذا منهُ تكذيبٌ صريحٌ لقولِ اللهِ تعالى إخبارًا عَن أنبيائهِ ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾[2] وهوَ كفرٌ بالإجماعِ لا يخفَى على مسلمٍ. ليسَ هذا فقط

(١) رواه البخارىّ بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ.

(٢) سورة الأنعام/الآية (٨٦).

بل يقولُ القاديانيُّ فِى الصّحيفةِ الخامسةِ والتّسعينَ مِن براهين أحمدية وفِى الصّحيفةِ الخامسةِ والسّتينَ بعدَ الخَمْسِمِائَةِ من كتابهِ ءاينة كمالات إسلام إنى رأيت فِى المنام أنى مثلُ الله وتيَقَّنْتُ أنّى هو ثم خلقتُ السمواتِ والأرضَ وأُوحِىَ إلىَّ إنما أمرُك إذا أردتَ شيئًا فتقول له كن فيكون اهـ

ثالثًا يستهزئُ القاديانيُّ بالمسيحِ عيسَى ابنِ مريمَ عليهِ السّلامُ فيقولُ فِى دافعِ البلا تائتل ييج ءاخرى ولكن المسيح فِى عصره لم يَكن فائقًا فِى صدقه على سائر الصادقين بل كان يَحْيَى النبىُّ أفضلَ منه لأنه لا يشرب الخمر وما سُمع منه أن المرأة الفاحشة تُطَيِّبُ رأسه مِنْ كَسْبِهَا وتمسح بدنه بشعرها وما سُمع منه أنَّ المرأةَ الشابَّةَ غيرَ المَحْرَم تَخْدُمُهُ ولهٰذا سَمَّى اللهُ تعالى فِى كتابه يحيى باسم الحَصُورِ ولم يُسَمّ المسيحَ بهذا الاسم لأنَّ مثلَ هذه الوَقائعِ كانت مانعةً مِن تسميته باسم الحصور اهـ قُلنا لَا يَخفَى على مؤمنٍ أنَّ الطّعنَ بأىّ نبىّ منَ الأنبياءِ كفرٌ بالإجماعِ.

رابعًا معلومٌ للقاصِى والدّانِى أنَّ المتنبّئَ غلامَ أحمد القاديانيَّ كانَ عميلًا للإنكليز حاولَ طيلةَ عمرِهِ خدمَتَهم وسعَى جُهدهُ لِيَثْنِىَ المسلمينَ عنِ الجهادِ ضِدَّهُمْ وفِى سبيلِ ذلكَ كذَّبَ الشّريعةَ المحمّديّةَ وحرّفَ أحكامَها فقالَ فِى كتابِهِ المسمّى بالخُطبة الإلهامية فِى ما ادَّعَى أنه وحىٌ مِن اللهِ إنَّ الإنكليز أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان وهل جزاءُ الإحسانِ إلا الاحسانُ فحرامٌ علينا

وعلى جميع المسلمين محاربتُهم اهـ

وقالَ فِى كتابهِ المسمَّى تبليغ الرسالة فِى الصحيفة السابعة بعد المِائَةِ منه أتَمَسَّكُ بخمسةِ مبادئ ثم ذكر منها تحريمَ الجهاد ووجوبَ طاعة الإنكليز اهـ وقالَ فِى الصّحيفةِ الثّانيةِ والسّتينَ مِن نفسِ الكتابِ أَلَّفْتُ كتبًا بالعربية والفارسية عن محاربة فكرة الجهاد ووُزّعَتْ فِى جميع البلادِ العربيةِ والشام ومصرَ وبغدادَ وأفغانستان وأتأكد أنها تُعْطِى تأثيرَها عاجلًا أو ءاجلًا اهـ قُلنا لَا يَرتابُ مسلمٌ فِى أنَّ كلامَهُ هذا كفرٌ لأنَّ فيهِ تَكذيبًا للدّينِ وَردًّا لآياتٍ قرءانيةٍ عديدةٍ منهَا قَولُ اللهِ تَعالَى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(١).

وفوقَ كُلّ ما تَقدَّمَ يُشَبّهُ المتنبّئُ القاديانيُّ اللهَ تعالى بالمخلوقات فيَنسبُ لهُ الجوارحَ والأعضاءَ ويُنْكِرُ القَدَرَ ويَدَّعِى أنَّ المعاصِىَ تحصل غصبًا عن مشيئة الله ويُنْكِرُ خلودَ العذابِ للكفّارِ بالنّارِ وكلُّ ذلكَ كفرٌ بل يُضَلّلُ الأمّةَ المحمّديّةَ كلَّها فيقولُ فِى ما نشرَه فِى الخامسِ والعِشرينَ مِن أيار بسنّةِ تسعمائةٍ وألفٍ روميَّةٍ فِى معيارِ الأخبارِ فِى ما يزعُم أنّهُ أُوحِىَ إليهِ الذِى لا يَتبعك ولا يدخل فِى بيعتك ويبقى مخالفًا لك عاصٍ لله ولرسوله وجَهَنَّمِىٌّ اهـ ولذلكَ يقولُ ولدُهُ المتنبئُ بعدَه ميرزا بشيرٌ فِى كتابه ءاينة صداقت فِى الصحيفة الخامسة والثلاثين منه إنّ كلَّ مسلم لم يدخل فِى بيعة المسيح الموعود

(١) سورة الأنفال/الآية (٣٩).

يَعْنِى أباهُ سمع باسمه أو لم يسمع كافرٌ وخارجٌ عن دائرة الإسلام اهـ قُلنا الذِى يُكَفِّرُ الأمةَ الإسلاميّةَ هوَ المستحقُّ للتّكفيرِ والذِى يَرميها بالضّلالِ هوَ الضّالُّ بلَا رَيبٍ. وبعدَ ما تقدَّم لَا يَبقى شكٌّ ولا لَبسٌ فِى حقيقةِ دعوةِ القاديانيّةِ ويَظهرُ لأدنى متأمّلٍ مَنِ الذِى يَدعمُهم ويحرّكُهم ومَنِ الذِى يَعتقدُ أنَّ لهُ مأربًا فِى انتشارِ ضَلالهم فِى بلادِ الإسلامِ وَقَى اللهُ المسلمينَ شُرورَهُمْ. ءَامِين.

وهذا كافٍ أى للتّحذيرِ منهُم.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس العشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذير من الوهابية

درس أعطاه الشيخ الأصولِيُّ المُحَدّثُ عبدُ الله بن محمد الهررِيُّ فِى السابع من ذى القعدة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للثانِى عشر من شهر شباط سنة ألفين ر فِى بيت أحد الصوماليين فِى مدينة لوزان فِى سويسرة وهو فِى التحذير من الوهابية. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى ءاله الطيبين.

وأما بعد فإنَّ أهمَّ أمورِ الدين الثباتُ على العقيدة التى كان عليها الرسول والصحابة ومَن تَبِعَهُمْ إلى يومنا هذا. عقيدةُ أهل الحق لم تنقطع بل هى متصلةٌ من أيام الرسول إلى يومنا هذا لكن انحرف عنها ناس. مِن الذين انحرفوا عن هذه العقيدة الوهابيةُ وحزبُ الإخوان وحزبُ التحرير. هؤلاء الفرقُ الثلاثُ مُنْدَسُّونَ اليومَ بين الناس فِى بلاد العرب وغيرها. هذه الوهابيةُ أشهرُها وأكثرُها تأثيرًا لأنَّ معهم مالًا يفتنون الناس. ثم حزب الإخوان جماعة سيد قطب هؤلاء فتنتهم كبيرة ثم حزب التحرير هؤلاء فتنتهم كبيرة لكن أقل من الوهابية.

الوهابية ضلالها معروف يعتقدون أنَّ اللهَ جسمٌ قاعدٌ

على العرش. الله تعالى قال فِى القرءان الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) أى أنَّ الله لا يشبه العالم بأىّ وجهٍ مِن الوجوه لأنَّ العالَمَ حجمٌ كثيفٌ وحجمٌ لطيفٌ واللهُ لا يكون حجمًا كثيفًا ولا لطيفًا كالعالَم. الحجمُ الكثيفُ والحجمُ اللطيفُ لم يكن له وجود قبل أن يخلقه الله ما كان نورٌ ولا ظلامٌ ما كان عرشٌ ولا سماءٌ كانوا معدومِينَ ثم أوجدهم الله. فالله الذِى كان قبل هذا كلّه لا يشبه المخلوقَ الذِى هو خَلَقَهُ. فالله تعالى موجود لا يشبه شيئًا من الموجودات لا هو كالروح والنور والظلام ولا هو كالشجر والنجم والشمس والقمر ولا هو مُتَّصِفٌ بصفاتها. الحجم الكثيف والحجم اللطيف له حركةٌ وسكونٌ مُتَحَيِّزٌ فِى جهةِ فوقٍ أو فِى جهةِ تحتٍ واللهُ لا يكون هكذا. لو كان حجمًا كثيفًا لكان له أمثال كثيرٌ ولو كان حجمًا لطيفًا لكان له أمثال كثير. ثم هو ليس متصفًا بصفات هذا الحجم الكثيف أو الحجم اللطيف. الحجم إن كان كثيفًا وإن كان لطيفًا إما متحركٌ وإما ساكنٌ ومِن الحجم ما هو متحرك دائمًا ومن الحجم ما هو ساكن دائمًا ومن الحجم ما هو ساكن مرة ومتحرك مرة والله ليس كهذا كله.

لا يوصف الله تعالى بصفات الخلق كالحركة والسكون ولا يوصف بأنه فِى جهة فوق أو تحت مُنَزَّهٌ عن هذا كلّه. وقد رُوِىَ عن رسول الله ﷺ **لا فِكْرَةَ**

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

فِى الرَّبّ(١) اهـ معناه الله تعالى لا يجوز أن يُتَفَكَّرَ فِى ذاته إنما يُتفكر فِى مخلوقاته. ننظر فِى حال الأرض وفِى حال الجَوّ فنأخذ من ذلك أن الله تبارك وتعالى هو أوجد هذه الأشياء بعد أن كانت معدومةً فهو إذنْ لا يشبهُها.

الله أمرنا بهذا التفكر فِى مخلوقاته لأن الإنسان إذا تفكر فِى نفسه يعرف أنه لم يكن ولا يعرف نفسه إلا منذ زمن فيستنتجُ من هذا فِى قلبه أنه وُجِدَ بعد أن لم يكن موجودًا فأىُّ شىء يكون موجودًا بعد أن لم يكن موجودًا لا بد له مِن مُوجِدٍ خلقه. هذا التفكر فِى مخلوقات الله ينفعُ أما التفكر فِى ذات الله لا يجوز لأن الله لا يشبه المخلوقات.

الله تعالى لا يشبه الشىءَ الذِى له ألوانٌ لأنَّ اللون صفة المخلوق والحركةُ والسكونُ صفةُ المخلوق ولا سيما الجلوس. الجلوس صفة الإنسان والبقر والجن والملائكة. هؤلاء من صفاتهم الجلوسُ فكيف يكون الله تعالى قاعدًا على العرش كما تقول الوهابية. هؤلاء شتموا الله ما مدحوه. عندهم عندما يقولون اللهُ قاعدٌ على العرشِ هذا تعظيمٌ عظيم لكنه فِى الحقيقة شَتمٌ لله لأنهم جعلوه كالبشر والبهائم. الجلوس لا يكون إلا لشىء له جزءٌ أعلى وجزءٌ أسفل وهذا مُركَّبٌ والمركبُ يحتاجُ إلى مَن ركَّبه، الإنسانُ مثلًا هل هو

(١) رواه أبو القاسم الأنصاريّ فِى تَفسيره فِى تفسير قولِ اللهِ تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾.

أوجد نفسه اختار أن يكون على هذه الهيئة جسمًا له نصفان أعلى وأسفل، لا إنما وَجَدَ نفسه جسمًا له نصفان نصف أعلى ونصف أسفل، فربُّ العالمين لا يجوز عليه أن يكون جسمًا كهذا. ومن اعتقد أنه جسمٌ قاعدٌ على العرش ما عرف الله ومن لم يعرف الله لا تصح عبادته. الإمام الغزالى قال رحمه الله لا تصح العبادة قبل معرفة المعبود اهـ فلذلك تنزيهُ الله عن مشابهة الخلق أهمُّ أمور الدين، لا تصح معرفة الله بدون ذلك.

ثم من ضلالات الوهابية أنَّ مَن يقولُ يا محمد عندهم كافرٌ والذِى يقول يا عبدَ القادر يا رفاعِيُّ أَكْفَرُ. هذا جهل منهم. المسلمون مِن أيام الرسول إلى الآن يقولون يا محمد. ما فيه ضرر بل فيه خير وبركة. الصحابة كانوا يقولون ومَن جاء بعدهم كانوا يقولون، إنما هذه الوهابيةُ هذه الفرقة الخبيثة هى حرمت ذلك. حتى إنَّ رأسَهم الذِى كان قبل زعيمِهم محمدِ بنِ عبدِ الوهاب والذِى مِن كُتُبِهِ أخذَ محمدُ بن عبد الوهاب أكثرَ ضلالاتِهِ اسمُه ابنُ تيمية له كتاب يقول فيه من أصابه شَلَلٌ فِى رِجله يقول يا محمد. عند الوهابية هذا كفر. هذا كتاب ابن تيمية الذِى هم يسمونه شيخَ الإسلام هذا عندهم كلامه أقوى من كلام أبِى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعَلِىّ، هذا يقول مَن أصابه خَدَرٌ فِى رجله يقول يا محمدُ وعندهم من يقول يا محمد كفر. أمرهم عجيبٌ غريبٌ هذه الوهابية. زعيمهم الذِى يسمونه شيخَ الإسلام ابن تيمية يقول

مطلوبٌ لمن أصابه خَدَرٌ فِى رجله أن يقول يا محمد.

هؤلاء تائهون ليسوا مسلمين ليسوا مع السلف ولا مع الخلف. هم يقولون نحن سَلَفِيَّةٌ حتى يظنَّ الناس أنهم على طريقة السلف وهم كاذبون. هذا ابن تيمية كان منذ ستمائة سنة أما دين الوهابية منذ مائتين وخمسين سنة لكن الوهابية يحبون هذا ابنَ تيمية لأنه يوافقهم فِى أشياءَ أخرى. يذكر ابنُ تيميةَ هذا الأمرَ فِى الكتابِ الذى سماه الكَلِمَ الطَّيِّبَ فِى فَصْلٍ فِى الرِّجل إذا خَدِرَت، ولا يستطيعون أن يُنكروا كون هذا الكتاب لابن تيمية لأنه فِى النسخ المخطوطة وُجِدَتْ قبل الطبع ومع هذا يقولون من قال يا محمد كافر.

قبل ثلاث سنوات كان واحد مِن جماعتنا فِى المدينة فسمع مُدَرِّسَ الوهابيةِ الذِى يُدرِّس فِى مسجد الرسول برخصةٍ من الدولة يقول ثلاثة أرباع المسلمين كفارٌ لأنهم يقولون يا محمد يا عبد القادر وهذا مدرسٌ رَسْمِىٌّ يقعد على كرسِىّ حتى يَسْمَعَهُ الناسُ وعنده المكبر يصل صوته إلى ءاخر المسجد.

ثم هذه التِى يقال لها رابطة العالم الإسلامِىّ هى رابطة الفتنة. هم الذين ينشرون الكفر فِى الدنيا يأخذون المال من الدولة ومن الأغنياء الكبار فيصرفون هذا المال فِى نشر عقيدة الوهابية هذه الرابطةُ تحصّل مليار ريال كلَّ عامٍ لنشر عقيدتهم.

إنِّى فَرِحٌ بهذا اللقاء وأحمدُ اللهَ على تيسيره. اللهُ تعالى يبارك فيكم ويزيدكم مِن الخير ويبعد عنكم

الضلالاتِ والفِتَنَ. اللهُ يحميكم ويحفظكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن بِسِرّ الفاتحة.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادِي والعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذير من أهل الفساد عمومًا ومن الوهابية خصوصًا

درس ألقاه المحدّثُ الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى سنة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لتسع وثمانين وتسعمائة وألف ر فِى مسجد الغرباء فِى طرابلس الشام وهو فِى التحذير من أهل الفساد عمومًا ومن الوهابية خصوصًا. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **إذا رأيتَ أُمَّتِى تَهابُ أنْ تقولَ للظالِمِ يا ظالمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ منهم**(١) اهـ الظالمُ أقسامٌ عديدة فظالمٌ يظلمُ الناس فِى أموالهم وظالمٌ يغشُّ الناس فِى دينهم إما إلى حد الكفر وإما إلى ما دون ذلك وكل هؤلاء التحذير منهم واجب، وهذا الحديث رواه الحاكم فِى المستدرك، وثبت عن رسول الله أنه قال **ما أظنُّ أنَّ فلانًا وفلانًا يَعْرِفانِ مِن دِينِنا شيئًا**(٢) اهـ وقال لِرَجُلٍ خَطَبَ فِى حضرته فقال

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب كِتَاب الأحْكَام.
(٢) رواه البخاريّ فِى صحيحه باب ما يجوز من الظن.

ومَنْ يُطِع اللهَ ورسولَهُ فقد رَشَد ومَن يَعْصِهِمَا فقد غَوَى فقال الرسول ﷺ **بئس الخطيبُ أنتَ**(١) اهـ أىْ لأنَّه جمعَ فِى هذا المقام بين الله والرسول فِى ضميرٍ واحدٍ لا لأنه شرك ولا لأنه حرام لكنه مكروه، ما سكت له نُصحًا له ونصحًا لغيره من الأمة.

إذا كان هذا يستحقُّ الإنكارَ فكيف الذِى يدعو الناس إلى تحريم الحلال أو تحليل الحرام أو تشبيه الله تعالى بخلقه فقد كثُر فِى هذا العصر أناسٌ يدَّعون الإرشاد الدينىَّ ثم يدعون الناس إلى التشبيه والتجسيم أى إلى أنَّ الله تعالى جسم أى شىءٌ له مساحة وحدٌّ ويدَّعون أنهم دعاةٌ إلى عقيدة السلف وكَذَبُوا لأن عقيدةَ السلف هى تنزيهُ الله عن الحد لأن كل شىء له مساحة يحتاج إلى من جعله على هذه المساحة، الواحد منا أربعة أذرع طولًا وذراع عرضًا هل نحن جعلنا أنفسَنا على هذا الحد لا إنما نحن بحاجةٍ إلى من جعلنا على هذا الحدّ وهكذا الكرسىُّ وهكذا العرشُ وهكذا الجنة كل شىء من هذا يحتاج إلى شىء جعله على هذا الحدّ، فَيُعْلَمُ بدليل العقل وبدليل السمع أنّ صانعَ العالم ليس محدودًا ليس ذا مساحة صغيرة ولا ذا مساحة كبيرة لأنه لو كان ذا مساحة صغيرة مثل مساحة الإنسان لاحتاج إلى من جعله على تلك المساحةِ وذلك الحدِ والمقدارِ ولو كان على مساحة كبيرة لاحتاج إلى من جعله على تلك المساحة كما أن

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب تخفيف الصلاة والخطبة.

العرشَ يحتاجُ إلى من جعله وكَوْنَهُ على تلك المساحة وذلك الحدّ.

وأما الدليل النقلىُّ أى السَّمعىُّ القرءانىُّ على ذلك فقوله تعالى فِى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) هذه الآية تنزيه كلىٌّ، أعظمُ ءاية فِى القرءان فِى تنزيه الله عن مشابهة خلقِه هى هذه الآيةُ لأنها دلَّت على أنه لا يشبه شيئًا ليس الإنسان فقط بل الإنسان والجنّ والشمس والقمر وسائر الكواكب وما سوى ذلك من الكائنات المبتدعات، فيجب القطعُ أىِ الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ صانع العالم ليس محدودًا ويجب أن نعتقد بأن هذا عقيدةُ السلف لأن السلف كانوا أفهمَ منا بمعانى ءاياتِ القرءان فلا يجوز عليهم أن يكونوا على خلاف ذلك. ثم الدليلُ على أن السلف كانوا على ذلك كلامُ الطحاوىّ رحمه الله فِى عقيدته التِى سماها ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ثم سَمَّى منهم أبا حنيفة وصاحبيه محمدَ بنَ الحسنِ وأبا يوسفَ القاضِىَ ونقل فيها عن السلف نفْىَ الحد عن الله تعالى(٢).

هو كلام الطحاوىّ هذا أراد به أنَّ نَفْى الحد الذِى ذكره فِى هذه العقيدة هو عقيدةُ السلف جميعًا. لا يثبت عن أحد من السلف أنهم جعلوا لله حدًّا وما

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

(٢) قال الإمام الطحاوى فِى عقيدته المشهورة تعالى أى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات اهـ

يُذكر عن بعض السلف مِن أتباع التابعين لا يصح عنه بالإسناد المتصل. هذا الإمام أبو جعفر الطحاويُّ الذِى كان هو من أواخر السلف لأنه أدرك نحوَ سبعين سنةً من المائة الثالثة ثم تُوُفِىَ بعد اكتمال المائة الثالثة بنحو عشرين سنة أثبت نَفىَ الحدّ عن الله تعالى.

ثم قد ثبت ذلك عمَّن هو أقدمُ منه عن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبِى طالب رضِىَ اللهُ عنهم قال فِى كتاب له سُمّىَ بالصحيفة السجّاديّة لأنه لكثرة سجوده لقب بالسَّجّاد هو رضى الله عنه قال لا يحيط به مكانٌ وليس بمحدود فيُحدّ اهـ وقال لا يَمس ولا يُمَس ولا يُجس اهـ هذا الكلامُ فيه تنزيه الله تعالى عن المساحة والمقدار لأن كلَّ ما كان له مساحةٌ ومقدارٌ فهو محدودٌ فإذَنْ علىٌّ زين العابدين يعتقد أن الله ليس له حد.

فلا يجوز أن يقال الله تعالى له حدٌّ يعلمه هو ولا يعلمه غيره كما يقول ابن تيمية.

هذا زين العابدين كان فِى وقته أفضلَ أهل البيت النبوىّ قدرًا وجلالة، وهذه الصّحيفة السَّجّادية رواها بالإسنادِ المتصل منه إلى زين العابدين بطريق ذريته الطاهرين فيهم موسى الكاظِمُ وعلىُّ الرّضا اللّذَان يُعدّان من أفضل أهل البيت الحافظُ الفقيه محمد مرتضى الزبيدىُّ من أهل القرن الثانى عشر فِى شرح إحياء علوم الدين وهو حافظٌ حنفِى لُغوىٌّ وهو خاتمةُ اللغويين ما جاء فِى عصره ولا بعده مَن هو مثله فِى علم اللغة.

فبعد هذا لا يجوز السكوت على من يجعل لله حدًّا إن رجوتم منه قبولَ النصيحة قولوا له إثبات الحدّ لله ضلال.

الله تعالى ليس محدودًا. على هذا السلفُ والخلفُ أما أناسٌ يدّعون أنهم على عقيدة السلف فيجعلون لله حدًّا وحركةً بالصعود والنزول والتنقل فليس هذا من السلف فِى شىء وإنما يُفْتَرَى على السلف.

قولوا لهم هذا أحمدُ بنُ حنبل المشهورُ بين السلف بالورع والعلم ثبت عنه أنه قال فِى قوله تعالى فِى سورة الفجر ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(١) قال جاءت قدرتُه اهـ لو كان يعتقد أن الله يجوز عليه الحدُّ والمساحةُ والتنقلُ كان يحملُ هذه الآيةَ على الظاهر ويُثبت لله النزولَ عن العرش أو الكرسىّ مع الملائكة يوم القيامة إلى الأرض ليحكمَ بين العباد لكنه لا يعتقد فِى الله الحدَّ والحركة والتنقلَ لأن الحد مِن سمات المحدَثين لذلك تهربًا من إثبات المجِىء بالحركة والنُقلة عدَلَ إلى قوله إنما جاءت قدرتُه اهـ وهذا ثابت عنه رواه الحافظ البيهقىّ بالإسناد المتصل.

اعلموا أن السلف ما كانوا على ما ينسبه إليهم هؤلاء المجسمةُ المشبهةُ مع دعواهم أنهم على عقيدة السلف أين هم من السلف وهذا زين العابدين وهذا أبو حنيفة وصاحباه محمد بن الحسن وأبو يوسف من السلف لأن أبا حنيفة توفى سنة مائة وخمسين وصاحبيه بعده بنحو عشرين سنة ضمن القرن الثانى الهجرى.

(١) سورة الفجر/الآية (٢٢).

هذا ما يتعلق بتنزيه الله عن الجسمية والحد والمكان والشكل والمساحة والمقدار.

وأما هؤلاء المشوشون الذين يحرّمون التوسل بالنبِىّ بل يُكَفّرُونَ مَن يتوسل بالنبِىّ وغيرِهِ مِن الأنبياء والأولياء فقولوا لهم لن تستطيعوا أن تثبتوا عن رسول الله أنه حرّم التوسل به أو بالأنبياء والصالحين إنما دعواكم بأفواهكم ليس لكم على ذلك دليل صحيح عند أهل الحديث وكذلك ليس لكم دليل عن عمرَ بنِ الخطاب بتحريم التوسل والاستغاثة بالنبِىّ بعد موته وإنما عندكم تمويهٌ. فمن حُججهم التِى هى للتمويه ليس على الحقيقة قولهم إن الرسول ﷺ قال لابن عباس **إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله**[1] اهـ يقال لهم هل قال حرامٌ أن تسأل غير الله أو أن تستعين بغير الله إنما قال **إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله** على معنى أن الأَوْلَى أن تسأله هو الله وأن تستعين به هو الله.

هو ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال **إذا أصابَ أَحَدَكُمْ عرجةٌ فِى فلاةٍ مِن الأرض فَلْيَقُلْ يا عِبادَ اللهِ أعِينُوا**[2] اهـ هذا الحديث أورده الحافظ ابن حجر فِى الأمالِى المصرية وحَسّنَ إسناده.

(١) رواه الترمذىّ فى سننه والبيهقىّ فى الاعتقاد بَاب القَول فِى الإِيمَان بالقَدَر.

(٢) رواه البزار باب مسند ابن عباس وقال الحافظ الهيثمى فى المجمع رجاله ثقات اهـ

هو رسول الله ﷺ قال **إذا أصاب أحدَكم عرجةٌ فِى فلاة من الأرض** أى فِى برية ليس فيها أحد **فلينادِ يا عباد الله أعينوا**. هذا سؤال لغير الله.

لو كان معنى حديث ابن عباس أن الرسول قال له **إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله** تحريمَ التوسل والاستعانة بالأنبياء والأولياء فِى حياتهم وبعد مماتهم ما قال الرسول هذا الحديث.

وكذلك عندهم تمويهٌ ءاخر يذكرون حديثًا ضعيفًا عند أهل الحديث هو أنَّ أبا بكر قال قوموا بنا إلى رسول الله نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله إنه لا يُستغاث بِى وإنما يُستغاث بالله عز وجل اهـ هذا الحديث فيه راوٍ ضعيفٌ عند أهل الحديث لا تقوم به حجةٌ مع أن هذا الحديث يصادم أيضًا ما رواه البخارىُّ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ **أنَّ الشمس تَدْنُو مِن رؤوس الناس يوم القيامة فبَيْنَ هم كذلك إذِ استغاثوا بآدم**[1] اهـ فإن قالوا إنّ هذا للحىّ الحاضر لأنّ ءادم فِى ذلك الوقت بُعث وليس استغاثة بالميت يقال لهم هذا الحديث الذِى أنتم ادَّعيتم ثبوتَهُ فيه أنَّ هذا فِى حياة رسول الله أليس مذكورًا فيه أنَّ أبا بكر قال قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال لهم الرسول إنه لا يستغاث بِى وإنما يستغاث بالله عز وجل ما هذا التناقض مرةً تقولون لا يجوز التوسل والاستغاثة إلا بالحىّ الحاضر ومرة تبنون على

(١) رواه البخارى بَابُ مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا.

هذا الحديث الضعيف الذِى لا يُحتج به.

ويقال لهم هذا الحىّ الحاضر هل ينفعُ أو يضرُّ إلا بمشيئة الله والميتُ أيضًا إذا استُغيث به لا ينفعُ ولا يضرُّ إلا بإذن الله فلماذا تفرّقون بين الحالَين بمجرّد الهوَى.

أما قولُ إنَّ الميت لو كان نبيًّا فهذا كقطعة حجر فهذا مصادم للأحاديث.

يقال لهم أليس الأنبياء الثمانية الذينِ استقبلوا رسول الله فِى السموات السبع كلٌّ منهم سلَّم عليه الرسولُ فرد السلام ودعا له بخير وهذا بعد الموت، ثم موسى زيادة على ذلك على أنه رد السلام على رسول الله ودعا له بخير عند رجوع الرسول من المستوَى الذِى سمع فيه كلامَ الله ورأى اللهَ بفؤاده قال كم فرض الله على أمتك من الصلاة قال خمسين قال سَلْ ربك التخفيف فصار موسى سببًا فِى هذا التخفيف. كذبتم فِى قولكم إنَّ النبِىَّ لا ينفع ولا يضر بعد موته بل ينفع بإذن الله.

أما احتجاجهم بفعل عمر فكثيرًا ما يلهجون به. يقولون عمر بعد وفاة الرسول توسَّل بالعباس لأن الرسول كان قد مات. هذه حجتهم وهِىَ داحضة. يقال لهم هل تثبتون على عمر أنه قال أنا توسلت بالعباس لا بالرسول لأنه قد مات، هل عندكم دليلٌ نصٌّ على ذلك.

أما أنه قال اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا

فنحن نتوسل إليك بعمّ نبيك العباس فاسقنا. فهذا ليس فيه ما يدَّعون، إنما يُعْطِى أنَّ عمر توسل بالعباس لأنه كان رسول الله عليه السلام يرى للعباس مثل ما يرى الولد لوالده أراد أن يَرْعَى حق قرابته من رسول الله ﷺ لأنه لم يكن فِى ذلك الوقت أقربَ إلى رسول الله من العباس نسبًا فتوسل بالعباس مراعاةً لحق قرابته من رسول الله لا لأن التوسل بالنبِىّ بعد موته لا يجوز. من قال لكم، هل عمرُ قال لكم الرسول لا يجوز التوسلُ به بعد موته لذلك توسلتُ بالعباس، هل تستطيعون أن تثبتوا على عمر ذلك، لن تجدوا سبيلًا.

ثم يقال لهم قولكم هذا افتراء على عمر تَقَوُّلٌ عليه لأن عمر قال فِى خُطبة له أيها الناس إن رسول الله كان يرى للعباس مثلَ ما يرى الولد لوالده فاقتدوا به فِى عمه العباس واتخذوه وسيلةً إلى الله اهـ هو عمر بيَّن أن توسُّلَه بالعباس أن ذلك احترام للعباس من أجل الرسول أى أراد أن يراعِىَ ما كان للعباس عند رسول الله من الكرامة.

وهناك دليل على ذلك ءاخَرُ وهو أن العباس نفسَه قال عندما دعا الله تعالى بأن يَسْقِىَ الأمةَ المطر اللهم إن القوم توجهوا بِى إليك لِمكانى مِن نبيك ما قال توجهوا بِى إليك لأن نبيَّك قد مات كما يَفترِى هؤلاء على عمر.

وهكذا كل ما يحتجُّون به لتحريم التوسل بالأنبياء والأولياء بغير حضور المتوسل به، كلُّ ذلك هباء منثور

وتمويهٌ، هذا موجز فيما يتعلق بالتوسل بالنبِىّ ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء.

أما تكفيرُهم لمن يمسُّ القبر قَبْرَ أىّ نبِىّ أو أىّ وَلِىّ فهذا على خلاف السلف. السلفُ ما كانوا يكفّرون مَن يمسح قبر نبِىّ أو ولِىّ أو يقبله وهؤلاء يُكفّرون، عندهم عابد وثن حتى إن بعضهم قال عن التبرك بِشَعْرِ النبِىّ ﷺ إنه وثنية. الرسول لما حلق قال للحلاق **اقسمه بين الناس**[1] اهـ وما أعطاهم الرسولُ إلا ليتبركوا بهذا الشعر وما قالوا هذا الشعر لا يُتبرك به إلا فِى حياته وما قال بعد مماتِى ادفنوه. كيف يدَّعى أن هذا وثنيةٌ، هو أعلم بتوحيد الله من رسول الله؟ ليس أعلم.

وهناك دليل ءاخر من السلف وهو أن الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه سأله ابنُه عبدُ الله قال سألته أى سأل أباه عن الرجل يمسُّ القبرَ ويقبّلُه يفعل ذلك للتبرك وعن الرجل يقبّل القبر أى قبر النبِىّ يريد بذلك التقرب إلى الله فقال الإمام أحمد لا بأس بذلك اهـ كتابٌ اسمه العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد فيه ذلك.

انظروا إلى البُعد الشاسع بين السلف وبين هؤلاء. هذا الإمام أحمد الذِى هو من رؤوس السلف يقول أيضًا لا بأس بتقبيل رمانة المنبر. عبدُ الله بنُ أحمدَ

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمى ثم ينحر ثم يحلق والابتداء فى الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق.

ابنِ حنبل قال سألت أبِى عن مسّ رمانة المنبر وتقبيلها وعن الرجل يقبّل قبر النبِىّ يريد بذلك التقرب إلى الله فقال لا بأس بذلك اهـ

الإمام أحمد يقول لا بأس وهؤلاء يقولون أشرك وكفر، عندهم شرك وعند الإمام أحمد لا بأس، أين هؤلاء من السلف، هؤلاء لا يُصدَّق قولُهم إنهم على قدم السلف.

ثم فِى مصنَّف ابن أبِى شَيبة أنَّ رجالًا من الصحابة كانوا ينتظرون خُلُوَّ المسجد فإذا خلا قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فيمسُّونها ويدعون الله اهـ

معنى الحديث أنَّ جماعةً من أصحاب رسول الله كانوا ينتظرون أن يخلوَ المسجدُ أى تذهب الزحمةُ فيقومون يمسون رمانة المنبر النبوىّ القرعاء. كان المنبر له فِى أعلاه قطعة مستديرة يقال لها رمانة المنبر فيمسونها ويدعون الله رجاء إجابة دعائهم عند مسهم إياها. الصحابةُ فعلوا هذا وهؤلاء يزعمون أنه شرك. لو كان أحمدُ بن حنبل حيًّا لكفَّروه.

اعرفوا أن هؤلاء يدجلون باسم السلف ويدعون الناس إلى ضد ما كان عليه السلف.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثانى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

التحذير من بعض أهل الضلال

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى السّابع عشر من جُمَادَى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وألفٍ من الهجرة الموافق لثمان وعشرين من شهر أيلول سنة تسع وتسعين وتسعمائة وألف ر فِى بيتهِ وهوَ فِى التّحذيرِ من بعضِ أهلِ الضّلالِ.

بعدَ حمدِ اللهِ والصّلاةِ والسّلامِ على رسولِ اللهِ قالَ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

بَعضُ هؤلاءِ السَّحريَّاتِ يَعتقِدن أنَّ وضع إصبع الحائض فِى الطبيخ ينجسه. عائشةُ لَمّا قالَ لها الرّسولُ ﷺ **ناوِلينى الخُمْرَةَ** فقالَت إنى حائضٌ فقالَ لها **ليسَتْ حيضَتُكِ فِى يَدِكِ**(١) اهـ عائشة مَا قالَت إنّى أنجّسُ هذهِ الخُمرةَ إذا أمسكتُها إنما معناهُ هل منَ الأدبِ أم يُنافِى الأدبَ هذا معناهُ. ويَدلُّ لذلكَ أنّه كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُدْنِى لها رأسَهُ وهوَ فِى المسجدِ فَتُسَرّحُ لهُ عائشةُ وهِىَ خارجَ المسجدِ وهِىَ حائضٌ. بينَ المسجدِ وبينَ بيتِ عائشةَ يوجدُ جدارٌ فقط. الرّسولُ يُخرِجُ رأسَهُ إلى

(١) رواه ابن ماجه فِى سننه بَابُ الْحَائِضِ تَتَنَاوَلُ الشَّىْءَ مِنَ الْمَسْجِدِ.

خارجِ جدارِ المسجدِ وهوَ فِى المسجدِ من غيرِ أنْ يقومَ وهىَ فِى بيتها تُسَرّحُ لهُ رأسَه.

وهَذا شَىْءٌ هَيّنٌ بالنّسبةِ لكُفريّاتهنّ. من جملةِ كفريّاتهنّ أنهُ عندَهنّ كتابٌ يُنْشِدْنَ منه هُنَّ عَمِلْنَ ذلك الكتابَ. رَئيستُهُنَّ التى فِى الشّامِ عمِلَتْ ذلكَ الكتابَ وأعطتْهُ لمن يَطبع لها ثمَّ صِرنَ يشترين من عندِ صاحبِ مكتبةٍ يقالُ لها مكتبةُ الفارابىّ فِى وسطِ دمشقَ. هذا الكتابُ فيهِ أستغفر الله من تَرْكِى للمعصية اهـ هذا عَكسُ دينِ اللهِ. الاستِغفار فِى الإسلام مِن فِعْلِ المعصيةِ ليسَ مِن تَرْكِ المعصيةِ. ما أبشعَ هَذا الكفرَ. ويوجدُ عندَهنّ أبشعُ من هذا وهو قولُ رئيستِهِنَّ إنّ التى لا تتزوّج فِى الدنيا يتزوجها اللهُ فِى الآخرة. هؤلاء مَا عَرفنَ اللهَ.

وأيضًا قالتْ لَهُنَّ مَن يَتهجّدُ بالليلِ أى يُصلّى السُّنَّةَ النّافلةَ فِى النّصفِ الأخيرِ فَلْيَتَصَوَّرْ أنهُ يسجدُ على أفخاذ الله اهـ هؤلاءِ ما عرفن الله. أصلُ الإسلام معرفةُ اللهِ هؤلاءِ انتسابُهنَّ للإسلام لَا مَعنى لهُ. بعدَ المعرفةِ الصّلاةُ والصّيامُ والزّكاةُ والحَجُّ وقراءةُ القرءانِ تنفعُ أمّا قبلَ معرفةِ اللهِ لَا يَنفعُ شَىْءٌ مِنَ الأعمالِ بل فوقَ الكفرِ يُكْتَبُ عليهِ سيّئةٌ لأنهُ يُصلّى صَلاةً مخالفةً للشّرعِ ويصومُ صَومًا مخالفًا للشّرع ويحجّ حجًّا مخالفًا للشّرعِ. الأعمالُ التى هِىَ حَسناتٌ صورةً تكونُ عليهنّ ذنوبًا لأنَّ الصّلاةَ إذا كانَت لَا تُوافقُ شريعةَ اللهِ فهِىَ مَعصيةٌ والصّيامُ إذا كانَ لَا يُوافِقُ شريعةَ اللهِ والحجُّ إذا

كانَ لَا يُوافقُ شَريعةَ اللهِ فهوَ مَعصيةٌ وهكذا سائرُ الأعمالِ إلا صدقة التّطوّع. الكافرُ إذا تصدَّقَ صدقةَ التّطوّعِ من غَيرِ أن يَطلبَ بها الثّوابَ منَ اللهِ ليس عليه معصيةَ أمّا إذا زَكّى عليهِ مَعصيةٌ لأنَّ مَن يعملُ عبادةً فاسدةً عليهِ إثمٌ. أمّا الصّدقةُ فتصحُّ بلا نيّةٍ وصلةُ الرّحمِ كذلكَ. الشّخصُ إذا نوَى بهِ الثوابَ أو لم ينوِ بهِ الثّوابَ إنْ وصلَ رحمهُ عملٌ جائزٌ لكنْ إنْ لم يَنوِ بهِ للهِ تعالى مَا لهُ ثوابٌ. أمّا إنْ نوَى للهِ أى أصِلُ أرْحامِى لأنَّ اللهَ أمرَ بزيارةِ الأرحامِ لهُ ثوابٌ أى بشرطِ الإسلامِ، أما بغيرِ هذهِ النّيّةِ ليسَ لهُ ثوابٌ لكنْ لَا تَكونُ مَعصية. أمّا الصّلاةُ والصّيامُ والحجُّ والزّكاةُ الأعمَالُ التِى لَا تَصحُّ إلا بالنّيّةِ الكافرُ إذا عمِلها يقالُ لها عبادةٌ فاسدةٌ والعبادةُ الفاسدةُ يأثَم فاعِلُها.

مِن فسادِ الزّمانِ أنْ يظهرَ مثلُ هؤلاءِ كامرأةٍ اسمُها غِنى حمّود وأنْ تتكلّمَ أمامَ النّاسِ باسمِ الوعظِ هِىَ جاهلةٌ كافرةٌ. اليومَ لَا يوجدُ حاكمٌ شرعيٌّ مثل أيّامِ الصّحابةِ وما بعدَ ذلكَ مثل أيّامِ الأمويّينَ وأيّامِ الخلفاءِ العبّاسيّينَ وأيّامِ الخلفاءِ العثمانيّينَ الأتراكِ. فِى تلكَ الأيّامِ إذا تكلَّمَ شخصٌ بكلمةِ الكفرِ يشهدُ عليهِ شاهدانِ ديّنانِ عَدلانِ عندَ الحاكمِ الحاكمُ يَستدعيهِ فإنِ اعترفَ يقولُ لهُ تشهّدْ فإن لَم يتشهّد يمهلهُ ثلاثةَ أيّام فإنْ لَم يرجعْ يقتلهُ فرضٌ عليهِ أن يقطعَ رأسَه، وكذا الحكمُ لو أنكرَ لكنْ شهدَ عليهِ الشّاهدانِ.

أيّامَ سيّدنا أبِى بكرٍ ارتدَّت واحدةٌ فقتلَها، قطعَ

رأسَها، كانَت مسلمةً ثمَّ ارتدّت بنَوعٍ من أنواعِ الرِّدّةِ. يقالُ لها أمُّ قِرْفَة.

وءاخَرُ كانَ فِى أيّامِ الأُمويّينَ فِى أيّامِ الخليفةِ الأُمَوىّ هشام بنِ عبدِ الملكِ رَجلٌ كانَ مِن موالِى سيّدنا عثمانَ أىْ من ذرّيّةِ إنسانٍ كانَ عبدًا وأعتقهُ سيّدنا عثمانُ هذا الرّجلُ فسدَتْ عَقيدته صارَ يقولُ ضدَّ عقيدةِ أهلِ السّنّةِ صارَ يقولُ الشّرُّ ليس بمشيئة الله بل بغير مشيئة الله يوجد الشر أمّا الخيرُ فبمشيئةِ اللهِ وبمشيئةِ العبد يفعله الإنسان والعبد هو يخلق أفعاله. طلبَهُ هشامُ ابنُ عبدِ الملكِ الخليفةُ فِى الشّامِ فِى دمشقَ قالَ لهُ أنتَ تقولُ ذلكَ الكلامَ الذِى يَبلغنِى عَنكَ قالَ أحضِرْ لِى مَنْ يُناظِرُنِى فأحضرَ لهُ الإمامَ الأوزاعىَّ هذا الذِى الآنَ هنا مَدفونٌ بسَاحلِ بَيروتَ الخليفة أحضَرهُ فناظرَ هذا الرجلَ واسمُه غيلان فأثبتَ عليهِ سيّدنا الأوزاعىُّ أنهُ مُنحَرفٌ عنِ الدّينِ ولم يجدْ هذا الضّالُّ حجّةً فقالَ الإمامُ الأوزاعىُّ للخَليفةِ كافرٌ وَربِّ الكَعبةِ يا أميرَ المؤمنينَ اهـ أميرُ المؤمنينَ أخذهُ قطعَ لسانَه ويدَيهِ ورجلَيهِ ثمَّ قطعَ رأسَه وصَلَبه. ماذا كانَ يفعلُ أولئكَ الخلفاءُ لو كانَت هذهِ وأمثالُها فِى زمانِهم. هذهِ غِنَى مِن جَماعةِ رَجَب دِيب. وهذا رَجب زعيمُهم قال إن الله يُدَنْدِل رأسه من السماء يوم الجمعة ويقول يا عِبادِى تَعالَوْا إلى الجامع اهـ وهذا تَشبيهٌ للهِ بخَلقهِ والعياذُ باللهِ. كانَ يَقضِى أربعةَ أيّام فِى بَيروت كلّ أسبوع ثمَّ يعودُ إلى دمشقَ كان يُعَلّمُ الكفرَ، كانَ يقولُ نحن أنبياءُ مُصَغَّرُونَ فاعتقَد بعضُ النّاسِ أنهُ نَبىٌّ. هذا ماذا كانَ يفعلُ بهِ

الخليفةُ لو كانَ فِى عصرِهِ.

هذا المعتزلىُّ الذِى كانَ حافظَ القرءانِ وإذا تكلَّمَ يُعجِبُ النّاسُ بفَصاحتِهِ عاشَ فِى عصرِ الصّحابةِ لكنِ انحرفَ عَن عقيدةِ أهلِ السنّةِ. أهلُ السنّةِ يقولونَ الخيرُ والشّرُّ بمَشيئةِ اللهِ لكنَّ اللهَ يَكْرَهُ الشرَّ ويحبُ الطّاعةَ لكنِ الخيرُ يحصلُ بمشيئتِهِ والشَّرُّ يحصلُ بمَشيئتهِ وهوَ خَالقُ كلّ شَىْءٍ.

هذهِ عقيدةُ الإسلامِ التِى كانَ عليها الرَّسولُ والصَّحابةُ. أهلُ السّنّةِ إلى اليَوم على هذا. نحنُ عقيدَتُنا أنه لا خالقَ لخيرٍ ولا لشرّ إلا اللهُ. هذهِ عقيدةُ أهلِ السّنّةِ. هذهِ العَقيدةُ هِىَ عقيدةُ القرءانِ واللهُ تعالى ذكرَ فِى القرءانِ هذهِ الآيةَ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ (١) كلمةُ شىءٍ تشملُ كلَّ الموجود. الأجسامُ شَىْءٌ وحركاتُ الأجسامِ وسكَناتُها شَىْءٌ والعقائدُ والأفكارُ والنّوايا شَىْءٌ. مَعنى الآيةِ أنَّ اللهَ تَعالى هوَ يَخلقُ هذهِ الأشياءَ كلَّها بِلَا استثناءٍ. العبادُ يفعلونَ لكنْ لَا يَخلقونَ. الحسناتُ نفعَلُها ولكنْ ليسَ نحنُ نخلُقها بلِ اللهُ يخلُقها فِينا والمعاصِى نحنُ نفعلُها ولَا نخلُقها بلِ اللهُ يخلُقها فِينا. هذهِ عقيدةُ أهلِ الحقّ. مَن ماتَ عَليها معَ معرفةِ أنَّ اللهَ لا يشبه شيئًا ليسَ متحيّزًا فِى السّماءِ ولا فِى العَرشِ ولا فِى الكَعبةِ مَوجودٌ بلَا مكانٍ لأنهُ كانَ قبلَ المكانِ بلا مكانٍ ثمَّ خلقَ المكانَ وهوَ موجودٌ بلا مكانٍ. فمَن ماتَ على

(١) سورة الرعد/الآية (١٦).

هذا وهوَ مؤمنٌ بسيّدنا محمّدٍ أنهُ رسولُ اللهِ وتجنَّبَ كلماتِ الكفرِ سَبَّ اللهِ وسبَّ الرّسولِ سبَّ الملائكةِ والاستهزاءَ بالقرءانِ والاستهزاءَ بشريعةِ الإسلامِ ونحوَ ذلكَ فهوَ مسلمٌ مؤمنٌ لو بلَغت ذنوبُهُ عَنانَ السَّماءِ ويَدخلُ جنَّةَ اللهِ لا بُدَّ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثالث والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الغيبة المحرمة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرِىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان الغيبةِ المحرمةِ والتحذير الواجب. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه.

أما بعد فإن من الأمور المهمة معرفةَ تعريف الغيبةِ أى ما هِىَ الغيبة التِى حرمها الله تعالى، فالغيبةُ التِى حرَّمها الله تعالى فسرها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه **أتدرون ما الغيبة** قالوا الله ورسوله أعلم قال **الغيبةُ ذكرُكَ أخاك بما يكره** قيل أرأيتَ يا رسول الله إن كان فِى أخِى ما أقول قال **إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ**[١] اهـ المعنى أنّ ذِكْرَ المسلم أىْ فِى خلفه بما يكره غيبةٌ حرَّمها الله تعالى بقوله ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[٢] هذه الغيبة التِى نهانا الله عنها فسرها الرسول ﷺ بقوله **ذكرك أخاك بما يكره** اهـ هذه الكلمة الموجزة التِى

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب تحريم الغيبة.
(٢) سورة الحجرات/الآية (١٢).

قالها رسول الله ﷺ تشمل أشياءَ كثيرةً فَذِكْرُ المسلمِ فِى خَلْفِهِ بما كان يَكْرَهُهُ لو سمعه هو الغيبة المحرمة.

ثم الغيبة منها ما هو من الكبائر ومنها ما هو من صغائر الذنوبِ غيبةُ المسلم التقِىّ الدَّيِّن من الكبائر أما غيبة المسلم الفاسق فليست من الكبائر. هِىَ حرامٌ لكنها ليست من الكبائر بل من الصغائر.

ثم هذه الغيبة كما تحصل بالنطق للعبارة تحصل بالكتابة فإذا إنسان كتب عن شخص مسلم إن فلانًا كذا مما يَكْرَهُ وَوَصَفَهُ بما يكرهُ ذلك المسلمُ هذا أيضًا حكمُه كأنه ذكره بلسانه واغتابه بلسانه لأنَّ القلمَ قيل عنه القلمُ أحدُ اللسانين.

هذا إذا اغتابه بما فيه يكون غيبةً أما إذا اغتابه بما ليس فيه يكون بهتانًا وهو أعظم ذنبًا وأشد إثمًا. بعض الناس من جهلهم إذا اغتابوا إنسانًا فِى خلفه فذكروه بما يكره وقيل لهم الغيبةُ حرامٌ يقولون أنا أقول هذا فِى وجهه فنحن نقول لو قلتَ له فِى وجهه لا يكونُ ذلك حلالًا لأن إيذاءَ المسلم حرامٌ إلا لأسباب شرعية.

ومن الأسباب الشرعية التِى تجعل الغيبةَ جائزةً التحذير فإذا أردنا أن نحذرَ شخصًا مسلمًا أو جماعةً مسلمين من شخص غشاش فِى تجارته يبيع بضائع فيها عيب ولا يذكر العيب الذِى فيها فهذا إذا ذكرناه بما فيه فقلنا فلانٌ يغش الناس فِى بيعه يكون لنا ثوابٌ ولا يكون علينا ذنبٌ. كذلك إذا علمنا أنَّ إنسانًا يعمل أجيرًا عند ءاخر ونحن نعلم فيه خيانةً فِى عمله فإذا قلنا

لصاحب العمل فلانٌ احْذَرْهُ فلانٌ خائنٌ لنا ثواب وما علينا ذنب ولو كان هذا الشخص يكره لو وقعت هذه الكلمة فِى أذنه فنحن لنا ثواب لأننا عملنا بالواجب، تحذيرُ المسلم مما يضرُّه واجبٌ ما فيه ذنبٌ ليس هذا غيبةً محرمةً، الغيبةُ المحرمة هِىَ التِى تكون لغير سبب شرعِىّ. بعضُ الجهال إذا أراد شخصٌ أن يحذّرَ من أحد التجار الغشاشين أو أحد العمال الخائنين يقولون كيف نقطع الرزق على مخلوق اهـ الرزاق موجودٌ، صاحب العمل الله يرزقه والعامل الله يرزقه. كلٌّ فِى هذه الدنيا يأكل ما كتبَ اللهُ له أن يأكلَ ويتركُ ما سوى ذلك لغيره. الذِى يعرف شريعة الله لا يقول هذا قطعُ رزقٍ كيف أتكلم على هذا الأجير الفقير فأقول لصاحب العمل عنه هذا خائن احذره. نحن نقول لصاحب العمل هذا أجيرُك خائنٌ نقول له هذا ليحذرَه ثم إن لم يكن هو يصرفه عن العمل بل يرضى به مع خيانته فهو وشأنه. هذا الذِى حَذَّرَهُ كَسِبَ أجرًا عند الله وغضب ذلك الأجير لا يضره عند الله بل له ثواب لأنه أدى الذِى عليه.

فالمسلم عليه أن يحذّر المسلم ممن يضرُّه فِى دنياه وبالأولى أن يحذره ممن يضره فِى دينه. هذا أوجبُ وأفرضُ وأكثرُ ثوابًا فالتحذيرُ ممن يحرف شريعةَ اللهِ فرضٌ مؤكدٌ كأن يقول للشخص فلانٌ ليس بأهلٍ للتدريس لا تأخذ منه ولا تذهب لدرسه، فرضٌ أن يحذره فمن لم يفعل وترك الناس يذهبون إلى ذلك الشخص ويتعلمون منه ما هو غيرُ صحيحٍ فِى دين الله

بل هو افتراء على دين الله وهم لا يعلمون ذلك فقد غَشَّهُمْ. أما إذا حذَّرَ فيأخذ الأجر من الله تعالى لأن الله فرض علينا أن نحذر المسلمين ممن يضرهم فِى دينهم ولا يقال هذا عالم كيف يُتَكَلَّمُ فيه لا بل نتكلم فيه وإن كان بحسب الظاهر فيما يبدو لبعض الناس عالمًا لكن نحن إذا تحققنا أنه ليس بأهل للتدريس وأنه يُحَرّفُ شريعةَ الله فرضٌ علينا أن نحذر منه من غير نظرٍ إلى رضى الناس أو غضبهم، يُحَذَّرُ منه رَضِىَ من رَضِىَ وكَرِهَ من كره، نحن علينا البيان والأجر من الله تعالى والضَّارُ النافعُ هو الله تعالى لا أحدَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ على الحقيقة سواه. أليسَ ثبت أنّ النارَ لا تخلقُ الإحراقَ والماءَ لا يخلقُ الرّىَّ والخبزَ لا يخلقُ الشبعَ والدواءَ لا يخلقُ العافيةَ والشفاءَ فكذلك سائرُ المخلوقات لا يَضُرُّون بدون مشيئة اللهِ ولا ينفعون بدون مشيئةِ الله، نحن علينا أن نفعلَ ما أمرنا الله به سواءٌ رَضِىَ الناسُ عنا أم لم يرضَوا وعلينا أن نَنْتَهِىَ عما حرم الله علينا رضِىَ من رضِىَ مِن الناسِ أو كَرِهَ مَنْ كره مِن الناسِ.

ومن جملة ما يدخلُ فِى باب التحذير أننا إن علمنا فلانًا يريد أن يصادقَ فلانًا أو علمنا أن فلانةً تريد أن تصادق فلانة فرضٌ علينا أن نحذر إن كان فِى الشخص الآخرِ ما يستوجب التحذير فمن لم يحذّر وسكت وقال لماذا أجعل هذا يتغير خاطرُه عَلَيَّ فهو عند الله تعالى مَوْزُورٌ يستحق العذاب أما الذِى حذّر فهو مأجورٌ عند الله.

كثيرٌ من الضلال يأتِى من طريق الصحبة فالشاب قد يكون بحالة حسنة ثم إذا به انقلب فيصير بعيدًا عن طاعة الله تعالى والسببُ فِى ذلك فِى كثير من الأحيان أنه التقى بشخصٍ فاسدٍ فصحِبَهُ فأفسده. كم وكم من الناس كانوا يُصَلُّونَ ويقيمون الصلاة ويؤمنون بالله ورسوله ثم طرأ عليهم أن صادقوا وصاحبوا شخصًا ملحدًا فصاروا كافرين بعد أن كانوا مسلمين مؤمنين انقلبوا كافرين بسبب إفساد ذلك الشخص الذِى صاحبَه. فيجب وجوبًا مؤكدًا التحذيرُ من كُلِّ إنسان يضرُّ المسلم فِى دنياه وكذلك التحذير من الذِى يضر المسلم فِى دينه بطريق الأَوْلى. التحذير من الفريقين فرضٌ مؤكد. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا إنك أنت العليم الحكيم.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذير من حزب سيد قطب

تحذيرٌ حذّر بهِ الشّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ الهررىُّ رحمهُ اللهُ مِن بَعضِ الغُلاةِ المتطرّفينَ بعضَ المسلمينَ الأمريكيّينَ الذينَ جَاءوا يَزورونَه فِى سويسرة فِى مورج قرب لوزان ليلةَ السّبتِ العشرينَ من ذِى القَعْدَة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لخمس وعشرين من شهر شباط سنة ألفين ر قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلواتُ اللهِ البَرّ الرَّحِيم والملائكةِ المقرَّبِين على سيدنا محمدٍ وعلى ءالَه وأصحابه الطيبين.

أما بعدُ فقبلَ أَن يَعملَ جماعةُ سيّد قطب تلكَ الجرائمَ مِن قتلٍ وتخريبٍ كانَ النّاسُ يعطفونَ على الغريبِ إذا لَقُوا غَرِيبًا فِى الطّريق يسألونهُ ما اسمهُ ومِن أينَ أما بعدَ جرائِمهم التِى عمِلُوها النّاسُ لَا يَلتفتونَ إلى الغَريبِ يخافونَ أنْ يكونَ منهم مَنْ هوَ مِن هذهِ الجماعةِ. فِى مدينةِ حمص كانوا إذا لَقُوا غريبًا فِى الطّريقِ يُقبلونَ عليهِ ببَشاشةٍ يَسألونهُ ما اسمهُ ومِن أىّ بلدٍ ويصيرُ التّعارفُ، فمُنذُ فتنةِ هذهِ الفئةِ انقطعَ هذا

لأنهُ صارَ تنافرٌ بينَ النّاسِ يخافُ هذا مِن هذا حتى أهلُ البلدِ يخافُ بعضُهم مِن بعضٍ فكيفَ الغريبُ. أوّلَ ما عمِلوا تلكَ الجرائم الحكومةُ السّوريّةُ صارَت إذا رأَت شابًّا يدخلُ إلى المسجدِ تَقبضُ عليهِ تأخذهُ انقطعَ الشّبابُ عنِ المساجدِ إلا الرّجالَ الكبارَ لأنَّ جماعةَ سيّد قطب يَستحلّون قتلَ مَن ليسَ منهم، وذلكَ لأنّهم كانوا قبلَ أن يُعرَفوا بالاغتيالاتِ والقتلِ يُدرّبونَ شَبابَهم فِى المساجدِ فِى الليلِ يَخْبَؤُون السّلاح فِى المساجدِ ثمّ لما ظهَر أمرُهم فعرفتِ الدّولةُ أنّهم اتّخذُوا المساجدَ مركزَ تدريبٍ على القتالِ واختزانِ الأسلحةِ صاروا يُشدّدونَ على مَن يدخلُ المسجدَ، الشّبابُ انقطعوا لأنّهم يؤخَذُونَ يُحبَسونَ ويُحقّقُ معَهم فبعد أذًى وخوفٍ شديدٍ يُطلَقونَ مَنْ ليسَ منهُم ومَن هوَ منهم كانَ يُحبَسُ فمنَ النّاسِ مَنْ حُبِسَ بسَبَبهم. طفلٌ كانَ معَهم كانَ عمرهُ لما أُخِذَ نحوَ سبعِ سنينَ دخلَ السّجنَ وهوَ ابنُ سبعِ سنينَ وخرجَ وهوَ ابنُ نحوِ ثلاثٍ وعشرينَ، إلى هذا الحَدّ فِتنتُهُمْ بَلَغتْ.

كلُّ هذهِ الجرائم فِى صَحيفةِ سيّد قطب مُسجلةٌ عليهِ لأنهُ هوَ الذِى شقَّ هذا الطّريقَ مَن مَشى مَع جماعتهِ هذا صارَ مُسلمًا بزَعمِهم أما الذِى لا يَمْشِى مَعهم ولَا يُوافقهم عندهم كافرٌ دَمُهُ حلالٌ. مَن شقَّ طريقَ فسادٍ وفتنةٍ ذنبهُ يُكتَبُ عليهِ وذنوبُ مِن اتّبعهُ، بعَددِ مَنِ اتَّبعهُ يُكتَبُ عليهِ، كلُّ هذهِ الجرائمِ التِى عملَها جماعةُ سيّد قطب مُسجّلةٌ عليهِ كَما أنَّ الذِى يفتحُ طريقَ خيرٍ جديدٍ موافِقَةً للقرءانِ ولشريعةِ الرّسولِ عليهِ السّلامُ يُكتَبُ لهُ

أجرُهُ وأجرُ مَنِ اتّبعهُ إلى يومِ القيامةِ مِن غَيرِ أن يَنقصَ مِن أجُورهِم شىء.

النّاسُ قبلَ أن يَظهَروا بأعمالهِم كانوا يظنّونَهم يحبّونَ العبادةَ فِى المساجدِ يحبّونَ المكثَ فِى المسجدِ، كانوا يحسّنونَ الظّنَّ بهِم ثمَّ ظهَر أنّهم إنّما كانوا يتردّدونَ إلى المسجدِ لتهيئةِ وتنفيذِ ما يُريدونَ مِن اغتيالِ النّاسِ الذينَ لَا يتبعُونهم.

أخبرُونى أنَّ هذا عمر عبد الرحمن جاءَ إلى سويسرة قبلَ أنْ يُحْبَسَ التقَى بأحدِ جماعَتنا ليُناقِشَهُ فقالَ مُعترضًا على الحكم بأنه لا يجوز أن يأخذ الرجل زوجته إلى الكنيسة قالَ مُعترضًا لماذا لا يجوز هِىَ ماذا تفعل هل هِىَ تَزْنِى هى ذهبتْ لِتَعبُدَ ربَّها اهـ هكذا قالَ مِن سَفاهَتِهِ. إذا كانَ هذا حالَ رؤُوسِهم فكيفَ الأَتْباعُ.

حُجَّتُهُمْ أى حزبِ الإخوانِ فِى تَكفيرِ المسلمينَ واستحلالِ دمائِهم شىءٌ واحدٌ وهوَ على زَعمهم الذِى يَحْكُمُ بغيرِ القرءانِ ولو بقضيةٍ واحدةٍ خرجَ مِن الإسلام. اليومَ الرّؤساءُ كلُّهم، الرُّؤساءُ العَربُ وغيرُ العَربِ يحكمونَ بغَيرِ القرءانِ فعِندَ هؤلاءِ كلُّ واحدٍ منهم كافرٌ لأنه حكم بغير القرءان ولو كان يحكمُ فِى بعضِ الأمورِ بحكم القرءانِ لكن لأنهُ حَكَمَ فِى بعض الأشياء بغير القرءانَ صار كافرًا والرعيةُ التِى تعيشُ معه عندهم كفارٌ لأنهم يعايشون هذا الحاكم، بهذا يستحلّونَ دماءَ المسلمينَ.

ومَنشأُ هذا الحكمِ الباطلِ أنّهم فَهموا ءايَةً مِنَ

القرءانِ على غَيرِ وجهِها بينَما علماءُ الإسلام مِن أيّام الرّسولِ إلى الآنَ مَا فهِمُوها كما هُم يَدَّعُونَ، العلماءُ فهِموها على أنَّ معناها أنَّ مَن حكمَ بغَيرِ الشّرع وقعَ فِى ذنبٍ يُشْبهُ الكفرَ مَا فهِمُوها على أنَّ مَعناها الكفرُ الذِى يُخْرِجُ منَ الإسلام وبعضُ علماءِ الإسلام قَالوا تلكَ الآيةُ نزلتْ فِى الكفّارِ ليسَ فِى المسلمينَ أى فِى ذمّ الكفّارِ وهذهِ الآيةُ هِىَ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (١) بعضُ الصّحابةِ قالَ ليسَ مَعناها الكفرُ الذِى يُخرِجُ منَ الدّينِ إنّما مَعناها أنهُ ذنبٌ يشبهُ الكفرَ اهـ وقالَ صحابِىٌّ ءَاخَرُ هذهِ الآيةُ تعنى الكفّارَ اليَهودَ لأنَّ هذهِ الآيَةَ نزلَت بسَببِ أنَّ اليَهودَ زَنَى منهُم رجلٌ بامرأةٍ وكانَ كلٌّ منهُما مُتزوّجًا قالوا نَذهبُ إلى محمّدٍ نسألهُ ماذا يقولُ فِى حكم هٰذَينِ فإنْ قالَ يُرجمانِ لَا نأخذ بكلامهِ فسَألوهُ فقالواَ ما حكمُ هٰذَينِ قالَ الرّسولُ ﷺ الرّجمُ فلَم يُوافقوا قالَ لهم هذا الذِى فِى التوراةِ فَأُحْضِرَتِ التوراةُ فالذِى يَقرأُها وضعَ يدهُ على هَذا الموضع الذى فيهِ أنَّ الرّجلَ والمرأةَ إذا كانا مُتزوّجينِ ثمّ عَمِلاَ الزّنى يُرجمانِ أى يُرمَيانِ بالحجارةِ حتى يَموتَا فقالَ لهُ رجلٌ ءَاخرُ كانَ عالمَ اليهودِ فأسلَم أَزِحْ يدكَ فأزاحَ فإذا هِىَ فيها الحكمُ بالرّجم على الزّانِيَينِ المتزوّجَينِ فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ مع ءَايَاتٍ قبلَها فِى ذمّ اليهودِ لأنّهم غيّروا حكمَ التّوراةِ

(١) سورة المائدة/الآية (٤٤).

كانوا الشّخص إذا زنَى يُرْكِبُونَهُ الحمارَ فَيُسَوّدونَ وجههُ بالدّخانِ يدورونَ بهِ فِى النّاسِ، بدلَ الرّجم صاروا يفعلونَ هذا وزَعموا أنه حكمُ اللهِ تعالى، غيَّروا حكمَ التّوراةِ. اليهودُ هم بَدأوا أولًا بتحريفِ التّوراةِ ثمَّ النَّصارى بعدَما طلعَ المسيحُ إلى السّماءِ بِمائَتَىْ سنةٍ بدأوا يحرّفونَ الإنجيلَ لكنَّ النَّصارى لَعِبوا بالإنجيلِ حتى صارَ عددُ الأناجيلِ عندَهم فوقَ السّتينَ ثمّ بعضُ ملوكِ النَّصارى قالَ لهم ما هذا اتَّفِقُوا على عددٍ وأَتْلِفُوا ما سِواه فاتفقوا على أربعةٍ وأتلفوا ما سواه. أما نحنُ المسلمونَ فقُرءانُنا مضَى عليهِ ألفٌ وأربعُمائةِ سنةٍ لَم يُغَيَّرْ ولم يُبَدَّلْ هوَ هوَ.

هذا دليلٌ أنَّ هذهِ الأمّةَ أفضلُ الأممِ هِىَ بعدُ مُقِرَّةٌ بشريعةِ نبيّها وبالكتابِ الذِى أُنزلَ علَى نبيّها. تلكَ الكتبُ التّوراةُ والإنجيلُ والزّبورُ مَا كانوا يحفَظُونها إنّما يقرأونَ نظرًا. أمّا أمةُ محمّدٍ ﷺ ابنُ ستّ سنينَ حفظَ فيما مَضى، حتّى فِى عصرِنا ابنُ سبعِ سنينَ ابن ثمان سنواتٍ ابنُ اثنتى عشرة وابنُ عشرينَ وابنُ ثلاثينَ وابنُ أربعينَ ومَنْ فوقَ ذلكَ يحفظونَهُ، هذا أيضًا دليلٌ على أنَّ أمّةَ محمّدٍ أفضلُ مِن أمّةِ عيسَى المسلمينَ الذينَ كانوا معهُ وأمةِ موسَى وسليمانَ وداودَ ومِن كلّ أمم الأنبياءِ. الآنَ هؤلاءِ الذينَ يقالُ لهم قساوسة لاَ يحفظون هذا الإنجيل المحرّفَ أما الأصلُ أتلفوه ذهبَ واليهودُ حاخاماتُهم لا تَحفَظُ هذه التوراة المحرفة التِى بأيدِيهم إنما يَقرأونها من كتابٍ.

قبلَ ثلاثينَ سنةً أيامَ جمال عبد النّاصرِ غُلامٌ ابنُ ستِ سنواتٍ حفِظَ القرءانَ. هذا الذِى يقالُ له بابا روما لا يحفظ هذا الإنجيل المحرف وهوَ إمامُ كلّ نصرانىّ على مذهبه على وجه الأرض.

أولُ هذهِ الأمةِ أفضلُ مِنْ ءاخِرِهَا لكنْ فِى كلِّ خيرٌ.
ءاخِرُ هذهِ الأمّةِ لَا يكونُ مثلَ أيامِ الصّحابةِ والتابعينَ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الخامس والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذير من زلقات اللسان الموبقة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيته وهو فِى التحذير من زلقات اللسان الموبقة. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فأوصيكم بوصيةٍ مَن عمل بها حفظ نفسه من الموبقات وهِى حفظ اللسان. الرسول عليه السلام ذكر أنه فيما أُنزل على إبراهيم من الصحف العشرة **وعلى العاقِلِ أنْ يكون بصيرًا بزمانه مُقْبِلًا على شأنه حافظًا للسانه فَمَنْ حَسَبَ كلامه مِن عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه**[1] اهـ

حِفْظُ اللسان أمر مهم لأنَّ أكثر المهالك من اللسان. بسقطات اللسان قد يُفْسِدُ الشخصُ دِينَهُ وقد يُفْسِدُ بزلقات لسانِهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ. كثيرٌ من الناس إما فِى حال مزح أو فِى حال غضب يستدرجهم الشيطان إلى الكفر بكلمة خفيفة. الإنسان يخرج من الإسلام من

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذِكْرِ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظٌّ رَجَاءَ التَّخَلُّصِ فِى الْعُقْبَى بِشَىْءٍ مِنْهَا.

غير أن تكون نيته أن يترك الإسلام إلى دين ءاخَرَ بكلمةٍ يخرج من دين الإسلام.

كثير من الناس يتكلمون بكلماتٍ هى كفرٌ فِى حكم الشرع تخرج من الإسلام وهم يتكلمون بها كأنها ليس بها بأسٌ ما فيها معصية.

علماء الإسلام كلُّهم اتفقوا أنَّ مَن تكلم بكلمة معناها الاستخفافُ برسول الله أو بملائكة الله أو بأىّ نبىّ من الأنبياء أنه يكفر سواءٌ قصد الخروج من الإسلام إلى دين غيره أم لا وسواءٌ كان شارحًا صدره أو غير شارحٍ صدرَه طالما هو بعقله، ما نطق بها وهو غائب العقلِ ولا هى سبقُ لسان، ما لم يكن كذلك يخرج من الإسلام. على هذا علماء الإسلام من أيام الرسول إلى الآن إلا الذِى هُدّد بالقتل على أن يقول كلمة الكفر على أن يَسُبَّ النبِىَّ محمدًا أو يقول عيسى ابنُ الله أو يسجدَ لصنم الذِى هُدّد بالقتل لا يكفر إذا قال تلك الكلمة لينقذ نفسه من القتل وهو غيرُ شارحٍ صَدْرَهُ بل يَكْرَهُ تلك الكلمة. هذا الذِى يُشترط للحكم عليه بالكفر أن يكون شارحًا صدره بالكفر أما غيرُه لا يشترط فيه أن يكون شارحًا صدره. غيرُ المُكْرَهِ إن كان شارحًا صدره وإن كان غيرَ شارحٍ صدره كَفَرَ.

القرءان الكريم يقول ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾[1] واليومَ بعض الناس ممن يدَّعون العلم يقولون كيفما تكلم الإنسان بالكفر ما لم يقصدِ الخروج من الإسلام إلى

(١) سورة النحل/الآية (١٠٦).

دينٍ غيرِهِ لا يكفرُ وما لم يشرحْ صَدْرَهُ. منهم حسن قاطرجى. جماعتنا ردوا عليه بعد ذلك سكت. وطُلِبَ للمناظرة. هذا جميلٌ طَلَبَهُ للمناظرة ما وافق لكن بعد ذلك سكت هل غير اعتقاده أم لا الله أعلم. ويوجد مثل هذا القَرَضاوىُّ هذا من أولئك. يقول لا يكفر الإنسان مهما تكلم بكلام الكفر ما لم يكن شارحًا صدره وناويًا الخروج من الإسلام.

هؤلاء يقولون المكره وغيرُ المكره لا يكفر ما لم يشرحِ صدره بكلمة الكفر عَطَّلُوا هذه الآيةَ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ هؤلاء ألغَوْا ءايةً قرءانيةً ويكفيهم كفرًا.

وأيضًا رجلٌ كان يتكلم فِى إذاعة سورية قال المرأة متى ما تطيبت وخرجت فهى زانية مهما كانت نيتُها إن كانت نيتها أن تفتن الرجال أو أن تفرح بنفسها هذه زانية، وقال أيضًا هذه الكلمة أن الإنسان إذا تكلم بكلمة الكفر لا يخرج من الإسلام إلا أن يقصد الخروج من الإسلام. احذروا هؤلاء وأمثالَهم.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد على القرضاوِى فِى مسألة المكره

هذه فائدة أملاها المحدثُ الفقيهُ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لسنة تسع وتسعين وتسعمائة وألف ر فِى الرد على يوسف القرضاوِى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فيُقال ليوسف القرضاوى أنت ألغيتَ ءاية الإكراه. ءايةُ الإكراه تحكم أن المُكْرَهَ إذا تغير حاله عند النطق بالكفر فنطق بكلمة الكفر شارحًا به صدره عندئذ يكون مستحقًّا للعذاب. أنت عَمَّمْتَ جعلت جميع البشر فِى حكم المكره فأنت خالفتَ كتابَ الله وفتحتَ للناس أبواب الكفر كأنك تقول بِمِلْءِ فمك يا ناس قولوا ما شئتم سُبُّوا الله وسُبُّوا القرءان وسُبُّوا النبِىَّ ما عليكم حرجٌ. خرجتَ عن إجماع علماء الإسلام الذين وضعوا فِى كُتب الفقه كتابَ المرتد كما وضعوا كتابَ النكاح وكتابَ الطلاق وكتابَ البيع. وبقولك هذا جعلتَ للشخص المرتد أن يتزوج المسلم ويرثَ المسلم وجعلتَ له حقًّا فِى أن يدخل المسجدَ

ويُصَلّىَ وإن مات أن يدفنَ فِى مقابر المسلمين، وعلماءُ الإسلام على خلاف هذا. المذاهبُ الأربعةُ كلها فِى مؤلفاتِهم علماؤها وضعوا كتاب الردة ليُبَيّنُوا الأحكامَ التِى تترتب عليها ولم يشرط أحد منهم لا من المتقدمين ولا من المتأخرين أن الرجل لا يكون مرتدًا محكومًا عليه بالكفر إلا أن يكون شارحًا صدره وناويًا الخروجَ من الإسلام إلى دينٍ غيره. الحافظُ الإمامُ المجتهد المطلقُ ابن جرير الطبرىُّ والحافظ أبو عوانة الذِى له مستخرج على مسلم وغيرُهما من متقدمين ومتأخرين نَصُّوا على ذلك أى على أنه لو كان قلبه منشرحًا بالإسلام يُحكم على من يتلفظ بكلمات الكفر بالكفر. والكتب التِى ذُكِرَ فيها هذا كثيرة منها شرحُ الفقه الأكبر لملا علىّ القارى فهؤلاء صرَّحوا بأن الذِى يتكلم بكلمات الكفر وقلبُه مطمئن بالإيمان يحكم عليه بالكفر والردة وأنت وسيد سابق وحسن قاطرجى وصلاح الدين الإدلبِى شذذتم عن علماء الإسلام وجرَّأتم الناس على الكفر.

وهل تجد فِى تاريخ السلف والخلف أن حاكمًا رُفِعَ إليه شخصٌ تكلم بكفرٍ أنه قال له هل كنتَ شارحًا صدرك حين تكلمت بكلمة الكفر. لا تجدُ ولن تجدَه. ابن هانى المغربىُّ لما استُدعى للمحاكمة أُجرى عليه حكم المرتد فقُتل من غير أن يسألَه الحاكم عن هذا الشرط الذِى اشترطتموه أنتم يا محرفون لدين الله. وكذلك هذا المرتد الذِى كان ارتد بعد أن أسلم من اليهود فِى اليمن أجرى عليه أبو موسى الأشعرى ومعاذ

ابن جبل حُكْمَ الردة فقُتل رواه البخارى وغيره فهل ذُكر هناك أنه سئل هل كنت شارحًا صدرك لما تحولت عن الإسلام.

وهكذا شأن كثير ممن ارتدوا وحُوكِموا ما كان أحدهم يُسْأَلُ عن هذا الشرط الذِى أحدَثتُموه. كانوا يكتفون بمجرد اعترافِ الشخصِ أو شهادةِ شاهدين بأنه قال كلمةَ كذا من الكفر فيَعرضون عليه الإسلام فإن رجع وإلا أُجْرِىَ عليه حكمُ المرتد القتلُ. هذا عملُ حكام المسلمين وعلمائهم فأنتم تركتم هذا وعملتم شرعًا جديدًا.

الكافر إذا دخل بلادَ المسلمين يغزوها أليس يتأكد وجوبُ قتالِه. وهذا القرضاوىُّ مثلُه.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الردُّ على أهل الوَحدة المطلقة

هذه رسالة أملاها الشيخُ المحدّث عبد الله بن محمد الهررىّ على الشيخ الفقيه النحوىّ أبِى سليمان سهل بن الزبيبِىّ الدمشقى وهِىَ موجهة إِلى رجل فرنسِى اسمه عبد الله بونو درس إِلى الصف الرابع فِى المدرسة الدينية التِى كان يدرّس فيها أبو سليمان فِى دمشق. وهذا نص الرسالة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه. من أبِى سليمان الزبيبِىّ إِلى عبد الله حفظه الله.

أما بعد فقد بلغنى أنك ترجمت كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائرى وفيه ما فيه من عقيدة الوَحدة المطلقة فإننى أحذرك من هذه العقيدة وهِىَ مخالفةٌ لعقيدة أئمة الصوفية الصادقين كما هو مُبَيَّنٌ بالنقل عنهم فِى رسالة القشيرىّ وغيرها وكما صرح بذلك الكلاباذىُّ فِى التعرُّف وهو مِن قدمائهم وكما صرح به أيضًا السيدُ أحمد الرفاعىُّ ولىُّ الله بلا خلاف وغيرُهُما مِن متقدمين ومتأخرين. وما هو مذكور فِى كتاب الفتوحات المكية من عبارات الوَحدة المطلقة مدسوس على الشيخ مُحْيِى الدين كما بَيَّنَ ذلك

الشعرانِىُّ وغيره. فإن كنتَ دعوتَ إلى هذه العقيدة فعليك بالتوبة منها بالرجوع إلى الإسلام فإنَّ الله تعالى ذَمَّ مَنْ جَعَلَ له أجزاءً فقال ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾[1] ومَنْ زعم أن العالَم هو الله فقد ضاهَى النصارى الذين زعموا أنَّ عيسى تجسُّدٌ لله تعالى ونسبَ التغيُّرَ والتَّجزُّؤَ لربِّ العزة بل أجاز عليه سبحانه الضعفَ والتعبَ وغيرَ ذلك من صفات النقصان. ولله دَرُّ صوفِىّ عصرِه بهاء الدين الرواس القائل

دَعْ وَهْمَ أهلِ الوَحْدَةِ المطلقةْ
وافهمْ رُمُوزَ الجمعِ والتَّفرقةْ
كلُّ اتحادٍ حُكْمُهُ باطلٌ
وشاهدُ الظاهرِ قد مَزَّقَهْ
مَنْ غَيَّرَ الأيامُ أحوالَهُ
وشَيَّبَتْ رُغْمًا له مَفْرِقَهْ
ثُمَّ حَنَتْهُ ثم طاحَتْ به
تحتَ الثَّرَى فِى حُفْرَةٍ مغلقةْ
ومَنْ كلَّ حينٍ كُلُّهُ حاجةٌ
لِأَكْلِهِ والخُبْزِ والمِلْعَقَةْ
يَبُولُ مَقْهُورًا تلوى به
فِى نَوْمِهِ جُثَّتُهُ المُعَرَّقَةْ
يَكُونُ عَيْنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ
حاشا وذا مِنْ دَنَسِ الزَّنْدَقَةْ

(١) سورة الزخرف/الآية (١٥).

مـا وَحَّدَ اللهَ تعالى امرؤٌ
معتقدٌ بالوَحْدَةِ المُطْلَقَةْ اهـ

بل يَكْفِى من له لُبٌّ قولُ الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] فإنه عز وجل أثبت به وجودَ ذاته ووجودَ غيرِه الذِى هو العالَمُ وأنه تعالى هو الربُّ والعبيدَ هم المربوبون ومَنْ لم يفرق بين الرب والمربوب ويزعُمُ أنَّ الخالق هو المخلوق فلم يعرف اللهَ تعالى ولم يُوَحِّدْهُ ولم يفهم صريحَ القرءان الذِى لا يَجْهَلُ معناه عامىٌّ ولا عالمٌ من المسلمين.

وانتساب قسم من الشاذلية إلى هذه العقيدة أى عقيدة الوَحدة المطلقة لا يشهد على صحتها فإنَّ هذا مخالف لعقيدة أبِى الحسن الشاذلِىّ إذ لا تثبت هذه العقيدة عنه كما لا يثبت عنه الذكرُ بآه ونحوها مما فيه تحريف لاسم الله تعالى. بل نَصَّ شيخ الأزهر سليم البشرىُّ على عدم جواز الذكر بآه إذ إنّ ءاه لفظٌ موضوع للشكاية والتوجع ولا يدل على الكمال. ولا يجوز تسمية الله تعالى باسم غير دالٍّ على الكمالِ كما قال ربُّنا تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[2] وَءَاه ليس دالًّا على الحُسْنِ بالإجماع بل هذا اللفظُ وضعه العرب للشكاية والتوجع. قال الأبوصيرِىُّ الذِى هو من تلاميذ أبِى العباس المرسِى

(١) سورة الفاتحة/الآية (٢).
(٢) سورة الأعراف/الآية (١٨٠).

ءَاهٍ مِـمَّـا جـنـيـتُ إنْ كـان يُـغْـنِـى

أَلِـفٌ مِـنْ عـظـيـم ذنـبٍ وهـاءُ اهـ

ويكفِى أنَّ المذاهب الأربعة اتفقوا على أنَّ الأنين يفسد الصلاة لكون ءَاه ليست ذِكْرًا لله. وارجع إلى سادة الصوفية وأئمتهم كالإمام الجنيد الذِى قال التوحيد إفراد القديم من المحدث اهـ وهو الذى قال الطريق إلى الله مسدودةٌ إلا على المقتفِين ءاثارَ رسولِ الله اهـ

وخذ بالحديث الصحيح الذِى رواه الترمذىُّ والحافظ المجتهد ابن المنذر **إذا تثاءب أحدُكم فَلْيَضَعْ يَدَهُ على فِيهِ ولا يَقُلْ ءَاه ءَاه فإنَّ الشيطانَ يَضْحَكُ منه**(١) اهـ ولا يَغُرَّنَّكَ قولُ شارح الجامع الصغير العزيزىّ قال شيخنا حديث الأنين اسم من أسماء الله حديثٌ حسنٌ لغيره اهـ فإنَّ العزيزىَّ وشيخَهُ ليسَا مِنَ المحدّثين ليس لهما ذكر فِى طبقات المحدّثين. ثم هذا الحديث ليس فيه ءَاه اسم من أسماء الله وإنما فيه الأنين والأنين فِى كتب اللغة عشرون كلمة منها أَهْ ومنها ءَاه ومنها أَوَّتاه إلى ءَاخِرِ ما ذكره الفقيه اللغوىُّ شارح القاموس مرتضى الزبيدىُّ. فمن أين لهؤلاء قولهم ءَاه اسم من أسماء الله وليس فِى هذا الحديث الضعيف لفظ ءَاه إنما فيه الأنين. وهذا الحديث الضعيف يجعل من تلك العشرين كلمة للأنين أسماء لله فكيف اخترتم من بين العشرين ءَاه وأين الدليل على ذلك.

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب.

ننصحك لله أن ترجع عن هذا وتعتقد عقيدة أهل السنة أنَّ الله لا يَحُلُّ فِى العالم ولا يحل العالم فيه ولا هو متصلٌ بالعالم ولا منفصل عنه ولا يقال موجود فِى داخل العالم ولا موجود خارجَ العالم.

ويا سخافة عقول من يعتقد أن الله حالٌّ فِى البشر والبشرُ معروفٌ أنَّ جوفه فيه القذرُ وفيه الدم والرطوباتُ القبيحة، فالله تعالى لا يجوز أن يحل فِى الملائكة الذين خُلقوا مِنْ نُورٍ ليس فيهم شىء من القاذورات فكيف فِى البشر.

وإياك أن تقتدِىَ بالحلّاج وأمثاله من الذين انحرفوا عن دين الله ثم أُخِذَ بسيف الشرع فَقُتِلَ وأخذه الخليفة المقتدر بالله فقطع يديه ورجليه ثم قطع رأسه وأحرق جثته وذرَّ رمادَه فِى نهر دجلة.

قال الإمام المُحدّث الصوفِىُّ أبو عبد الرّحمن السُّلَمِىُّ فِى كتابه طبقات الصوفية الذِى ذَكَرَ فيه ألفَ صُوفِىّ إنَّ الحلاج نفاه أكثرُ الصوفية ولم يعدوه منهم والذين عدُّوه منهم وهم أربعة فِى ذلك العصر اعتبروه غائبَ العقل عندما تكلم بكلمات الوَحدة المطلقة. وقد رَوَى الترمذىُّ وغيره عن رسول الله ﷺ **إنّ اللهَ لا يَجْمَعُ أمَّتِى على ضلالةٍ فَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِى النَّارِ**(١) اهـ ولا تنظر إلى أنه اتَّبعك عددٌ كثيرٌ مِن الناس فإنك لا بدَّ أن تفارقَهُمْ وتَمكثَ فِى القبر وحيدًا ثم

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه باب ما جاء فى لزوم الجماعة.

تحشر يوم القيامة وَحْدَكَ وكذلك كلُّ فرد ممن هم اليوم مجتمعون عليك يكون وحيدًا فِى قبره ويُحْشَرُ وحده. وبالله التوفيق اهـ

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الثامن والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفرض العينِىّ والفرض الكفائىّ

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت وهو فِى بيان الفرض العينى والفرض الكفائى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وحبيب رب العالمين.

أما بعد فقد ورد فِى صحيح البخارىّ ومعجم الطبرانىّ الكبير بالإسناد المتصل من حديث أبِى هريرة عند البخارىّ ومن حديث حذيفة بن اليمان عند الطبرانىّ أنّ نبىّ الله ﷺ قال عن ربه **مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ ءَاذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**[1] اهـ

هذا الحديث دليل على أنّ العناية بما افترض الله على عباده خيرٌ من العناية بالنوافل التِى لم يفترضها عليهم فإهمال جانب الفرائض والانشغال بالنوافل من

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابُ التَّوَاضُعِ والطبرانىّ فى المعجم الكبير باب عُثْمَانُ بْنُ أَبِى الْعَاتِكَةِ عَنْ عَلِىِّ بْنِ يَزِيدَ.

علامات الغرور لذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فِى شرحه فِى البخارىّ قال بعض الأكابر مَنْ شَغَلَهُ الفرضُ عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور اهـ فمن علامة المفلح أن يكون اهتمامه بما افترض الله عليه واعتناؤه بذلك فوقَ اعتنائه بالنوافل.

ومما افترض الله على عباده تعلُّمُ العلم الدينىّ الضرورىّ هذا الذِى فرضه الله على كل بالغ عاقل، كلُّ مَن بَلَغَ وكان بصفة العقل فهو مسؤول يوم القيامة عن تعلم علم الدين الضرورى لأن علم الدين قسمان قسم يجب على كل مكلف أى بالغ عاقل تعلمه فمن لم يتعلمه فهو عاصٍ فاسقٌ وهو ما يتعلق بمعرفة الله ورسوله وسائر أصول الدين وما يتعلق بالصلاة أى الصلوات الخمس وصيام رمضانَ هذا فرض عين لا يستغنِى أحد من المكلفين عنه، كذلك معرفة أعمال القلوب لأن القلب له أعمال منها ما هى عباداتٌ تُقَرّبُ إلى الله ومنها ما هى معاصٍ تُبْعِدُ من الله. ثم مِنَ الذِى هو فرضٌ معرفته على كل مكلف المعاصى التِى تتعلق بالعين واللسان والأذن واليد والرجل والبطن ونحو ذلك فمن هنا فرضٌ على كل مكلف أن يعرف التفرقة بين المال(١) الحلال الواصل إليه من المال الحرام لأن الإنسان يصل إليه مال حلال ومال حرام

(١) قوله المال ليس المراد منه العملة فقط بل كل ما له قيمة مما يُتملَّكُ يقال له مال.

فإذا لم يعرف ما هو المال الحلال فِى الشرع وما هو المال الحرام فِى شرع الله يقع فِى استعمال المال الحرام.

هذا هو العلم الضرورىُّ الذِى لا يجوز لأحد من البالغين العاقلين الجهلُ به هذا الذِى من لم يتعلمه يكون مؤاخذًا فِى الآخرة معاقبًا لأن السؤال فِى الآخرة يوم القيامة كما ورد فِى جامع الترمذىّ عن نبىّ الله ﷺ أنه قال **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ عُمرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**(١) اهـ

المال فيه مسؤولية كبيرة فِى الآخرة من أين أخذت هذا المال من حلال أم من حرام وفيما صرفت هذا المال فِى حلال أم فِى حرام. حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأما القسم الآخر من علم الدين فهو فرضُ كفايةٍ أى أنه يجب على بعض المسلمين بحيث تحصل بهم الكفاية وهو ما زاد على ذلك من علم الدين. فرضُ الكفاية هو العلم الذِى يستطيع الشخص أن ينفع به غيره. هذا هو القدر الذِى هو فُرضَ على بعض المؤمنين لا على جميع المكلفين فهو العلم الذِى يزيدُ على حاجاتِ هذا الشخص لنفسه وهو القدر الذِى يحتاج إليه ليصلح الشخصُ لأن يفتىَ غيره، القدرُ الذِى يُحتاج إليه للحادثات التِى تحدث للناس، تحصل فِى

(١) رواه الترمذى فِى سننه باب فِى القيامة.

الصلاة مسائلُ وفِى الزكاة وفِى الحج وفِى النكاح وفِى الطلاق مسائلُ غيرُ ظاهرةٍ فيجب أن يوجدَ فِى المسلمين من يعرف هذه المسائل، هذا القدر إذا علمه بعض المسلمين سقط الحرَج عن الآخرين.

ومن هذا العلم وجودُ أناس يعرفون علم العقيدة بأصولها وبأدلتها بحيث يستطيعون الردَّ على المشبهة المجسمة الذين يشبهون الله بخلقه وعلى المعتزلة الذين يقولون الإنسان هو يخلق أفعاله وعلى الجبرية وعلى المرجئة وعلى الخوارج وعلى الملحدين الذين لا ينتسبون إلى الإسلام كالدهرية. يجب أن يُوجدَ فِى كل بلد من بلاد المسلمين مَن يستطيع الردَّ على هؤلاء وهذا يتطلبُ العلم بالدلائل العقلية زيادةً على الدلائل النقلية. وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس التاسع والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الكلام على معنى حديث من قال أستغفر الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوب إليه

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فى سويسرة فِى الواحد من محرم سنة تسع وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للثالث عشر من شهر ءاب سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان بعض ما يتعلق بحديثِ من قال أستغفر الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوب إليه. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعد فإنَّ حديثَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضى الله عنهما عن النبِىّ ﷺ أنه قال **مَن قال أستغفرُ الله الذِى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ وأتوبُ إليه غُفرَ له وإن كان قد فَرَّ مِن الزحفِ**[1] اهـ هذا الحديثُ يُحملُ على

(١) رواه أبو داود فِى سننه بَابٌ فِى الِاسْتِغْفَارِ.

ظاهرهِ ولا يُقالُ فيه كما قال بعضُ العلماءِ إن الذِى يقول **وأتوبُ إليه** ولم يكن تائبًا بالفعلِ يكونُ كاذبًا فهذا غيرُ صحيحٍ ولا يَنْبغِى أن يُلتفت إليه فإنَّ الذِى يقولُ **وأتوبُ إليه** إن كان فِى ذلك الوقتِ بعدُ متلبّسًا ببعضِ المعاصِى لم يَتُبْ منها بَعْدُ لا يكونُ بقوله **وأتوبُ إليه** كاذبًا لأن معنى وأتوبُ إليه أنه فِى المستقبل يتوبُ وأنه عازمٌ على أن يتوبَ فِى المستقبلِ فيما بعد هذا الوقتِ فلا يكونُ كاذبًا، فإن رأيتم فِى بعضِ المؤلفاتِ ككتابِ الأذكارِ للنووىّ وغيره أنَّ الذِى يقولُ **وأتوبُ إليه** وهو غيرُ تائبٍ يكون كاذبًا مذنبًا فاحذروا هذا الكلام هذا كلام لا معنى له وهو مردود لأمرينِ أحدهما أن رسول الله ﷺ قال **وإن كان قد فرّ من الزحفِ** فهو دليلٌ صريحٌ على أنه يُغفرُ له من الكبائرِ لأنه عليه الصلاة والسلام قال **وإن كان قد فرَّ من الزحفِ** معناه حتى لو كان وقعت منه هذه المعصيةُ الكبيرة فإن الله تباركَ وتعالى بهذا الاستغفارِ يَغفِرُها له وهذا يدل على أنه يغفر له بهذا الاستغفار من الكبائرِ لأنه لو كان الأمر كما يقولُ هؤلاءِ العلماءِ أن هذا الاستغفارَ لا ينفعُ إلا الذِى قد تابَ بالفعلِ من الكبائرِ وليس عليه كبيرةٌ واحدةٌ لم يقل رسول الله **وإن كان قد فرَّ من الزحفِ** كما أنه لا يصح أن يُقال إن مُرادَ الرسولِ ﷺ أن يكونَ الشخصُ قد كان تابَ من الكبيرة كالفرار من الزحف ثم بعدَ ذلك قال هذا الاستغفارَ حتى يُغفرَ له لأن الذِى تابَ من الذنب يغفر له ذنبه سواء قال هذا الذكرَ أم لم يقل، بتوبته غُفرَ له ولا يحتاجُ إلى أن

يقول أستغفر الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوبُ إليه حتى تحصلَ له المغفرة بل توبتُه محت كلَّ الكبائر التِى كان عملَها ثم تاب منها فلا يحتاجُ إلى هذا الاستغفارِ لأن التوبةَ تهدِمُ الذنوبَ. والتوبةُ هى الندمُ بالقلب على المعصيةِ التِى فعلها والعزمُ على أنه لا يعودُ إلى تلك المعصيةِ والإقلاعُ عنها هذا يكفِى لتُمحَى تلكَ الكبائرُ سواءٌ قال بعد ذلك أستغفرُ الله الذِى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوبُ إليه أم لم يقل فلا معنى لاشتراط أن يكونَ قائلُ هذا الاستغفار تائبًا.

والأمر الثانى الذِى يوجبُ رَدَّ هذا الكلام الذِى قاله بعضُ العلماءِ أن معنى وأتوبُ إليه أى سأتوبُ إليه فمن أينَ دخلَ عليه الكذب. هذا الشخصُ حينَ يقولُ وأتوبُ إليه قصدهُ فيما بعدَ هذا أُنشئُ التوبةَ ليس معناه وقد تُبتُ. الشخصُ الذِى لم يتب من الكبائر إذا قال أستغفر الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وقد تُبت من ذنوبِى هنا كان يأتى الكذب، فِى هذه الحالة يكون وقع فِى الكذبِ أما وهو لم يقل ذلك إنما قال وأتوب إليه فمعناه سأتوب إلى الله فيما بعد هذا فمن أين يكون دخل عليه الكذب. بعض العلماءِ يُشدّدونَ من غيرِ داعٍ إلى التشديدِ. أىُّ داعٍ إلى هذا التشديد ورسولُ الله ﷺ يقولُ **وإن كان قد فرَّ من الزحفِ**. هذا غلطٌ من هؤلاء العلماءِ.

ثم هذا الحديث حديثُ **أستغفر الله الذِى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ وأتوبُ إليه أو الحىُّ القيومُ وأتوب إليه**

رُوِىَ بعدةِ وجوهٍ منها هذا اللفظُ مَن قال أستغفرُ الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوبُ إليه غُفرَ له وإن كان قد فرَّ من الزحف اهـ ورُوِىَ بوجهٍ ءاخَرَ وهو من قال أستغفرُ الله الذِى لا إله إلا هو الحىَّ القيوم وأتوبُ إليه دُبُرَ الصلاةِ غُفرَ له وإن كان قد فرَّ من الزحفِ اهـ ورُوِىَ بلفظِ من قال أستغفرُ الله الذِى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوبُ إليه ثلاثَ مراتٍ غُفرَ له وإن كان قد فرَّ من الزحفِ اهـ فالروايةُ التِى إسنادها صحيحٌ هى الروايةُ الأولى ليس فيها ذكرُ ثلاث مراتٍ وليس فيها ذكرُ دُبُرَ الصلواتِ أما الروايتان الأخريان روايةُ ثلاثِ مراتٍ وروايةُ دُبُرَ الصلواتِ فهما غيرُ صحيحتى الإسنادِ والروايةُ الصحيحة هى التِى ليس فيها تقييدٌ، روايةُ الإطلاقِ هى الصحيحةُ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهُ خالقُ أعمالِ العبادِ

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أنَّ اللهَ خالقُ أعمالِ العِبادِ الاختياريةِ والضَّرُورِيَّةِ. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلاةُ اللهِ البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى جميع إخوانه من الأنبياء وسلامُ الله عليهم أجمعين.

أما بعد فقد رَوَينا فِى كتاب القدر للبيهقىّ وفِى كتابِ الأسماء والصفاتِ له وفى كتابِ المستدركِ للحاكم أن رسولَ اللهِ ﷺ قال **إنَّ اللهَ صانعُ كُلِّ صانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**(1) اهـ

معنى الحديث أنَّ الله تعالى هو خالقُ كُلّ عبدٍ يعمل شيئًا وصَنْعَتِهِ أى فِعْلِ ذلك العبدِ هو خالقُ العبدِ وفِعْلِهِ. فالمؤمنُ بالقَدَرِ هو الذِى يؤمن أنَّ الله خالقُ العبادِ وأعمالِهم أى حركاتِهم وسكونِهم ونواياهم وأفكارِهم

(1) رواه البيهقىّ فِى شعب الإيمان باب القدر خيره وشره من الله عز وجل.

أى كلُّ ذلك خَلْقٌ لله تعالى مخلوقٌ له لا يَخْلُقُ العبدُ شيئًا مِن ذلك. هذا معنى كلام رسول الله ﷺ. هذا معنى الإيمان بالقدر. أما من فرَق بين العبد وبين عمله فقال اللهُ خالقُ أجسام العبادِ أما أعمالهم فهى مخلوقةٌ لهم هم خلقوها بقدرة أعطاهم اللهُ إياها فهذا ما ءامن بالقدر.

هذه مسئلةٌ مهمةٌ لأنها مسئلة تتعلّق بالإيمان لأنَّ الإيمان كما فسّره رسولُ الله ﷺ لما سأله جبريل وكان حضر إلى مجلسه عليه الصلاة والسلام بصورة إنسان لا يعرفه أحدٌ منهم سأله عن الإسلام ثم سأله عن الإيمان ففسر له الإيمان بستة أشياء قال له **الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرّهِ**(١) اهـ فالذِى لا يؤمنُ أنَّ اللهَ خالقُ العبدِ وأعمالِهِ أى حركاتِهِ وسكونِهِ وتفكيراتِهِ وعلومِهِ وإدراكاتِهِ فهو ليس بمؤمن بالقدر، لو قال العبدُ يخلقُ هذه الأشياء بِقُدْرَةٍ خَلَقَهَا اللهُ فيه بِقُدْرَةٍ أعطاه الله إياها هذا لا ينفعه أى أنَّ قوله هو العبدُ يخلق أفعاله بقدرةٍ خلقها الله فيه ضلالٌ، هذا ضلال، ضد الإسلام، ضد عقيدة التوحيد لأن التوحيد لا يصح على هذا الوجه أى أنْ يقول الشخص إنَّ الله واحد فِى ذاته ومع ذلك يثبت لغيره الخلقَ أى التكوينَ أى الإخراجَ من العدم إلى الوجود لا يصح له الإيمان والتوحيد لأنه أثبت شريكًا لله تعالى فِى صفة من صفاته.

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

كذلك لا ينفع هؤلاء قولُهم الأفعالُ التِى هِىَ اضطرارية كحركة المرتعش هِىَ بِخَلْقِ الله وقضائه وقدره لا ينفعه ذلك لا يجعله ذلك مؤمنًا بالقدر إنما الإيمان بالقدر هو أن يعتقد الإنسان أن الله تعالى هو خالق جميع أفعال العباد ما كان منها باختيارهم وما كان منها بغير اختيارهم أى أن الله تعالى خالق ذلك كُلّهِ. هذا مذهب أهل الحق. وأما الذين قالوا إن الله أعطى العبد القدرة فالعبد يخلق هو بتلك القدرة التِى أعطاه الله إياها حركاتِهِ وسكناتِهِ هؤلاء ما ءامنوا بالقدر. كذلك الذين قالوا أفعال العباد ما كان خيرًا أى ما كان من الحسنات فالله يخلقها على أيدِى عباده وأما ما كان منها معاصِىَ وشرورًا أى كالمكروهات فإنَّ الله تعالى ليس هُوَ خالقَها كذلك هؤلاء ما ءامنوا بالقدر.

احذروا هذه الطوائفَ الطائفةَ التِى تقولُ أفعالُ العباد الاختياريةُ إن كانت خيرًا وإن كانت شرًّا فالعبدُ هو الذِى يخلُقُها احذروا هؤلاء واحذروا الذين يقولون أيضًا إن الله تعالى يخلق الخير الذى يَجْرِى على عباده أى الإيمان والطاعة هو يخلقها ليسوا هم يخلقونها أمّا المعاصى فهم يخلقونها هؤلاء أيضًا ضالّون فاحذروهم، احذروا كِلَا الفريقين. الفريق الأول يُمَوّهُون على الناس بقولهم العبدُ يخلق أعماله الاختياريةَ بقدرة أعطاه الله إيّاها هذا تمويهٌ الذِى يقول العبد هو يخلق أعماله استقلالًا وبقدرة لم يخلقها الله تعالى فيه بل هو العبد يخلق هذه القدرة أو هذه القدرة توجد بلا فاعل بلا مُوجِدٍ بلا خالقٍ هو العبد بهذه القدرة التِى لا خالق لها

يخلق أعماله الاختيارية كلُّ هؤلاء ضالّون الحق هو ما جاء به رسول الله ﷺ الذِى نطق به حديثُه هذا **إنَّ اللهَ صَانِعُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**[1] اهـ

ثم هذا الحديث يُؤَيِّدُهُ القرءانُ الكريمُ لأن فيه عدة ءاياتٍ بهذا المعنى كقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2] أى أنه تبارك وتعالى هو خالق أجسامِنا وأفكارِنا ونوايانا وعزائمِنا كل ذلك اللهُ تعالى يخلقه. كلمة شيء بعض الناس يظنون أنها للأجسام فقط كجسم الإنسان وللحجر وللشجر ونحو ذلك ليس الأمر هكذا بل الشىء يَعُمُّ الأجسامَ وصفاتِ الأجسامِ وحركاتِ الأجسام المتحركة وسكونَها، كلُّ ذلك شىء.

الشيطانُ سببٌ فقط ليس هو الذِى يخلق الضلالة فِى الإنسان ولا فِى نفسه، إبليسُ ليس هو خلق ضلالته وغَوايته الله هو خلقها فيه وإذا أغوى الناس كما أخبر الله تعالى عنه فِى القرءان أنه قال ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾[3] معناه أنه جعله سببًا ما جعله خالقًا إبليسُ الله تعالى جعله سببًا لِغَوايَةِ بعض الناس ما جعله خالقًا نحن نقول لا خالقَ إلا اللهُ ونؤمن بالأسباب، إبليسُ جعله الله سببًا لضلال كثيرٍ مِن خلقه لكنه لم يجعله خالقًا لضلال أحد ولا لضلال نفسه.

(١) رواه البيهقىّ فِى شعب الإيمان باب القدر خيره وشره من الله عز وجل.
(٢) سورة الزمر/الآية (٦٢).
(٣) سورة ص/الآية (٨٢-٨٣).

هؤلاء الذين يقولون الشيطان يخلق الشر يُسَمَّوْنَ القدرية والذين يقولون العبد يخلق فعله يُسمَّون قدريةً ويُسمَّون معتزلةً. بعض الفقهاء ما تصوّروا حقيقة كلام المعتزلة فقالوا تصح الصلاة خلفهم وهذا كلام مردود، الحافظُ سِراجُ الدين البُلْقِينِىُّ الذِى قال فيه صاحب القاموس عَلَّامَةُ الدنيا[1] رَدَّ هذا الكلام الذِى فِى روضة الطالبين قال هذا غير صحيح بل لا تجوز الصلاة خلف المعتزلة وإنما كلام الشافعى فِى قوله أقبلُ شهادةَ أهلِ الأهواء إلا الخَطَّابِيَّةَ محمولٌ على أنه أراد بذلك ما لم تثبت فِى أحد منهم قضيةٌ تقتضِى التكفير اهـ معنى ذلك أننا لا نكفّر الشخصَ لمجرد أنه ينتسب إلى المعتزلة أما إذا ثبتت عليه مقالةٌ تقتضِى التكفير فإنه يكفر قال هذا مرادُ الشافعىّ ليس مراد الشافعى أنّ المعتزلة على الإطلاق لا يكفرون رَدَّ كلامَ النووىّ وغيرِهِ وقال هذا هو الكلامُ الذِى عليه كبار أصحاب الشافعىّ.

مراد الشافعى أن من المعتزلة من ينتسب إليهم ولا يقول بجميع مقالاتهم التِى تقتضِى الكفرَ إنما يقول ببعض مقالاتهم التِى لا تقتضِى الكفر.

ثم الإمام أبو منصور التميمى البغدادىُّ هذا شيخ البيهقىّ تَلَقَّى الحديثَ من أبِى بكر الإسماعيلىّ صاحبِ المستخرج على البخارىّ يقول أجمع أصحابنا على

(١) ذكر صاحب القاموس فِى حرف النون بلدة بلقينة وقال ومنها صديقنا علامة الدنيا عمر بن رَسلان اهـ

تكفير المعتزلة. ماذا يكون قول بعض المتأخرين بالنسبة إلى هذا.

من المعتزلة من يقول إنَّ الله لا يُرَى فِى الآخرة أخذ ببعض مقالاتهم كهذه المقالة أما مقالاتُهم التِى هىَ أوسخُ من هذه مما هو كفر كقولهم إنَّ الله كان قادرًا على أن يخلقَ حركاتِ العبدِ وسكونَهُ لكن بعدما أعطاه القدرة عليها صار عاجزًا لا يستطيع فمن أخذ بها هل يُتردد فِى كفرهم؟ الذِى ينتسب إلى المعتزلة ويقول هذه المقالة من مقالاتهم هذا مَنْ يَشُكُّ فِى كفره؟ أما بعضُ المنتسبين إلى الاعتزال الذين لا يقولون بهذه المقالة بل أخذوا منهم مقالاتٍ أخرى لا تقتضِى التكفير فلا يكفرون.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادى والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان أن الله خالق الأسباب والمسبَّبات والإصابة بالعين

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرِىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أن الله خالق الأسباب والمسبَّبات والإصابة بالعين. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وسلامُ الله عليهم أجمعين.

أما بعد فإن اللهَ تبارك وتعالى هو خالق كل شىء خلق الأسباب وخلق المسبَّبات لهذه الأسباب، خلق الدواء وخلق الشفاء عند استعماله، خلق الطعام وخلق الشّبع عند أكله، وخلق النار وخلق الحُرقة عند مَسّها، فالأسباب لا تخلق مسبباتها فالله تعالى هو خلق هذه النار وهو الذِى يخلق الإحراقَ ليست النار تخلق الإحراق كذلك خَلق الخبز وجعله سببًا للشبع فالله تعالى هو الذِى يخلق هذا الشبع ليس الخبزُ يخلقُ هذا الشبعَ لأنه يجوز عقلًا أن يأكل الإنسان الطعام ولا يحصل الشبع كذلك يجوز أن يمس الإنسان النار ولا

يحصل الإحراق كما حصل لإبراهيم عليه السلام الذِى أُلْقِىَ فِى نارٍ عظيمةٍ لم يستطع الكفارُ أن يُمسكوه بأيديهم فيرموه فيها من شدة وهجها بل عمِلوا منجنيقًا ووضعوه على المنجنيق فقذفوه إلى النار ورغم ذلك فإنها لم تحرقه ولا ثيابه فهذا دليل على أن النارَ لا تخلق الإحراق بل اللهُ تعالى يخلق عند مماستها الإحراقَ. كذلك الخبزُ لا يخلقُ الشبعَ والماء لا يخلق الرّيَّ بل الله تعالى يخلق الرّيَّ عند شرب الماء فأغلبُ الناس إذا أكلوا وشربوا أجسامُهم تظل متماسكةً وقواهم تظل على حالها لأن الله تعالى جعل هذا السبب مرتبطًا بالمُسبَّب وقد يخرق الله تعالى هذه العادة فيوجد السبب ولا يوجد المسبَّب لأن الله لم يشأ وجوده. كذلك الأدوية جعلها الله تعالى سببًا للشفاء فكثيرٌ من الناس يستعملون الأدوية ولا يتعافون وكثيرٌ ءاخَرُونَ يستعملون ذلك الدواء نفسَه فيتعافون مع أن المرضَ واحدٌ والدواءَ واحدٌ فما الذِى اقتضى ذلك نقول أولئك الذين استعملوا الدواءَ لمرض فتعافوا به شاء الله تعالى أن يحصلَ لهم الشفاءُ بعد استعمال هذا الدواء والذين لم يتعافوا به فالله تعالى لم يشأ لهم أن يَتَعَافَوْا باستعمال هذا الدواءِ إذًا فالدواءُ لا يخلق الشفاء هذا الذِى نحن نستنتجه من هذا.

كذلك قصةُ رحمةَ بنت إبراهيم التِى مضى عليها ألف ومائة وشىءٌ(١) لأنها كانت فِى القرن الثالث الهجرِىّ،

(١) مضى عليها إلى يومنا هذا نحو مائتين وألف.

فهذه رحمة عاشت نحو ثلاثين عامًا لا تأكل ولا تشرب وهِىَ صحيحة الجسم صحيحة الفكر والأعصاب، ما منعها تركُ الأكل والشرب من قوة المشىِ ولا منعها من صحة الفكر ولا الفهم، ظلت طيلةَ هذه المدة بلا أكلٍ ولا شرب وهِىَ صحيحةُ الجسم ليكونَ هذا عبرةً للمؤمنين حتى يعرفوا أن الله تعالى هو الذِى يخلقُ الصحةَ وهو الذِى يحفظ الصحة فيمن يشاء من عباده إلى الوقت الذِى شاء على حسب علمه الأزلِىّ فلو كانت الصحةُ يخلقُها الأكلُ والشرب ما عاشت هذه المرأةُ كلَّ تلك المدة الطويلةِ وهِىَ صحيحةُ الفكر صحيحةُ الجسم. ومنذ مدةٍ خمسةَ عشرَ عامًا كنتُ بحلب فقال لِى أحد مشايخ حلب إن هناك رجلًا من أهل الجزيرة وهو شيخٌ من أهل العلم لم يأكل ولم يشرب منذ أربعةَ عشرَ عامًا وهو يتجول يسافر من بلد إلى بلد، قال نزل عندِى ضيفًا فلم يأكل ولم يشرب. كذلك حصل فِى الحبشةِ أن شيخًا من الأولياء كان مولعًا بالعبادة يحب الصلاة كأنه يلتذُّ بالصلاة ما لا يلتذُّ كثيرٌ من الناس بالأكل والشرب هذا من شدة ما هو مولعٌ بالصلاة صار يخرج إلى غابةٍ قريبة من الضيعة حتى يصلّىَ كما يشاء ولا يشغلَه أحدٌ فظل يصلّى هناك حتى حصل له ذات يوم استغراقٌ وهو قائمٌ على قدميه صار لا يتكلم مع أحد ولا يأكلُ ولا يشربُ ولا يجلس طرفةَ عينٍ لا فِى ليل ولا فِى نهار والناس الذين كانوا يمرون فِى تلك الناحية صاروا يعطفون عليه. لما رأوه تحت السماء وليس فوق رأسه

شَىْءٌ بَنَوْا فوق رأسه عريشًا حتى تُظله من الشمس وهو لا علم ولا شعور له بهم فأحدُ أصدقائِى الطيبين قال قلت فِى نفسِى لعل الشيخ يظل بالنهار واقفًا وبالليل يستريحُ لَأُراقِبَنَّهُ الليلةَ قال ذهبت إليه فَبِتُّ أراقبُه الليلَ كلَّه فلم أره يجلس بل هو كما بالنهار حتى قضى شهرين وهو فِى هذه الحال ثم ذهبَ من تلك الأرض إلى العاصمة ظل هناك سنين ثم أنا بعد ذلك زرتُهُ. هذا الرجلُ كان بارًّا بأمّه وكان إذا حصل فِى الضيعةِ وفاةٌ يهتم بتجهيز الميّت. وكان قد تعلم علم الدين وعاش نحو سبعين عامًا من العمر رحمه الله. هذا فيه دليل لنا على أن الأكل والشرب والاستراحة ليست هِىَ التِى تخلق الصحة وسلامة الجسم إنما اللهُ هو الخالق الذِى يخلق الصحة وسلامة الجسم. كل هذا دليل لنا لنعتبرَ ولنزدادَ يقينًا بأن الله تعالى هو خالق كل شَىْءٍ فبمشيئة الله تعالى يحصل بالأكل الشّبَعُ وبشرب الماء الرِىُّ وبمماسّة النّار الإحراقُ أما بدون مشيئة الله لا يحصل شَىْءٌ من المُسَبَّبَاتِ. كذلك الله تعالى خلق الأمراضَ وخلقَ الأدويةَ فجعل بين الأدوية والأمراض علاقةً فإذا تناول الإنسان الدَّواءَ يَتَعَافَى إن شاء الله فِى الأزل أن يتعافَى هذا الإنسان بهذا الدواءِ أما إن لم يشأ الله تعالى فِى الأزل أن يتعافَى هذا الإنسان بهذا الدواء لا يتعافَى.

كذلك السُّمُّ الله تعالى جعله سببًا للضرر فَمَنْ تناول السَّمَّ يحصل له ضرر بمشيئة الله أما إذا لم يشأ الله تعالى أن ينضرَّ إنسانٌ بالسم فلا ينضر. كذلك الله

تبارك وتعالى جعل العينَ أى عينَ الحسود التِى تنظر مع حسد سببًا للضرر فِى المنظور لكن هذا الضررُ بالعين لا يحصل إلا بمشيئة الله كم من إنسان يحسُدُ فينظرُ إلى المنظور بعين الحسَدِ فلا يحصل له ضرر كما أن هناك أناسًا كثيرين تنظر إليهم عين الحسود فينضرّون هذا كله بمشيئة الله. كذلك السحر بعض الناس يحصل لهم الضرر بالسحر وبعض الناس لا ينضرّون وذلك أيضًا كلُّه بمشيئة الله.

ومن الدليل على أنه لا ينضرُّ أحدٌ إلا بمشيئة الله أنَّ الله تعالى وَكَّلَ بالإنسان ملائكةً، اثنان يكتبان ما يعمل الإنسان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات وهناك غيرُ هذين مع كل واحد من البشر وظيفتُهم أن يحفظوا هذا الإنسانَ من المهالك لكنِ المهالكُ والمضارُّ التِى قدّر اللهُ أن تصيبَ هذا الإنسانَ فأولئك الملائكةُ لا يَحُولُونَ بينه وبين تلك المضارّ لا بد أن تصيبَه مع وجودهم لأنه لا يردُّ قدرَ الله تعالى أحدٌ. هؤلاء الملائكة مخلوقون مثلَنا لكن الله تعالى ميَّزهم بصفات ليست فينا هؤلاء الملائكة يحفظون الإنسان من مهالكَ كثيرةٍ فلولا وجودُهم لكان الجنُّ يلعبون بنا كما يلعبُ الإنسانُ بالكرة وذلك لأنهم يروننا من حيث لا نراهم، هم معنا لكن لا نراهم، وهؤلاء الملائكةُ يحفظوننا فِى أكثر الأوقات منهم. أما الضرر الذِى قدّرَ الله وعلم فِى الأزل أنه يصيبُنا من قِبَلِ الجنّ فالملائكة لا يدفعون عنَّا هذا بل مع وجودهم يصيبُنا ذلك الضرر الذِى كتبه الله.

فمما جاء فِى العين أنَّ العينَ حقٌّ أىْ شَىْءٌ ثابتٌ أنَّ الرسول ﷺ قال **العينُ حقٌّ فلو كان شىء سابق القدر سبقته العين**[١] اهـ معناه أنه لو كان شىء يغلبُ قدرَ الله تعالى لسبقت العينُ القدرَ معناه العينُ لها تأثيرٌ كبيرٌ لكن لا شىءَ يغلبُ قدرَ الله. كان اثنان من أصحاب رسول الله خرجا مع الرسول فِى سفر مع أصحابه فتجرد أحدهما من ثيابه أى مما سوى ما يستر العورة تجرد ليغتسل من ماءٍ مِن ماءِ المطر مجتمع فِى بعض الصخور فرفيقه هذا مؤمنٌ من أصحاب رسول الله لَمَّا نظر إلى بياض جسمه وحُسْنِ منظره قال واللهِ ما رأيتُ كاليومَ ولا جلدَ عذراء أى بنتًا عذراء أى ما رأيت مثل هذا الجسد فِى الحلاوة والحُسن، نطق فأصابه بالعين فوقع فِى الحال مرتميًا، صُرع فِى الحال فأُخبِر الرسولُ ﷺ أن فلانًا وفلانًا ذهبا إلى مكان كذا فحصل لفلان أنه وقع فغضِبَ الرسول ﷺ وقال **لأىِّ شَىْءٍ أحدُكم يضرُّ أخاه لماذا لم يُبرّك عليه**[٢] اهـ أى لماذا لم يقل اللهم بارك فيه ولا تضرَّه ثم الرسول دعا له فتعافَى وقام كأنه لم يكن به شىء. لو لم ينطقِ الناظرُ ما أصابه لكن الشخصُ لما يُعْجَبُ بِشَىْءٍ بجمال شخص مثلًا فيتكلم ويقول ما هذا هذا شَىْءٌ حلوٌ، لما يتكلَّمُ يخلق اللهُ الضررَ فِى الشخص المنظور إليه، وإن لم

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب الطب والمرض والرقى.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه باب ذِكْر الأَمْرِ لِمَنْ رَأى بِأخِيهِ شَيْئًا حَسَنًا أنْ يُبَرّكَ لَهُ فِيهِ.

يتكلم لا يحصل مهما أعجبَه ذلك الشىء، إن لم يتكلم لا يحصل الضرر للمنظور، وإذا قال الشخصُ الناظرُ اللهم بارك فيه ولا تضرَّه لا يحصل بعينه ضررٌ للشخص. ثم إنه لما ينظرُ هذا الإنسان بعينِ الحسد إلى شخص أو إلى شىء يعجبُه ويتكلمُ على وفق ذلك ويخلقُ اللهُ الضرر فِى هذا الإنسان الشيطانُ أيضًا تلك الساعةَ يلاحظ أن هذا الإنسانَ ضربَ هذا الإنسانَ بعينه فيصيبُ ذلك الإنسان فيزدادُ الضررُ فِى هذا الشخص، أما إذا قال الناظر اللهم بارك فيه ولا تضرَّه فيكون حَصَّنَ ذلك الإنسانَ حتى لا ينضرَّ بعينه.

ثم أيضًا كثيرٌ من إصابات الجن للبشر إنما تكون فِى محل الغُسل وفِى الخلاء فإذا قال الإنسانُ قبل أن يحطَّ رجلَه فِى الخلاء بسم الله وعند التجرد للاغتسال قال بسم الله الذِى لا إله إلا هو يُحفظُ من إصابة الجنّ له وهو فِى هذا المكان. فِى زمن سيدنا علِىّ كانت امرأةٌ اغتسلَت فِى مكان يبال فيه وما تَحَصَّنَتْ ما قالت بسم الله ولا قالت بسم الله الذِى لا إله إلا هو فإذا بها تنصرعُ على الأرض فَأُخْبِرَ سيدُنا علِىٌّ رضِىَ الله عنه فرقاها فقامت وليس بها شَىْءٌ. وقد قال ﷺ **أكثرُ من يموت من أمّتِى بعد كتابِ الله وقدره بالأنفُس**[١] اهـ المعنى أن أكثرَ من يمرض مرضًا يؤدّى إلى الموت فِى أمّتِى يكون من العين هذه الأمراض التِى تكون مُعْضِلَةً

(١) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى الْعَيْنِ أَنَّهَا حَقٌّ وَفِى الِاغْتِسَالِ لِمَنْ بُلِى بِهَا.

لا ينجح علاجُ الأطباءِ فيها تكون من العين. فإذا أراد الشخص أن يُحصّنَ ولدَه يقول أُعِيذُكَ بكلماتِ الله التامَّةِ مِن كلّ شيطانٍ وهامَّة ومن كلّ عين لامَّة اهـ فإذا قال هذا حَصَّنَ ولدَه فإن كان أولادُه عددًا يحصّنُهم جملةً فيقول أُعِيذُكم وإن شاء يحصّنُ هذا بمفردِه ويُحصّنُ هذا بمفرده ويقول أعيذكَ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثانى والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الله ليس حجمًا ولا يتّصف بصفات الحجم

درس ألقاه المحدث الأصولِيّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرِيّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أن الله ليس حجمًا ولا يتصف بصفاتِ الحجم. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناء الحسن وصلواتُ الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدِنا محمّد أشرف المرسلين وسلامُه عليه.

أما بعد فالله تعالى خالقُ العالمِ كلّه خالقُ الأجسام اللطيفة والكثيفة وخالقُ صفاتِ الأجسام كالحركة والسكون والكون فِى جهةٍ ومكانٍ فالله تعالى لا يجوزُ عليه المكانُ والمكانُ هو الفراغ الذِى يشغلُه الحجمُ وهذا لا يجوز على الله، يجوز على الإنسان ونحوه. الآن الإنسانُ عندما يجلس يأخذ مكانًا من الفراغ هذا مكانُه ليس المكان شيئًا صلبًا يعتمد عليه فقط، الفراغ الذِى يَحْوِى جسمًا يسمى مكانًا.

من قال الله متصلٌّ قاعدٌ على العرش أو قال منفصلٌ غير قاعد على العرش كلاهما أثبتا المكانَ لله وهذا

كفرٌ. العرش واقف فِى الفراغ والسماءُ واقفةٌ فِى الفراغ وهذه الأرض واقفة فِى الفراغ كلُّ هذا مكانٌ والله تعالى منزهٌ عن ذلك لا هو واقفٌ فِى الفراغ ولا هو معتمدٌ على شَىْءٍ صُلْبٍ كما نحن نعتمد على شَىْءٍ صُلْبٍ. الله تعالى كان قبل الفراغ وقبل هذه الأشياء الصلبة وقبل الأشياء اللطيفةِ كالضوء والظلام لأنه ليس حجمًا كالإنسان أو كالريح ولو كان كذلك لكان له مكان فِى الفراغ. كل هذا مخلوق لم يكن ثمَّ كان.

أهل السنة يقولون كان اللهُ ولا مكان معناه أنه كان قبل الأجرام اللطيفةِ وقبل الأجرام الصلبة كالعرش والسموات قبل هؤلاء كلهم كان موجودًا من غير أن يكون مستقِرًّا على فراغ أو حجمٍ صُلب.

أهل السنّة يقولون الجسمُ مؤلف من جرمٍ لا يتجزأ بحيث لا يكون له طولٌ ولا عرضٌ ولا عمقٌ وهذا يقال له الجوهرُ الفردُ لا تراه العينُ منه تتركَّب الأجسام. كلُّ الأجرامِ لم تكن موجودةً ثم وُجِدَتْ فمن قال إنَّ العالم لم يزلْ موجودًا ووجودُهُ ليس له ابتداءٌ ما من نطفة إلا من إنسان وما من إنسان إلا من نطفة إلى غير انقطاع فهو باطل وهذا كلام الكفار. عندهم ما من بيضة إلا من دجاجة والعكس إلى ما لا أول وهذا كفر. نحن نقول الإنسان أصلُهُ من ترابٍ ثم هذا الذِى خُلِقَ من تراب خرج منه إنسان المنِىُّ له أصل ينتهى إليه والتراب الذِى خُلِقَ منه البشر له أصل ينتهِى إليه وهو العدم. وكذلك النور والليل والنهار ما كانت

موجودة ثم أوجدها الله، اللهُ موجودٌ ليس لوجودِهِ ابتداءٌ لأنه لو كان لوجوده ابتداءٌ لكان مثلَ غيرِهِ وهو موجودٌ مِن دون أن يكونَ حجمًا لأنه لو كان حجمًا كثيفًا كالإنسان والحجرِ والشجرِ لكان له أمثالٌ ولو كان حجمًا لطيفًا كالنور لكان له أمثالٌ فثبت أن الله تعالى ليس حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا وثبت أنه ليس حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا لأن صِغَرَ الحجم وكِبَرَ الحجم من صفات الحجم، فلما ثبت أنه ليس حجمًا وَجَبَ أن يُنَزَّهَ الله عن صفات الحجم كلها عن الحركة والسكون والاتصال والانفصال والتحيز فِى الجهة والمكان وعن الانفعال وأنّه لا يتصف بصفةٍ حادثةٍ. وكما أن ذاتَه أزلِىٌّ لا ابتداءَ له كذلك صفاته أى قدرته وإرادته وحياته وسمعه للأصوات وبصره للمبصرات وعلمه وكلامه أزلِىٌّ أبدِىٌّ ليس شَىْءٌ منها يحدُثُ ثم ينقضِى أو يتجدد لذلك لا يُقال إنه يتكلمُ بالحرف والصوت لأنه لو كان يتكلم بالحرف والصوت لكان مثلَنا فالقرءان والتوراة والإنجيل والزبور يقال لها كلامُ الله لأنها عبارةٌ عن كلام الله الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا لا بمعنى أنَّ الله قرأها بالحرف والصوت. بعضها بلغة العرب وبعضها باللغة العِبرية وبعضها باللغة السُّريانية.

ومن فكَّر ونظَرَ بعقله فِى الشمس يزداد يقينًا بأن الله ليس حجمًا لأن الشمس حجمٌ متحيزٌ فِى جهة فوق كثيرةُ النفع ومع هذا لا تستحق أن تكون إلهًا لتُعبدَ. فلو كان الحجم يستحقُّ الألوهيةَ لاستحقت الشمس

فكيف يستحق حجمٌ مستقرٌّ فوق العرش يتوهمُه المشبهةُ موجودًا. فالله موجود ليس حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا موجودٌ بلا مكان.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثالث والثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان أن الله تعالى موجود بلا مكان وبيان فضل أبِى بكر وعمر وعائشة رضى الله عنهم

درس ألقاه المتكلمُ الفقيهُ المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيته وهو فِى بيان أن الله موجود بلا مكان. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وسلم.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **أَمَا يَخْشَى الذِى يَرْفَعُ بَصَرَهُ إلى السماءِ فِى الصلاةِ أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ**(١) اهـ معنى الحديثِ أنَّ رَفْعَ البصرِ إلى السماء أى النظرَ إلى السماء فِى حال الصلاة أمرٌ عظيمٌ يستحقُّ هذا الإنسانُ بسببه ألَّا يعودَ إليه بصرُهُ المعنَى أنَّ اللهَ تعالى لو طَمَسَ له بَصَرَهُ جزاءً له علَى رَفْعِهِ بصرَهُ فِى الصلاة إلى السماء كان مُسْتَحِقًّا لذلك فمِن هنا ظهر أنّ رفع البصر إلى السماء فِى الصلاة مما يَكْرَهُهُ اللهُ تعالى ولو طُمِسَ

(١) رواه أحمد فِى مسنده باب حديث جابر بن سمرة السوائى.

هذا الإنسانُ بصرُهُ أى ذهبَ أى لو ذهب هذا الإنسانُ بصرُهُ وعَمِيَ جزاءً علَى ما فعله لكان هذا الإنسانُ مُسْتَحِقًّا لذلك.

ورويْنا فِى الصحيح من حديث أبِى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **أَمَا يَخْشَى الذِى يَرْفَعُ رأسَهُ قبلَ الإمامِ فِى السجودِ أنْ يحَوّلَ اللهُ رأسَهُ رأسَ حِمارٍ**[1] اهـ هذا الحديثُ الذِى رواه أبو هريرة عن النبِىّ ﷺ فيه أنَّ الذِى يرفع رأسَه قبلَ الإمام من السجود يستحقُّ أنْ يُحَوّلَ اللهُ رأسَهُ رأسَ حمارٍ، المعنى أنَّ رَفْعَ الرأسِ مِن السجود قبل الإمام ذنبٌ حرامٌ[2] مِن جُمْلَةِ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى على عبادِه فَلْيَحْذَرِ المُصَلُّونَ ذلك فَمَنْ تَعَمَّدَ رفع رأسه من السجود قبل الإمام فليس له مِن صلاتِهِ ثوابٌ لأنه ارتكب ذنبًا حَرَّمَهُ اللهُ تعالى فلو مُسِخَ رأسُهُ رأسَ حمارٍ حقيقةً أى لو حُوّلَتْ صورةُ وَجْهِهِ إلى صورةِ حمارٍ لكانَ جَدِيرًا بذلك لِعِظَمِ ذَنْبِهِ. هذا العبدُ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللهِ بحيث إنه يَسْتَحِقُّ أنْ يُحَوّلَ اللهُ وجهَهُ وجهَ حمارٍ يعنِى فِى الدنيا ليس معناه أن الله يحول وجهَه وجهَ حمارٍ فِى الآخرة

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب النهى عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما.

(٢) هذا على ما مشى عليه النووىّ فى المجموع، وكذا قاله فى شرح الروض عقب ذكر هذا الحديث، وقد قال الشبراملسى فى حاشيته على النهاية ومذهبنا أن مجرد رفع الرأس قبل الإمام أو القيام أو الهُوِىّ قبله مكروه كراهة تنزيه، وأنه يسن له العود إلى الإمام إن كان باقيًا فى ذلك الركن اهـ

لا بل المعنى أنه الآن فِى الدنيا يستحق ذلك يستحقُّ أن تتحولَ صورةُ وجهِهِ صورةَ حمارٍ مِن عظم ذنبه ولم يذكر رسولُ الله ﷺ رفعَ الرأس قبل الإمام فِى الركوع لكنه أيضًا مُحَرَّمٌ رَفْعُ الرأس من حال الركوع قبل أن يرفع الإمامُ عمدًا حرامٌ، مَن رَفَعَ رأسَه من الركوع قبل أن يرفع الإمامُ رأسَهُ عمدًا حرامٌ لكنْ رَفْعُ الرأس من السجود قبل الإمام عمدًا أشدُّ معصيةً، لذلك الرسول ﷺ ذكر رفعَ الرأس من السجود قبل الإمام لكونه أشدَّ ذنبًا وكِلا الأمرين حرامٌ رَفْعُ الرأس من السجود قبل الإمام عمدًا حرام وهو أَحْرَمُ لأنَّ السجودَ هو أقرب ما يكون العبد من ربه، حالةَ السجودِ هو أقرب ما يكون من ربه كما صح فِى الحديث. وهذا دليل على أن الله تبارك وتعالى موجودٌ بلا مكان لأنه لو كان موجودًا بالمكان لكان الراكع أقربَ إلى الله لو كان الله تعالى متحيزًا فِى سماء من السموات السبع أو متحيزًا على سطح العرش أو فِى مُقَعَّر العرش لو كان الله تعالى كذلك كما يتوهم البِدْعِيُّونَ لم يكن العبدُ أقربَ إلى ربه فِى حال السجود من سائر الأحوال لكنه بما أن الله موجود بلا مكان فالأماكن كلُّها أى العرش والفَرْشُ بالنسبة إلى ذات الله على حَدٍّ سواء، كلُّ الأماكن بالنسبة له على حَدٍّ سواء، فلذلك كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

بعض أساطين العلماء هو الإمامُ الملقب بإمام الحَرَمَيْنِ عبدُ الملك بنُ عبدِ الله بنِ يوسفَ الجوينىُّ قال فِى هذا الحديث **لا تُخَيّرُونِى على يونُسَ بنِ**

مَتَّى [(١)] اهـ قال فيه إيذانٌ وإعلامٌ لنا أنَّ الله تبارك وتعالى موجود بلا مكان لذلك الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن أن يُفَضَّلَ على يونُسَ بنِ مَتَّى الذِى كان فِى بطن الحوت بُرْهَةً مِن الزمن ابتلعَهُ الحوتُ وكان بَطْنُ الحوتِ مُسْتَقَرَّهُ والرسول ﷺ صعد إلى السموات السبع بل إلى ما فوقَها كما أخبر عن نفسه فِى صفة عُرُوجِهِ أنه رُفِعَ إلى مستوًى يسْمَعُ فيه صريف الأقلام، معنى الحديث أن يونسَ بنَ متّى الذِى كان فِى قعر البحر فِى بطن الحوت وأنا الذِى وصلت إلى ذلك المستوى الذِى هو فوق السبع سموات وفوقَ سِدْرَةِ المُنْتَهى على حد سواء بالنسبة إلى ذات الله فلا أنا أقربُ منه بالنسبة إلى ذات الله المُنَزَّهِ عن المكان ولا هو أقربُ مِنّى إليه فكلانا بالنسبةِ إلى ذات الله على حدٍّ سواء، أى لستُ أنا قريبًا مِن ذات الله قُرْبًا يجعلُ يونسَ بنَ متّى فِى حال كونِه فِى قعرِ البحرِ فِى بطنِ الحوتِ بعيدًا من ذات الله تعالى، المعنَى أن الله بما أن القربَ منه لا يكون بالمسافة لكونه منزهًا عن المكان لا يكون أحدٌ أقربَ إلى ذات الله مِن أحدٍ أى فكلُّ العبادِ وكلُّ الأماكنِ بالنسبة إلى ذات الله على حد سواء لأن الله تعالى موجود بلا مكان وهذا هو المعنى الذِى يعتقده أهل السنة المنزّهون لله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾ إلى قوله ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝١٤٨﴾ ورواه مسلم فى صحيحه باب فى ذكر يونس عليه السلام.

اللهُ تبارك وتعالى ذَكَر فِى بعض الآيات ما ظاهرُهُ يُوهِمُ أنَّ اللهَ تبارك وتعالى فوقَ العرشِ بذاته وفِى بعض الآيات ذَكَرَ ما ظاهرُه يقتضِى أنَّ الله تعالى فِى هذه الأرضِ. أما ما يُوهِمُ ظاهرُهُ أنَّ الله تعالى مستقرٌّ فوق العرش فليس هو المرادَ لله تعالى من معانى تلك الآيات القرءانية كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [(١)] وقوله ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [(٢)] فهاتان الآيتان من نظرَ إلى الظاهرِ يتخيَّلُ أنَّ اللهَ تعالى مستقرٌّ بذاتِه فوقَ السماء السابعة بل فوقَ العرش وليس ذلك مرادَ الله تعالى ليس ذلك معنى الآيتين إنما ذلك أمرٌ تتوهمه أذهانُ بعضِ الناس، وأما الآياتُ التِى ظاهرُها يُوهم أنَّ الله تعالى فِى الأرض كقولِه تعالى مخبرًا عن بعض أنبيائه ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [(٣)] هذه الآية ظاهرُها أنَّ الله تعالى ذاتٌ مُتحيّزٌ فِى الأرض وأنَّ ذلك النبىَّ قصدَ ذلك المكان، لكون ذلك شيئًا يسبقُ إلى الوهم ليس معنى الآية، لأنه لم يُرِدِ اللهُ بقوله ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ أنَّ الله بذاته مستقر متحيز على سطح العرش أو فِى ما يوازيه من جهة فوق كذلك ليس مراد الله تعالى بهذه الآية ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ أنه متحيّز فِى هذه الأرض بل معنى كلٍّ مِن الآياتِ الثلاثِ غيرُ ظاهرِها كلٌّ مِن الآيات الثلاث معانيها غيرُ ظاهرها فإذًا قوله

(١) سورة الأنعام/الآية (١٨).
(٢) سورة طه/الآية (٥).
(٣) سورة الصافات/الآية (٩٩).

تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ لا يجوز أنْ نفهَمَ منه أنَّ الله بذاته مستقر على العرش وكذلك لا يجوز أن نفهمَ من قوله ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ أنه مستقر متحيز فِى هذه الأرض إنما المرادُ من هذه الآيات كلّها معنًى ليس فيه تشبيهُ الله بخلقه أى ليس فيه إثباتُ المكانِ والحيزِ لله تعالى فيُوَفَّقُ بين الآياتِ لأنَّ القرءانَ يُصَدّقُ بعضُهُ بعضًا ويقال لذلك فِى قوله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ أى بلا كيفٍ أى من غير أنْ يكونَ على معنى الجلوسِ أو الاستقرارِ أو المحاذاةِ وكذلك فِى قوله ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ إنه ليس المرادُ إثباتَ الحيز والمكان لله تعالى فِى هذه الأرض إنما معناه إنّى ذاهبٌ إلى ربّى بلا كيف أى من غير معنى المكان والحيز. والذِى يقرب هذا المعنى الصحيحَ من القلب أن يعرفَ الإنسان أن الله تعالى كان قبل المكان أى قبل العرش وما دونَه، ولا يُقْبَلُ أن يكون فِى مكان قبل وجود المكان، لا يُعقل أن يكون ذلك فلمَّا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى كان قبل المكان موجودًا بلا مكان فلا يُستغرب أن يكون الله تعالى بعد أن خلق المكانَ العرشَ وما تحته موجودًا بلا مكان كما قال مصباح التوحيد وصباحُ التفريد عليُّ بنُ أبِى طالب رضى الله عنه كان اللهُ ولا مكانَ وهو الآنَ على ما عليه كانَ اهـ.

ويَكْفِى بطريق الاختصار أنْ يُلاحِظَ الإنسانُ هذه الكلماتِ فِى نفسه كانَ اللهُ ولا مكانَ وهو الآنَ على ما عليه كانَ وهذا مأخوذٌ مِن قول الله تعالى ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]. أصحابُ رسول الله ﷺ كانت أذهانُهم سَيَّالَةً أى سريعةَ الفهمِ كانوا يفهمون المعنى الصحيحَ بسماع الكلمات يفهمون المعنى الصحيحَ لمّا سمعوا قولَ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عَلِمُوا أنَّ الله تعالى موجودٌ بلا مكان وأنه لا تَجُوزُ عليه الألوانُ لا البياضُ ولا السوادُ ولا الشُّقْرَةُ ولا الحُمْرَةُ ولا الزُّرْقَةُ وأنه مُنَزَّهٌ عن الحجم والمِساحة والطول والعرض والعمق مُنَزَّهٌ عن ذلك كلّه كانوا يعلمون مِن هذه الكلمات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ معانِىَ التنزيه كلَّها كانوا يفهمون مِن قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيهَ الله عن المكان وتنزيهَهُ عن اللون وتنزيهَهُ عن المِساحة وتنزيهَهُ عن الشكل وتنزيهَهُ عن الكيفية كانوا يفهمون ذلك، هذا الأمرُ الذِى اليومَ قد يُدَرَّسُ على بعض الناس أيامًا عديدة ثم لا يفهمون المعنى المقصود معنى التنزيهِ الكافِى، أما أولئك كانوا يفهمون هذه المعانِى معانِىَ التنزيه لله تعالى عن المكان واللون والشكل والحيز مِن هذه الكلمة المُوجَزَةِ الجامِعَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وكذلك يفهمون ذلك مِن قول الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[2] من هذه الكلمات كانوا يفهمون التنزيهَ، التنزيهَ بجميع وجوهه كانوا يفهمون.

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

(٢) سورة الإخلاص.

وأما قولُه تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[١] صح عن الصحابة تفسيرُه بأنه دُنُوّ جبريلَ من محمدٍ فقوله تعالى ثم دنا فيه ضمير يعود إلى جبريل وكذلك قوله فتدلى فيه ضمير يعود على جبريل والمعنى أن جبريل دنا من رسول الله فتدلى إليه وذلك بعد أن رجع الرسول ﷺ من المستوى الذِى وصل إليه وسمع فيه كلامَ الله ورأى اللهَ بقلبه لا بعينه بعد أن نزل من المستوى الذِى كان فيه بعد أن تركه جبريلُ جاءه جبريلُ وهو نازل فدنا إليه فتدلى فِى صورته الأصلية التِى هى ذاتٌ له ستُّمائةِ جناح ليس بالصورة التِى كان فيها حين أخذه من مكة من البيت الذِى كان نائمًا فيه ثم أتى به إلى المسجد الحرام ثم أَرْكَبَهُ البُراقَ رَدِيفًا له جبريلُ فِى الأمام وسيدُنا محمد خلفَهُ تلك الصورةُ صورةُ بشرٍ عادىّ لكنه ما لبث تحول فِى هذه المدة التِى انفرد فيها الرسول ﷺ وغاب عنه فظهر له أى تبدَّى له جبريل بتلك الصورة التِى هى ذات ستمائة جناح، عن هذا يخبرنا الله تعالى بقوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ كذلك قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ أراد الله به أن جبريلَ كان فِى دنوّه من محمد كقاب قوسين أو أدنى أى أقرب والقوسان هما الذراعان. هذا معنى الآية وليس معناه أن الله اقتربَ من الرسول ﷺ حتى صار قريبًا منه بالمسافة كذراعين أو أقل لا، لأن القرب بالمسافة يكون بين جسم وجسم والله تعالى

(١) سورة النجم/الآية (٨ - ٩).

ليس جسمًا ولا له مكانٌ سبحانه.

الله تبارك وتعالى بما أنه منزه عن المكان ليس الذين فِى البحار أو فِى الأرض السابعة فِى بُعدٍ مَكانِىّ مِن ذات الله تعالى كما أن ملائكة الله الحافّين مِن حول العرش ليسوا قريبين مِن الله تعالى قُربًا مَسافِيًّا فهو منزَّهٌ عن القُرْبِ المكانىّ وهذا الحديث الذِى رواه مسلم **أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربه وهو ساجِدٌ**[١] اهـ دليلٌ على هذا المعنى أى أنَّ الله منزه عن المكان لأنه لو كان مُتمكّنًا متحيزًا فِى العرش لكان أهلُ الأرضِ بعيدين مِن الله تعالى وأبعدَهم مِن الله ساجِدٌ ولكان الملائكةُ الحافُّون من حولِ العرشِ أفضلَ من أنبياء الله الذين كانوا نشأوا فِى الأرض ثم بعد موتهم مستقرُّهم قبورُهم.

كلُّ نبِىّ مِن أنبياء الله بعد موته لا يستقر فِى الجنة ولا فِى العرش كأولئك الملائكةِ الحافّين مِن حول العرش إنما مستقرُهم قبورُهم. روينا بالإسناد الصحيح من حديث أنس ابن مالك رَضِىَ الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **الأنبياءُ أحياءٌ فِى قبورِهم يُصَلُّونَ**[٢] اهـ هذا على الدوام إلى أن يُنفَخَ فِى الصورِ ويومَ يُنفخُ فِى الصور يُغْشَى عليهم لا يموتون موتةً ثانيةً بل يُغْشى عليهم تلك الساعةَ عند نفخةِ الصَّعْقِ التِى يموت فيها مَن كان عندئذٍ على وجهِ الأرض مِن الإنس والجنّ كلُّهم يموتون تلك الساعةَ أما الأنبياءُ الذين يكونون فِى

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب ما يقال فى الركوع والسجود.
(٢) رواه البزار فى مسنده باب مُسْنَد أَبِى حَمْزَةَ أَنَس بْنِ مَالِك.

قبورِهِم يُغْشَى عليهم لا يموتون موتةً غيرَ موتتهم الأولى، مثلًا سيدنا محمد ﷺ لا يموت إلا الموتةَ التِى ماتها فِى المدينة المنورة فِى بيته الذِى كانت عائشة تسكنه اختار الله تبارك وتعالى أن يكون موته وَدَفْنُهُ فِى بيتِ عائشةَ الصّدّيقةِ بنتِ الصّدّيقِ رَضِىَ الله عنهما هذا فيه دليلٌ على فضل عائشةَ على سائر نساءِ الرسولِ ﷺ سوى خديجةَ عائشةُ أفضلُ نساء الرسول أفضلُ أزواجِ الرسول بعدَ خديجةَ. خديجةُ سبقتها بالوفاة ماتت قبل الهجرة قبل أن يهاجِر الرسول فالله تبارك وتعالى لولا أنَّ لها فضلًا عنده على غيرها من أزواج الرسول لم يكن يَتَوفى النبىَّ فِى بيتها تُوُفِى فِى بيتها ودُفن فِى المكان الذِى تُوُفِى فيه حفروا له قبرًا فِى بيت عائشة دُفِنَ هناك. هذا الحديث الذِى اتفق عليه العلماء لا يختلف فِى ذلك عالم عن عالم كلُّ العلماء متفقون على أنَّ الرسول ﷺ تُوُفِى ودفن فِى بيت عائشة رضى الله عنها لولا ما لها من الفضل العظيم عند الله ما كان لها هذا الحظُّ، هذا الحظُّ الكبير ما كان لها، ما نالت هذا الحظَّ الكبيرَ إلا لأنها أفضلُ عند الله تعالى مِن أزواجه اللاتِى كُنَّ فِى قَيْدِ الحياة عند وفاة رسول الله ﷺ. ثم أيضًا كان حظُّ أبِى بكر وعمرَ أنهما دُفِنَا بجنب رسول الله ﷺ ولم يُدْفَنْ هناك أحدٌ غيرُهما فِى هذا البيت الذِى هو بيت عائشة، بعد أنْ دُفن فيه رسول الله مات أبوها أبو بكر فَدُفِنَ فيه خلف مَنْكِبِ رسول الله ثم مات عمرُ بن الخطاب فدفن خلف منكب أبِى بكر رضى الله عنهما ولم يَنَلْ هذا

الفضلَ أحدٌ من الصحابة لا مَن كان مِن أهل البيت ولا من غيرهم حتى بنتُهُ فاطمةُ ما دُفنت هناك دُفنت فِى الجَبّانة العامة فِى البقيع كذلك عمُّهُ العباسُ كذلك الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب كذلك زينُ العابدين كذلك غيرُهم من أكابر أهل البيت ما نال هذا الحظ الذِى ناله أبو بكر وعمر. الفضلُ بتفضيل الله تعالى ليس الفضل بالعاطفية، ليس الفضل بالنسب، لو كان الفضل بالنسب كان العباسُ أَوْلَى مَن يُدْفَنُ هناك فالذِى يطعن فِى عائشة رضى الله عنها وأبِى بكر وعمرَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ ناموسةٍ أى بعوضة نفخت على جبل لتزيله

إذا أكرم الرحمنُ عبدًا بعِزَّةٍ
فلن يقدرَ المخلوقُ يومًا يُهينَه اهـ

الذِى جعله الله تعالى عالِىَ الرتبة عنده فهو عالِى الرتبة لا أحدَ مِمَّنْ يَحْسُدُهُ أو يُناوِؤُه يجعله على خلاف تلك الصفة كذلك الذِى أهانَهُ أى الذِى هو هيّن على الله فهو هيّن لا يستطيع أحد أن يجعله من الأعْلَيْن درجةً قال الله تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾(١) الإنسان المؤمن لا يكون كامل الإيمان حتى يُسَلِّمَ لله تعالى تسليمًا ويَسْتَسْلِمَ استسلامًا أى لا يعترضَ على شَىْءٍ مما أنزله على نبيه ﷺ وحتى لا يعترضَ على إنسان فَضَّلَهُ اللهُ تعالى من باب الحسد أو الأنانية لذلك فِى الحديث الصحيح الذِى أخرجه البخارىّ والطبرانىّ والبيهقىّ رحمهم الله مما رواه النبىُّ ﷺ عن

(١) سورة الحج/الآية (١٨).

ربه تبارك وتعالى **مَنْ عادَى لِى وَلِيًّا فقد ءاذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**(١) اهـ الإنسان الذِى يحارب أولياء الله كأبِى بكر وعمر وعائشة فهو مخذولٌ ممقوتٌ لن يضرَّ أولئك بما لهم مِن الفضل عند الله لن يضرهم شىءٌ لن يضر أبا بكر شيئًا ولن يضر عمرَ شيئًا ولن يضر عائشة شيئًا لن يستطيع أن يَنقُصَ من درجاتهم التِى كتب الله لهم مثقالَ ذرةٍ إنما يضرُّ نفسه هذا الإنسانُ إنما يضر نفسه لأنه تَعَرَّضَ لِسَخَطِ الله تعالى ومَقْتِهِ.

مَنْ عادَى لِى وَلِيًّا فقد ءاذَنْتُهُ بِالحَرْبِ اهـ أى لِيَعْلَمْ أنّى مُحارِبُهُ ومَن حارَبَهُ اللهُ تعالى فهو المحرومُ الهالِكُ الخاسِرُ، الذِى يُحارِبُ وليًّا مِن أولياء اللهِ يَهْلِكُ ويَخْسَرُ ولا سِيَّمَا أبو بكر وعمر اللذان هما أفضل أولياء أمة محمد ﷺ لن يلحق بهما فِى درجاتهما حتى يكون معهما سواءً أحدٌ مِن هذه الأمةِ مهما بلغ فِى الفضل عند الله فإنَّ الله تعالى يُفَضِّلُ مَن يشاءُ مِن عباده المؤمنين على من يشاء. هذا سيدنا محمد ﷺ ما عاش مِن العمر إلا ثلاثًا وستين سنةً والقَدْرُ الذِى عاشه بعد أن نزل عليه الوحىُ ثلاثٌ وعِشرون سنةً ومات قبله من الأنبياء من عاش ألفَ سنةٍ، هذا نوحٌ عليه السلام عاش أكثرَ مِن ألفِ سنةٍ وءادمُ عاشَ ألفَ سنةٍ مع ذلك اللهُ تعالى فَضَّلَ محمدًا الذِى عاش ثلاثًا وستّينَ سنةً فقط.

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه بَابُ التَّوَاضُعِ.

لو كان الفضلُ بطول العمر فِى العبادة فِى الإسلام لكان أولئك أفضلَ مِن رسول الله بدرجات كثيرةٍ بدرجاتٍ مُضاعَفَةٍ ءادمُ ونوحٌ لكانَا أفضلَ مِن سيدنا محمد بمراتبَ كثيرةٍ لكنه عليه الصلاة والسلام فضَّلَهُ اللهُ تبارك وتعالى هذا الفضلَ على ءادمَ وعلى نوحٍ وغيرِهما مِن الأنبياء بل وعَلَى الملائكة الذين لاَ يأكلون ولاَ ينامون ولاَ يشربون بل لا يَفْتُرُونَ عن ذِكْرِ اللهِ تعالى ليلَهم ونهارَهم فِى طاعة الله، رُفِعَ عنهم النومُ والتعبُ والجوعُ والعطشُ والشهوةُ، رُفِعَ عنهم كلُّ هذا وهم خلقوا قبلَ ءادم وإن كان لم يَرِدْ فِى تحديد وجود الملائكة قبل ءادم مدةٌ معيَّنةٌ فِى ذلك لكنه من المعلوم قطعًا أن الملائكةَ خُلِقوا قبلَ ءادمَ، ومع ذلك فالنبىّ محمد ﷺ أفضل منهم.

فليس هناك طريقٌ يَصِلُ به العبد إلى مراتب الكمال إلا الإيمانُ بالله ورسوله والتسليمُ لله ولرسوله بأن يُثْبِتَ العبدُ ما أثبتَهُ الرسولُ ويَنْفِى ما نفاه الرسول.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الرابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان بر الوالدين وخطر عقوقهما

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان بر الوالدين وخطر عقوقهما. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وحبيب رب العالمين.

أما بعد فإنّ من معاصِى البدن التِى هى من الكبائر أى من المعاصى التِى لا تَلْزَمُ جارحةً من الجوارح عقوق الوالدين أو أحدِهما وإن علا ولو مع وجود أقربَ منه، قال بعض الشافعية فِى ضبطه هو ما يتأذّى به الوالدان أو أحدُهما تأذيًا ليس بالهيّن فِى العرف.

ومن عقوق الوالدين الذِى هو من الكبائر تركُ الشخص النفقةَ الواجبةَ عليهما إن كانا فقيرين، أما إن كانا مكتفيين فلا يجب الإنفاق عليهما، لكن ينفق عليهما من باب البر والإحسان إليهما، فَيُسَنُّ له أن يعطيَهما ما يحبانه، بل يسن أن يطيعَهما فِى كل شىء إلا فِى معصية الله، حتى فِى المكروهات، إذا أطاع أبويه يكون له ذلك رفعة درجة عند الله إن نوى نية

حسنة. قال الفقهاء إذا أمر أحدُ الوالدين الولدَ أن يأكل طعامًا فيه شبهة أى ليس حرامًا مؤكدًا يأكلُ لأجل خاطرهما ثم من غير علمهما يتقايؤه اهـ وقالوا إذا أمر أحد الوالدين ولده بفعل مباح أو تركه وكان يغتمُّ قلب الوالد أو الوالدة إن خالفهما يجب عليه أن يطيعَهما فِى ذلك اهـ

ومن بر الوالدين أن يَبَرَّ مَنْ كان أبوه يحبه بعد وفاة أبيه بالزيارة والإحسان، كذلك من كانت تحبه أمُّه بعد وفاتها، أىْ أن يصلهم ويحسنَ إليهم ويزورَهم. قال رسول الله ﷺ **إنَّ مِن أَبرِّ البِرّ أن يَبَرَّ الرجلُ أهلَ وُدّ أبيهِ بعد أنْ يُوَلّى**[1] اهـ أى بعد أن يموت. ومِن برّ الوالدين زيارتُهما بعد موتهما.

ومن أراد أن يكون بارًّا فعليه أن يطيعَهما فِى كل المباحات أو أغلبها. قال أهل العلم يُشْرَعُ أن يطيع الولد والديه فِى المباح والمكروه، لكن لا يجب طاعتهما فِى كل مباح بل يجب أن يطيعَهما فِى كل ما فِى تركه يحصل لهما غم بسببه وإلا لا يكون واجبًا، فإذا طلب أحدُ الوالدين من الولد أن لا يسافرَ وكان سفرُه بلا ضرورة وجب عليه ترك ذلك السفر إذا كان يغتم بسفره. وإذا أراد الأب أو الأم منعَ ولدِهما من الخروج من البيت بدون إذنه فإن كان خروجه يُسَبّبُ للأب غمًّا شديدًا بحيث يحصل له انهيارٌ أو شبهُ ذلك عندئذ لا يجوز له الخروجُ بدون إذنه بل يكون خروجه

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

من الكبائر لأنَّ الأذى الذِى يحصل شديدٌ فدرجةُ المعصية فِى ذلك على حسب الإيذاء الذِى يحصل للوالد.

وإذا طلب الأب أو الأم من ابنه شيئًا مباحًا كغسل الصحون أو ترتيب الغرفة أو تسخين الطعام أو عمل الشاى أو ما أشبه ذلك ولم يفعل فإن كان يغتمُّ قلب الوالد أو الوالدة إن لم يفعل حرامٌ عليه أن لا يفعل.

قال الله تعالى فِى سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

أمرَ الله عباده أمرًا مقطوعًا به بأن لا يعبدوا إلا إياه وأمرَ بالإحسان للوالدين، والإحسان هو البر والإكرام، قال ابن عباس لا تنفضْ ثوبك فيصيبهما الغبار[1] اهـ وقال عروة لا تمتنع عن شىءٍ أحباه[2] اهـ

وقد نهى الله عبادَه فِى هذه الآية عن قول أفّ للوالدين وهو صوتٌ يدل على التضجر، وأصلها نفخُك الشَّىءَ الذِى يسقط عليك من تراب ورماد والنفخ للمكان تريد إماطة الأذى عنه فقيلت لكل مستثقل.

---

(١) و(٢) انظر زاد المسير فى علم التفسير.

وقوله ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ معناه لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أى لينًا لطيفًا أحسنَ ما تجد كما يقتضيه حسن الأدب.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أى أَلِنْ لهما جانبك متذللًا لهما من فرط رحمتك إياهما وعطفك عليهما ولكبرهما وافتقارهما اليوم إلى مَن كان يفتقر إليهما بالأمس، وخفضُ الجناح عبارةٌ عن السكون وترك التصعُّب والإباء، أىِ ارفُقْ بهما ولا تغلظ عليهما. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ أى مثل رحمتهما إياى فِى صغرى حين ربيانى ولا تكتفِ برحمتك عليهما التى لا بقاء لها.

وروى الحاكم[1] والطبرانىُّ[2] والبيهقىُّ[3] فِى شعبه مرفوعًا **رِضا الله فِى رِضا الوالدين وسَخَطه فِى سَخَطهما** اهـ وعن بهزِ بنِ حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قلت يا رسول الله من أبَرُّ قال **أُمَّكَ** قلتُ ثم من قال **أمَّك** قلت ثم من قال **أمَّك** قلت ثم من قال **أباك ثم الأقرب فالأقرب** اهـ أخرجه أبو داود[4] والترمذى[5] وحسنه.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ.
(٢) رواه الطبرانىّ فى المعجم الكبير باب عَبد الله بن عَمْرو بنِ العاصِ.
(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان باب بر الوالدين.
(٤) رواه أبو داود فى سننه بَابٌ فِى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ.
(٥) رواه الترمذىّ فى سننه باب ما جاء فى بر الوالدين.

فيُفهم من هذا الحديث تقديمُ الأم على الأب فِى البِرّ، فلو طلبت الأم من ولدها شيئًا وطلب الأب خلافه وكان بحيث لو أطاع أحدهما يُغْضِبُ الآخر يقدّم الأمَّ على الأب فِى هذه الحالة.

وإنما حَضَّ رسول الله ﷺ فِى حديثه هذا على برّ الأم ثلاثًا وعلى بر الأب مرة لعنائها وشفقتها مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل. وقد رأى عبد الله بن عمر رضِى الله عنهما رجلًا يحمل أمَّه على ظهره وهو يطوف بها حول الكعبة فقال يا ابن عمر أترانى وفيتها حقها قال ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنتَ واللهُ يثيبك على القليل كثيرًا اهـ

وقد قال العلماء بوجوب الاستغفار للأبوين المسلمين فِى العمر مرةً ثم الزيادة على ذلك قربة عظيمة، وليس شرطًا أن يكون هذا الاستغفار بعد وفاتهما. لكن الولدُ إن استغفر لوالديه بعد موتهما ينتفع والداه بهذا الاستغفار حتى إنهما يلحقهما ثوابٌ كبيرٌ فيعجبان من أىّ شَىْءٍ جاءهما هذا الثوابُ فيقول لهما الملَك هذا من استغفار ولدِكما لكما بعدكما.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال **ثلاثة لا يدخلونَ الجنةَ العاقّ لوالديه والديوث ورَجُلَةُ النساء** اهـ رواه ابن حبان أى لا يدخل هؤلاء الثلاثةُ الجنةَ مع الأولين إن لم يتوبوا وأما إن تابوا فقد قال رسول الله

ﷺ **التائب من الذنب كمن لا ذنب له**[1] اهـ رواه ابن ماجه. والديوثُ هو الذِى يعرف الزنى فِى أهله ويسكت عليه مع مقدرته على منعهم ورَجُلَةُ النساء هى التِى تَشَبَّهُ بالرجال.

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال **مِن الكبائر شتمُ الرجلِ والديه قيل وهل يسب الرجل والديه قال نعم يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ الرجلُ أباه ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمه**[2] اهـ

وروى الحاكم بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال **كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه**[3] اهـ يعنى العقوبة فِى الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال عليه الصلاة والسلام **ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهن دعوةُ المظلوم ودعوةُ المسافر ودعوةُ الوالد على ولده**[4] اهـ رواه الترمذىُّ وأبو داود وابن ماجه وأحمد. أى إن دعا عليه بحقّ أما إن دعا عليه

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه باب التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٢) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابٌ لَا يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ورواه مسلم فى صحيحه باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك باب كِتَاب الْبِرّ وَالصّلَةِ.

(٤) رواه الترمذىّ فى سننه باب ما جاء فى دعوة الوالدين ورواه أبو داود فى سننه بَابُ الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ورواه ابن ماجه فى سننه بَابُ دَعْوَةِ الوَالِدِ وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ ورواه أحمد فى مسنده باب مسند أبى هريرة رَضِىَ الله عنه.

بغير حق فلا يضره ذلك.

فمن أراد النجاح والفلاحَ فليبرَّ أبويه تكُن عاقبتُه حميدةً فَبِرُّ الوالدين بركةٌ فِى الدنيا والآخرة. وءاخِرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الخامس والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان أسس الإيمان وركائزه

درس ألقاه المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى مركز أهل السنة والجماعة فِى مدينة نيس فِى فرنسة ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للحادِى والعشرين من شهر أيلول سنة ألفين ر وهو فِى بيان أسس الإيمان وركائزه. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى إخوانه من النبيين وعلى ءاله الطاهرين.

أما بعد فإنَّ أعظم نِعَمِ الله تعالى على عباده عقيدة أهل السنة. عقيدة أهلِ السنة هِىَ التِى علَّمها رسول الله الصحابةَ ثم هم علّموا من لقِيَهم من التابعين ثم التابعون علّموا أتباع التابعين وهكذا وصلت إلينا جيلًا بعد جيل. وعقيدة أهل السنة هى عقيدةُ أنبياء الله ورسله مِن ءادَمَ إلى عيسى إلى سيدنا محمد. وهذه العقيدة أساسُها معرفة الله على الوجهِ الذِى كان عليه الرسول والصحابة. أساس هذه النعمة معرفةُ الله ثم الإيمانُ برسوله محمد ﷺ. من عرف الله كما ينبغِى

وَءَامَنَ بالله ورسوله فهو مسلم ويقال له مؤمن. المسلم والمؤمن بمعنى واحد. مَنْ كان كاملًا يسمى مسلمًا مؤمنًا ومن لم يكن كاملًا فهو مسلم مؤمن المسلم والمؤمن بمعنى واحد. المؤمن المُعْتَبَرُ هو المسلم والمسلم المُعْتَبَرُ هو المؤمن. ليس كما يظن بعض الناس أن المؤمن هو المسلم التقىُّ أمَّا غيرُ التقىّ فلا يُسَمَّى عندهم مؤمنًا، هذا غلط. المسلم مهما كان متلوثًا بالذنوب والخطايا فهو مؤمن. لكن الإسلام والإيمان درجتان درجة الكمال وهى التقوى ودرجة دون درجة الكمال. درجة الكمال فِى الإيمان والإسلام هى التقوى وهى عبارة عن أداء الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها.

ومن جملة الواجبات تعلُّمُ علم الدين الضرورىّ فمن تعلم علمَ الدين الضرورىَّ وأدَّى كلَّ الواجبات الشرعية وتجنب كل المحرمات فهو المسلم الكامل وهو المؤمن الكامل. والفرقُ بين المسلم الكامل أى المؤمن الكامل وبين المسلم غير الكامل أى المؤمن غير الكامل أنَّ المؤمن الكامل ليس عليه خوفٌ ولا حزنٌ فِى القبر ولا فِى الآخرة أبدَ الآبادِ لا يحصل له شىء يزعجه ويقلقه فِى القبر ولا فيما بعد القبر. هذا الذِى قال الله تعالى فيه فِى سورة يونس ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1]. ثم هذا المؤمن

(١) سورة يونس/الآية (٦٢).

الكامل الذِى يقال له ولِىُّ اللهِ قد يعرف نفسه أنه ولىٌّ وقد لا يعرف. كثيرٌ من الأولياء لا يعرفون أنهم أولياء إنما يعرفون عند الموت. الملائكة الذين يأتون ليقبضوا روحَه مع عزرائيل يسلّمُون عليه بقولِ السلام عليك يا ولىَّ الله فلا يبقى عنده خوفٌ بعد ذلك من الموت ولا يخاف من القبر ولا مما بعد ذلك بل يُحِبُّ أنْ يَخرج من الدنيا بسرعة لأنه عرف أنه لا يصيبُه فِى القبر نَكَدٌ ولا وَحْشَةٌ ولا شَىْءٌ مما يزعجه ويَبْقَى فرحُه واطمئنانُ قلبِه أبدَ الآبادِ. مدةُ يوم القيامة قدرُ خمسين ألف سنة. هذه المدةُ الطويلةُ على الوَلىّ كأنها مِن تَدَلّى الشمسِ للغروب إلى غروبها أى نحوُ ساعة أو ساعة ونصف. كل هذه المدةِ خمسون ألف سنة يجعلها الله عليه مقدار ساعة ونصف تقريبًا. لمَّا يكونُ الناس تحت حر شمس يوم القيامة هو يكون فِى ظل العرش لا يصيبه ظمأ ولا جوعٌ ولا مللٌ من طول يوم القيامة.

ويشارك الولىَّ فِى الكون تحت ظل العرش فِى الآخرة أناسٌ ءاخرون ليسوا من الأولياء منهم الشاب الذِى نشأ فِى طاعة الله، والمسلمان اللذان يتحابان فِى الله لا للدنيا ولا للقرابة بل هذا يحب أخاه لله وهذا يحب هذا لله لا يتعاونان على المعصية بل يتعاونان على الخير لأنهما لم يتحابَّا للنسب ولا للمال ولا للهوَى، كذلك المسلمُ إذا ذكرَ الله فحصل له خوفٌ من الله وكان وحدَه لا يكون معه غيره فِى خلوةٍ فبكى من خشية الله هذا أيضًا كذلك لا يصيبُه حر شمس يوم القيامة بل يكون فِى ظلّ العرش وأناسٌ ءاخَرُونَ غيرُ

هؤلاء ليسوا أولياءَ لكنهم مسلمون كانت لهم هذه الصفات.

وبعد هذين الأصلين للإسلام الإيمانِ بالله والإيمانِ بالرسول ﷺ يوجد خمسةُ أشياءَ فِى الاعتقاد كلُّ الأنبياءِ مشتركون فيها.

هذه الخمسةُ أولُهَا الإيمانُ بالملائكة أى الإيمان بوجود ملائكةِ الله الذين هم عبادُ الله مكرمون مطيعون لله تعالى رئيسهم جبريل وثانيها الإيمان بكتب الله المنزّلة على بعض الأنبياء كالتوراة والإنجيل والزبور والقرءان الكريم. هذه الأربعة هى الكتب المشهورة أكثر من غيرها والله أنزل كتبًا غيرها على بعض الأنبياء هِىَ مائة كتاب غير هؤلاء الأربعة أنزلها الله على بعض الأنبياء. والأمر الثالث من هؤلاء الخمسة الإيمان بأنبياء الله أى أنَّ الله أرسل لعباده الإنسِ والجنّ أنبياءَ من البشر، والأنبياء كلُّهم من البشر. يجب التصديق بأن الله تعالى أرسل أنبياءَ أولُهم ءادَمُ وَءاخِرُهُمْ محمدٌ. ورابعها الإيمان باليوم الآخر أى أن الله تعالى يُعِيدُ البشرَ والجنَّ والملائكةَ بعدما يموتون يُعيدهم لحياة ثانية لا نهاية لها يُجازَى فيها الإنسان بعمله.

ثم الأمر الأخير الإيمانُ بالقَدَرِ أى أن الله تعالى هو الذِى يُوجِدُ كلَّ شىء بقدرته ومشيئته وعلمه. الأجسامُ والحركاتُ والسكنَاتُ والنطقُ والنظرُ والتفكيرُ كلُّ هذا هو الذِى يخلقه لا خالق سواه.

فكل الأنبياء هذا دينهم إنما الفرق بين الأنبياء أن

الله تعالى أوحى إلى نَبِىّ بشىءٍ ثم أَوْحَى إلى نبىّ ءَاخَرَ بأمرٍ ءَاخَرَ. الصلاة فِى دين كل نبىّ، لكن بعض الأنبياء الله فرض عليهم صلاتين وبعضهم صلاةً واحدةً وبعضٌ خمسَ صلوات وبعضٌ خمسين صلاة. وبعضهم جَعَلَ الزكاةَ فِى شرعهم ربعَ مال الشخص، وبعضٌ فِى الذهب والفضة ربع العشر وهو شريعة محمد ﷺ الله شرع لمحمد أن تُزَكّى أمتُهُ الذهبَ والفضةَ ربعَ العشر. هذا خفيفٌ بالنسبة لأولئك الذين فُرِض عليهم أن يدفعوا ربع الذهب والفضة الذِى عندهم. والصلاةُ كان الله تعالى فرض على كلّ الأنبياء قبل نبينا محمد أن يصلوا فِى مكانٍ مخصوصٍ أما لسيدنا محمد فرخَّص الله له ولأمته أن يصلُّوا فِى كل مكان فِى المساجد والبيوت والأسواق والبرّيّة والجبال وفِى السفن أما أولئك الأنبياء فكانتْ لا تصح الصلاة منهم إلا فِى مكانٍ هُيّءَ للصلاة فقط ونحو ذلك.

أما فِى الأصول الستة أى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فكلُّ الأنبياء متفقون. كذلك الله تعالى شرعَ لكل نبىّ تحريمَ أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما يُرفع عليه اسمُ غيرِ اللهِ عند الذبح. هذه الأربعة محرمة فِى كل الشرائع أكل الدم والميتة ولحم الخنزير وما رُفِعَ عليه اسم غير الله. المسلمون يرفعون على الذبيحة اسمَ الله يقولون بسم الله والله أكبر أما ما رُفِعَ عليه اسمُ غيرِ الله فهو حرام فِى كلّ شرائع الأنبياء. لا تختلف شرائعهم فِى ذلك. كذلك تحريم الزنا كان فِى كل الشرائع.

والوضوء كان فِى الشرائع التِى قبل شريعة محمد ﷺ.

ثم إنّ بعضَ الشرائع فِى بعض الأحكام التِى أنزل الله تعالى على أنبياءِ تلك الشرائع أخفُّ من الأحكام التِى أنزلها على بعضٍ وأحيانًا يكون عكسَ ذلك. وليس الأمر كما يظن بعض الناس أن شريعةَ محمد أثقلُ الشرائعِ بل شريعةُ محمد سمحةٌ سهلةٌ. أولئك الأنبياء الذين قبلنا وأُمَمُهُمْ الصلاةُ إذا حان وقتها يجب عليهم أن يذهبوا إلى المكان الذِى خُصّصَ للصلاة لو كان يأخذ الوصولُ إليه وقتًا طويلًا أما عندنا فِى شريعة محمد الشخص المسلم متى ما دخل الوقت يُصَلّى فِى بيته أو فِى دكانه أو فِى بستانه فِى أىّ مكانٍ يُصَلّى. لكن أيامَ موسى عليه السلام فرعونُ كان هدمَ مساجدَ بنِى إسرائيل المسلمين فرخّص اللهُ تعالى لهم أن يصلوا فِى بيوتهم، فِى هذه الحالة كان يجوز لهم أن يصلوا فِى بيوتهم أما فيما قبل ذلك كانوا يتكلفون الذهاب إلى المكان المخصوص للصلاة ففرقٌ كبير بين شريعةِ سيدنا محمد للصلاة وبين شرائعِ الأنبياء الأولين.

واعلموا أن أهمّ الأمور فِى الدين هو معرفةُ الله والإيمان به. الله تبارك وتعالى موجود لا يشبه شيئًا كما يقول القرءان فِى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) معنى هذه الآية أنّ الله تعالى لا يشبهُ الإنسانَ ولا الملائكةَ ولا الضوءَ ولا الظلامَ ولا الريح ولا الروحَ ليس جسمًا كثيفًا يمكن ضبطُه باليد وجسُّه

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

وليس جسمًا لطيفًا لا يضبط باليد كالضوء. ضوء الشمس وظلام الليل شيئان موجودان لكن ليسا مما يُضْبَطُ، وكذلك الهواءُ، فالله تعالى ليس كهذا ولا كهذا. ثم الله تعالى خلق الجسمَ الصغيرَ الذِى لا تراه العيونُ وخلقَ جسمًا صغيرًا تراه العينُ كحبة الخردل وخلق ما هو أكبر منها ثم ما هو أكبر ثم ما هو أكبر ثم ما هو أكبر إلى أن انتهى كِبَرُ الحجم بالعرش وهو قادر على أن يَخْلُقَ أكبرَ من العرش. فالله تعالى الذِى خلق الحجم الصغير والحجم الكبير لا يجوز أن يكون حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا.

ثم إنه تعالى لا يشبه مخلوقَهُ فِى صفات المخلوق. صفات المخلوق كالحركة والسكون. بعض المخلوقات جعلها الله متحركة دائمًا وهى النجوم. النجومُ ما فيها نجم إلا وهو متحرك لكن بعضها لا تظهر حركتُهُ إلا بطول المراقبة. وبعض المخلوقات جعلها الله دائمًا ساكنة. العرش والسموات السبع والكرسىُّ الذِى جُعل بين العرش والسموات السبع هذه ساكناتٌ دائمًا. وجعلَ الله البشرَ والجن والملائكة والبهائم والطيورَ ساكنين وقتًا ومتحركين وقتًا فهو تبارك وتعالى لا يجوز أن يكون حجمًا متحركًا دائمًا ولا يجوز أن يكون حجمًا ساكنًا دائمًا ولا يجوز أن يكون حجمًا يسكن وقتًا ويتحرك وقتًا.

كذلك المخلوق قسمٌ منه فِى جهة فوق وقسم منه فِى جهة تحت. هو خلق الجهاتِ الستّ وجعلَ الملائكةَ

متحيّزين فِى جهة فوق. قسمٌ منهم يطوفونَ بالعرش كما نحن نطوف بالكعبة وقسمٌ منهم ملازمون للسموات السبع وجعل الشمس والنجوم والقمرَ متحيزين فِى جهةِ فوقٍ. وجعل البشر والجن والبهائمَ متحيّزين فِى جهةِ تحتٍ. والله تعالى لا يجوز أن يكون متحيزًا فِى جهةِ فوقٍ كالملائكة ولا يجوز أن يكون متحيزًا فِى جهةِ تحتٍ بل هو موجود بلا مكان لأنه ليس حجمًا ليس حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا كالعرش ولا حجمًا كالأحجام التى بين أصغر الخلق والعرش.

ثم إن العالَمَ يتحول مِنْ حالٍ إلى حالٍ من صفةٍ إلى صفةٍ واللهُ يستحيل عليه أن يتحول من حال إلى حال. علمه أزلىٌّ أبدىٌّ لا يزيد ولا ينقص ولا يتغيرُ وقدرتُهُ كذلك ومشيئته كذلك. كل ما دخل فِى الوجود قبل هذا وما سيدخل فِى الدنيا وما سيدخل فِى الآخرة التى لا نهايةَ لها كلُّ هذا عَلِمَهُ بعلمٍ واحد وأوجده بمشيئة واحدة وقدرة واحدة شاملة لكلّ هذه الأشياء. فما دام الإنسانُ يَظُنُّ أنَّ الله حجمٌ صغير أو كبير فهو لا يعرف الله، هو جاهل بالله، أما إذا أخرج من قلبه اعتقادَ الحجم فِى الله واعتقد أنَّ الله موجود لا يشبه الموجوداتِ متصفٌ بصفاتٍ لا تشبه صفاتِ غيره فهذا عَرَفَ اللهَ تعالى كما جاء فِى القرءان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) أما ما دام يتصوّر فِى نفسه ويعتقد أن الله حجم كبير كالعرش أو أصغر من العرش كالسموات أو

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

كالشمس أو كالقمر أو كالجبل أو كالإنسان فهو جاهلٌ بالله ولا يكون مؤمنًا إنما المؤمن من عرفَه تعالى كما يليق به.

هذا مذهبُ أهل السنة والصحابة ومَن تلقى علم الدين مِن الصحابة ومَن تلقَّى مِن أولئك حتى وصل الأمر إلى زماننا هذا ويبقى هذا فِى أمة محمد إلى نهاية الدنيا. لكن شَذَّ أناسٌ بعد الصحابة صاروا يقولون الله جسم قاعد على العرش وشذَّ أناسٌ أيضًا فِى قولهم الإنسان يخلق أفعاله حركاتِه وسكناتِه. هذان الفريقان شَذُّوا أىْ خَرَجُوا عما كان عليه الصحابةُ ومَن تبع الصحابة جاؤوا بدين جديد. الذين قالوا الله قاعد على العرش دينُهم جديدٌ وهم الوهابية والذين قالوا إن الإنسان يخلق أفعاله النظرَ والمَشْىَ والتفكيرَ والنُّطْقَ ليس اللهُ يخلقها هؤلاء شَذُّوا كذبوا القرءان أيضًا وليسوا مسلمين. القرءان يقول فِى سورة الرعد ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(١) ويقول فِى سورة الفرقان ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢) الله خَلَقَ كلَّ ما دخل فِى الوجود من أجسام ومن حركاتِ الأجسامِ وصفاتِها. لا خالق إلا هو.

ثم بعد أن مضى سَتُّمائة وستون سنةً ظهر رجلٌ فقال التوسلُ بالرسول حرام إلا فِى حياته وبحضوره. هذا الشخصُ هو أولُ مَنْ حَرَّمَ التوسلَ بالرسول والأولياء وكان المسلمون قبلَه كلُّهم متفقين على أن التوسل

(١) سورة الرعد/الآية (١٦).
(٢) سورة الفرقان/الآية (٢).

بالأنبياء والأولياء جائز. ثم بعد أنْ مَضَى ألفٌ ومِائَتَا سنةٍ من تاريخ الهجرة ظهر رجل يقال له ابن عبد الوهاب محمد بن عبد الوهاب فقال الذِى يقول يا محمد كافر والذِى يقول يا رسول الله كافر. منذ مِائَتَىْ سنةٍ وشَىْءٍ ظهر هذا الدينُ دينُ الوهابية. المسلمون من أيام الرسول إلى يومنا هذا يقولون يا محمد عند الفرح وعند الضيق. ما أنكر منهم أحدٌ إلا هذا الرجلُ محمد ابن عبد الوهاب قال الذِى يقول يا محمد هذا عَبَدَهُ، قال لِمَ يناديه فهو كافر حلال الدم. وهذا الأمر تَشْهَدُ عليهم به كُتُبُهُمْ. فِى بعضِ حياةِ الرسولِ ﷺ بعدما كان يجوزُ أن يُنَادَى يا محمدُ حَرَّمَ الله أن يُنَادَى فِى وجهه يا محمد لأنه حصل من بعض العرب الجفاة الجهال إساءةُ أدبٍ مع الرسول وقفوا من وراء حُجرته فقالوا يا محمد اخرج إلينا نادوه بشكل مخالف للأدب عندئذٍ حرّم الله على الأمّة أن يُنَادَى الرسولُ فِى وجهه بلفظِ يا محمد أما فِى خلفه بعد هذا بَقِىَ جائزًا أن يُنَادَى يا محمد يا رسول الله. إنما فِى ذلك الوقت تشريفًا للرسول اللهُ حَرَّمَ أن يُنَادَى فِى وَجْهِهِ يا محمد إنما يقال يا رسول الله أو يا نبىَّ الله تشريفًا له.

ثُمَّ حديثٌ نختم به المجلسَ فيه بيانُ معجزةٍ للرسول ﷺ. رجل من الصحابة اسمه عمرو بن أخطب الرسولُ ﷺ طلب شرابًا فقُدِّمَ له ماءٌ فيه شعرة، هذا الرجل عَمْرُو بن أخطب نزع هذه الشعرة، الرسولُ دعا له قال اللهم جَمّلْهُ، ثم هذا الرجل عاش ثلاثًا وتسعين سنة ما طلع له شيب ولا شعرة لأن الرسول ﷺ دعا له فقال

اللهم جمّلْهُ. هذا الشَّىءُ ما حصل فِى البشر منذ خلق الله الشيب. البشر ما كانوا يشيبون. أول من شاب إبراهيم ثم بعد أن حصل الشيب لإبراهيم ما أحد عاش تسعين سنة من غير أن يظهر له شعرةٌ من الشيب إلا هذا الرجل ببركة دعاء الرسول ﷺ أظهر اللهُ للرسول ﷺ معجزةً فِى هذا الرجل. نُهَلّلُ ونُصَلّى على النبىّ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السادس والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيان أقل الإسلام والإيمان وأكملهما

درس ألقاه الأصوليُّ المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى النصف الثانى من شهر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة فِى سويسرة الموافق للسابع من شهر كانون الثانى من سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وتسعِمائةٍ وألف ر وهو فِى بيان أقل الإسلام والإيمان وأكملهما وماذا يحصّل العبد إذا نال كلًّا من المرتبة الدنيا والعليا. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين. اللهم علمنا ما جهلنا وذكرنا ما نسينا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا ونعوذ بك من حال أهل النار.

أما بعد فقد رُوّينا فِى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال **أُمرتُ أنْ أُقاتِلَ الناسَ حتى يَشهدوا أنْ لا إله إلا اللهُ وأنّى رسولُ اللهِ فإذا قالوها عَصَموا مِنّى دماءَهم وأموالَهم إلّا بِحَقّ الإسلام** اهـ وفِى لفظ إلا

بِحَقّهَا[1] اهـ

هذا الحديث أصح الأحاديث الصِحاح رواه عن رسول الله عدد من أصحابه ورواه عنهم عدد كثير من التابعين وفيه دلالة على أن شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله فيها كفايةٌ للإيمان والإسلام لأن اللفظ إذا قارنه التصديق القلبيّ فهذا هو الإيمان والإسلام.

لكن إذا انفرد التصديقُ القلبيّ عن النطق بالشهادتين فذاك لا يَكْفِى بالنسبة لمن لم يكن مولودًا بين أبوين مسلمين بل أراد أن يدخلَ فِى الإسلام، بالنسبة لهذا الإنسان لا بد للحكم عليه بالإسلام من النطق بالشهادتين، أما إن كان مولودًا بين أبوين مسلمين فيكفيه لصحةِ إيمانِهِ وإسلامِهِ اعتقادُهُ معنى الشهادتين ولو لم ينطق بهما لفظًا، فمن اعتقد معنى الشهادتين فِى قلبه ثم لم يستحضر شيئًا من أصول الإيمان ولا من الأعمال البدنية كالصلوات الخمس وصوم رمضانَ لم يستحضر شيئًا من ذلك إنما قلبُه صدَّق بهذا المعنى معنى الشهادتين ولم يستحضر سوى ذلك من أمور الإسلام والإيمان لكنه لم يُنْكِرْ بل ذهنه خال من الاستحضار والإنكار والشك، ذهنه خال من الأمور الثلاثة فهذا مسلمٌ مؤمنٌ. لا يقال إنه لم يعرف بقيةَ أصول العقيدة فلم يعرف الصلواتِ الخمسَ ولا صيامَ

(١) رواه البخاريّ بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ، ومسلم باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

رمضان ولا ما هو معنى ذلك فلا يكون مسلمًا بل بمجرد استحضاره معنى الشهادتين أى الاعتقادِ بهما أى بمعناهما صح له الإسلام والإيمان، أما إن قارن هذا النطقَ الإنكارُ أو الشكُّ فذلك الذِى لا يصح له إيمان ولا إسلام.

ليس من شرط صحة الإيمان والإسلام استحضارُ بقيةِ أمورِ الإسلام وأمورِ الإيمان لأن أمورَ الإسلامِ أى معظمَ أمور الإسلام هو ما جاء فِى حديث جبريل عليه السلام الذِى رواه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه، وهو أى معظمُ أمور الإسلام **شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقامُ الصلاةِ** أى المداومةُ عليها **وإيتاءُ الزكاة** أى إعطاءُ الزكاة الواجبة لمستحقيها **وصيامُ رمضان وحَجُّ البيتِ لمن استطاعَ إليه سبيلًا** هذه معظم أمور الإسلام.

وأما معظم أمور الإيمان فهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدرِ خيرِه وشرِه. هذه الأمور ليس شرطًا استحضارُها لصحة الإسلام والإيمان إنما الشرط لتحقق الإسلام والإيمان فِى الشخص هو اعتقادُ معنى الشهادتين أى والنطقُ بهما وأما ما سوى ذلك فليس شرطًا لحصول أصل الإسلام والإيمان. إنما هو من أعظم الأمور التابعة لهما أى للإسلام والإيمان.

فإذا فرضنا أنَّ إنسانًا ذِهْنُهُ خالٍ عن كل أمور الدين إلا عن معنى الشهادتين صَحَّ أن يُحكم عليه أنه مؤمن مسلم لكن يُشترط لصحة ذلك أن لا يقترن هذا

الاعتقادُ بما ينقضه وهو الشك فِى حَقّيةِ أمرٍ من هذه الأمور أو الإنكارُ بالقولِ فإنه إذا اقترنَ ذلك أى الشكُّ أو الإنكارُ بهذه الأمور فإن معرفةَ معنى الشهادتين لا تكونُ معتبرةً عند الله تبارك وتعالى.

قد يتوهم بعضُ الناسِ أنه إذا لم يجمع الإنسانُ تلك الأمورَ الخمسةَ كلَّها، شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هذا أمر واحد ثم الأمر الثانى إقامةُ الصلاة ثم الأمر الثالث إيتاءُ الزكاة ثم الأمرُ الرابع صومُ رمضانَ ثم الأمر الخامس حَجُّ البيت، يظن بعض الناس أنَّ من لم يجمع هذه الأمور الخمسةَ لا يكون له إسلامٌ وهذا غلطٌ. ليس شرطًا فِى حصول أقل مسمى الإيمان والإسلام اجتماعُ هذه الأمور أى أن يجمع الشخص هذه الأمورَ كلَّها.

كذلك ليس شرطًا فِى حصول الإيمان الذِى فسّره الرسول بستة أشياء وذلك بقوله فِى حديث جبريل **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**(١) اهـ ليس شرطًا اجتماعُ الأمور الستة. يظنُّ بعضُ الناس أنَّ هذه الأمورَ الستةَ إذا لم تجتمع فِى الشخص أى إذا لم يستحضر هذه الأمورَ الستةَ ليس بمؤمن، هذا ليس صحيحًا إنما الشرط لحصول أصل الإيمان وأصل الإسلام الشهادتان أى

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ورواه أحمد فِى سننه باب مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

الاعتقادُ بمعناهما بشرط أن لا يقترنَ بذلك شكٌّ أو إنكارٌ هذا هو أصل الإيمانِ والإسلام فمن حصلَ له هذا الاعتقادُ بمعنى الشهادتين فهو مسلم مؤمن إنما لا يكون إسلامه وإيمانه كاملَين إلا أن يجمعَ بقيةَ الأمور ويؤدّىَ ما سوى ذلك من الواجبات ويجتنبَ المحرماتِ كلَّها.

وأعظم المحرمات الكفر ثم أمور أخرى بعضها أشد من بعض، رأس المحرمات وأكبرها وأشدها هو الكفر إن كان شركًا وإن كان غيرَ شركٍ لأنَّ الكفر يكون بالإشراك بالله تعالى ويكون بغير الإشراك كتكذيب الرسول وغير ذلك من أنواع الكفر.

بعضُ الناس يظن أن قولَ بعضِ الناس أركانُ الإسلام خمسة أن الإسلام لا يصح إلا باجتماع الخمس. توهَّم هذا المعنى من قولِ الفقهاءِ أركانُ الصلاة كذا وكذا لأن معنى أركانِ الصلاة الأمورُ التِى لا تصح الصلاةُ إلا باجتماعِها، يَتوهم من هذه العبارة وليس هذا قصدَ الفقهاء بقولهم ذلك فلا يجوز أن يتوهم الإنسان من قول الفقهاء أركان الصلاة كذا أركان الصيام كذا أنه لا يُعتد بالإيمان والإسلام إلا إذا اجتمعت هذه الأمور كما لا يعتد بالصلاة إلا إذا اجتمعت أركانُها جميعًا فإن هذا فهمٌ غلطٌ لا يُقاس هذا على هذا.

ثم إن الإيمان والإسلام لهما مرتبتان المرتبة العليا والمرتبة الدنيا أى الأقل. المرتبة العليا لا تصلح إلا باعتقاد معنى الشهادتين وبأداءِ جميع ما افترضَ الله على

عباده من الأعمال القلبية والأعمال البدنية وباجتناب ما حرم الله من الأعمال القلبية والأعمال البدنية وهذه هى المرتبة العليا. أما المرتبة الدنيا أى الأقل فهى اعتقاد معنى الشهادتين وفرق كبير بين هاتين المرتبتين.

المرتبة التِى هى الأقل تضمنُ لصاحبها إنْ تَجنَّبَ الكفرَ النجاةَ من الخلود الأبدىّ فِى النار ثم دخول الجنّةِ إما بعد عذاب على ذنوبه مِن تركِه لأداء الواجبات أو ارتكابِه للكبائرِ وإما بلا عذابٍ يسبق دخولَه إياها، ثم بعد دخوله إياها ينالُ أربعة أشياء حياةٌ لا موتَ بعدها وشبابٌ لا هَرَمَ بعدَه وتنعُّمٌ لا بؤسَ بعدَه وصحةٌ لا سُقْمَ بعدها. هذه الأربعة مضمونة بفضل الله تبارك وتعالى لكل مسلم بعد دخولِه الجنة وأما صاحب المرتبة العليا فِى الإيمان والإسلام فعندما يكون فِى حال مفارقة الدنيا يبشره مَلَك الموت الذِى وكَّله الله تعالى بقبض الأرواح المسمى بعزرائيل بقول السلام عليك يا وَلِىَّ الله، ثم إنه بعد الدفن أى بعد أن يُدفن لا يحصُل له نكدٌ ولا شىءٌ من المشقاتِ لا تُسَلَّطُ عليه هامّة من هوامّ الأرض ولا وحشة ولا يَتكدر من ظلمة القبر ولا ضِيقِهِ لأن الله تبارك وتعالى يُوَسّعُ له قبرَه سبعين ذراعًا فِى سبعين ذراعًا ومنهم من يوسع له مدَّ البصر. وأما ظلمة القبر فإنه يكفيه الله تعالى ذلك بأن يُنَوّر له قبره بنور كالقمر ليلة البدر أى أربعَ عشْرَةَ من الشهرِ العربىّ أى الشهر الهلالىّ. ثم له كذلك نعيمٌ لم يُطلعِ اللهُ تعالى عليه بشرًا ولا ملَكًا أخفاه الله تبارك وتعالَى للصالحين.

الصالحون الذين هم كانوا يؤدّون الواجباتِ كلَّها القلبيةَ والبدنيةَ ويجتنبون المعاصىَ كلَّها، هؤلاء يخصُّهم الله تبارك وتعالى من بين أهل الجنة بنعيم لم تره عينٌ حتى خُزّانُ الجنة من الملائكةِ لم يروه، أما أهلُ المرتبةِ الدنيا التِى هى أقلُّ فإن لهم من دخول الجنة تلك الأمورَ الأربعةَ ويشاركونَ غيرَهم فِى نعيم الجنةِ إلا فِى تلك الأمور التِى هِىَ خاصّةٌ بالصالحين والتِى أخفاها الله تبارك وتعالى ولم يُطْلِعْ عليها أنبياءَه ولا ملائكتَه حتى خُزَّان الجنة.

ثم إن هذا الحديثَ حديثَ **أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّى رسولُ الله**[1] اهـ دليلٌ واضح على أن الإنسان إذا وحَّد الله تبارك وتعالى أو أفرده بالعبادة أو لم يتذلل نهاية التذلل لغير الله فهذا كاف للإيمان والإسلام ولا يُشترط ما يدَّعيه أولئك المشبهةُ الذين يُحَرّمُونَ التوسل والاستغاثة بالأولياء والأنبياء فإنهم أحدثوا أمرًا ابتدعوه هم قالوا لا بد من توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأفعال. هذا أمر لا يشهد به كتابٌ ولا سُنَّةٌ ولو كان الأمرُ كما زعَموا لم يقتصر رسولُ الله ﷺ فِى هذا الحديث الذِى رواه عبد الله بن عمر رضِىَ الله عنهما وغيره الذِى أوله **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنِى رسول الله** اهـ

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾، ورواه مسلم فِى صحيحه بَاب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

لو كان الأمر كما زعم أولئك لم يقتصر رسولُ الله على هذه الجملة بل لذكر ما ادعاه أولئك ولقال حتى يوحدوا توحيد الألوهية وتوحيدَ الربوبية وتوحيد الأفعال، هل سمعتم من هؤلاء هذه العبارة، مذكور فِى كتبهم فِى مؤلفاتهم يقولون لا بد من ثلاثة أمور توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأفعال. إنا لله وإنّا إليه راجعون. ثم مما يدل على بطلان قولهم الحديثُ الثابتُ فِى سؤال القبر فإنه وردَ بلفظين لفظ الشهادة لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله واللفظُ الآخر رواه أبو داود وغيره أن الملكين اللذين يسألان المقبورين قال رسول الله ﷺ إنهما يَسألان هذا السؤال مَن ربُّك وما دينك ومَن نبيك فلم يَقُلْ رسول الله ﷺ فِى هذا الحديث إنهما يقولان هل وحّدت توحيد الألوهية هل وحّدت توحيد الربوبية هل وحّدت توحيد الأفعال فمن أين افْتَرَوْا هذه الفِرْيَةَ، هذا قولٌ لم يسبقهم إليه غيرهم لا من السلف ولا من الخلف إنما هى بدعةٌ وضلالةٌ اختصوا بها أىِ انفردوا بها من بين الناس فالحذرَ الحذرَ من مطالعة كتبهم إلا لمن كان من أهل التمييز أى صار عندَه من المعرفة بعلم الدين ما يميز به الحقَّ من الباطل ولا تَعْلَقُ بقلبه هذه الشبه التِى هم يوردونها فِى مؤلفاتهم وأما مَن كان ضعيفَ الفهم فيُخشَى عليه أن يَعْلَقَ بقلبه شَىْءٌ من تلك الأقوال الفاسدة والشأنُ فِى الفهم ليس الشأنُ فِى كثرة المطالعةِ وتصفُّحِ أوراقِ مؤلفاتِ كبارٍ متعددة، هم يقصدون أن يؤيّدوا ما ادَّعَوْهُ مِنْ أنَّ مَنْ صرف إلى غير

الله الرجاءَ أو الاستعانةَ أو الاستغاثةَ أو نحوَ ذلك مشركٌ أرادوا أن يؤيّدوا ذلك القولَ الفاسدَ بهذا التقسيم أما نحن فنأخذُ بما جاء به الحديثُ أنّ مَن اعتقد بمعنى الشهادتين كفاه ذلك وأنَّ ذلك كافٍ لتوحيد الله فِى ذاته وفِى صفاته وفِى فعله أىْ أنه لا شريك له فِى ذلك.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السابع والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيانُ الخمرةِ وحكمها ومفاسدها

درس ألقاه المحدّثُ الفقيهُ الشيخُ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان الخمرة وحكمها ومفاسدها. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى ءاله وصحابته الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل فِى صَحِيحَيِ الإمامين البخارىّ[(١)] ومسلم[(٢)] من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِىَ الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ قيلَ** أفرأيتَ يَا رَسولَ اللهِ شُحُومَ المَيْتَةِ تُطْلَى بِها السُّفُنُ وتُدْهَنُ بِهَا الجُلودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِها النَّاسُ قالَ **لا هُوَ حَرَامٌ** اهـ

هذا الحديثُ الذِى اتفق البخارىُّ ومسلمٌ على روايته فيه تحريمُ بيع أربعةِ أشياءَ أحدُها الخمرُ والثانِى الميتةُ والثالثُ الخنزيرُ والرابعُ الأصنامُ فهذه الأشياءُ الأربعةُ

---

(١) رواه البخارى فِى صحيحه بَابُ بَيْعِ المَيْتَةِ وَالأَصْنَامِ.

(٢) رواه مسلم فِى صحيحه باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.

بيعُهَا حرامٌ بتحريم رسولِ الله ثم اتفق على ذلك الأئمةُ المجتهدون ولم يَختلف فِى هذا الحكم اثنانِ مِن الأئمة بل كلُّهم مُتَّفِقُونَ على تحريم بيعِ هذه الأشياءِ الأربعةِ.

فأما الخمرُ فهو ما قالَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِىَ اللهُ عنه ما خَامَرَ العقلَ[1] اهـ أى كلُّ ما أَسْكَرَ أو غَيَّرَ العقلَ معَ فَرَحٍ وَطَرَبٍ فهو خمرٌ.

وذلك أنَّ ما يُغَيِّرُ العقلَ ثلاثةُ أنواعٍ الأولُ ما يُعْطِى طَرَبًا ونَشْوَةً وهو الخَمْرُ والثانِى ما لا يُعْطِى طربًا لكنه يُفْسِدُ العقلَ فهذا لا يُسَمَّى خمرًا والثالث ما يُغَيِّبُ الإحساسَ.

الخمرُ هو ما يُغَيِّرُ العقلَ ويُحدِثُ فِى شاربه نشوةً وطربًا وما ليس كذلك فلا يُسَمَّى خمرًا. هذا هو الخمرُ الذِى هو مِن أكبر الكبائر أى أكبرُ المحرَّماتِ بعد القتلِ ظلمًا وعُدْوانًا والزِّنَى والرِّبَا، بعد هؤلاء الثلاثِ الخمرُ هو أكبرُ المعاصِى.

وأما ما لا يُحدِثُ طربًا ونشوةً لكنه يُفْسِدُ العقلَ فإنه حرامٌ لكنه ليس فِى الحُرمةِ بمرتبة الخمر، فهذه المخدّراتُ التِى ليس فيها نشوةٌ وطربٌ وعربدةٌ لا تُسَمَّى خمرًا والكلُّ حرامٌ لكن المحرمات بعضُها أشدُّ من بعضٍ، الخمرُ هو أشدُّ هؤلاءِ لذلك جعلَ اللهُ على

(١) رواه البخارىُّ فى صحيحه بَابُ قَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، ورواه مسلم فى صحيحه باب فى نزول تحريم الخمر.

شارِبِها الحدَّ، وهو جَلْدُ أربعينَ ويجوزُ أن يَبْلُغَ به الحاكمُ ثمانينَ.

وَوَرَدَ فِى عقوبة شاربه فِى الآخرة أحاديثُ صحيحةٌ منها ما رواه مسلمٌ مِن حديث ابنِ عباسٍ عن النبىّ ﷺ **إنَّ على الله عهدًا لمن شَرِبَ المُسْكِرَ أنْ يَسْقِيَهُ طِينَةَ الخَبَالِ قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عُصَارَةُ أهلِ النار**[1] اهـ لكنَّ الناسَ الذين لا يعرفون مراتب أحكام الشرع جعلوا الخمرَ الذِى هو أشدُّ أقلَّ مِن غَيْرِهِ فِى العقوبةِ بل هم يسمحون ببيعِ الخمورِ وشُرْبِهَا مع أنهم يُشَدّدُون فِى بعض أنواع المَخدّرات التشديدَ البالغَ حتى إن بعضهم كان يقرر حبسَ خمسٍ وعشرين سنة على شرب الحشيشة.

هى الحشيشةُ حرامٌ تدخينُها لكنها أقلُّ من الخمر، كانتِ الخمرُ أولَى بتشديد العقوبة فيها لكنَّ هؤلاء ما راعَوْا الشريعة إنما راعَوْا ما استحدثوه مِن الأحكام لأنفسهم.

ثم إنَّ الخمرَ يَحْرُمُ قليلُها وكثيرُها أما ما سِواها مِن المخدرات فإنّ الفقهاءَ أجازوا استعمالَ القَدْرِ الذِى ليس فيه ضررٌ كالأفيون فإنه يدخل فِى المعاجِنِ ويُستعمل بمفرده تداويًا لكثيرٍ مِن الأمراضِ، لم يُحَرّموا هذا القدرَ القليلَ بخلافِ الخمر فإنهم حرموا القليلَ منه والكثيرَ لقوله ﷺ **ما أَسْكَرَ كثيرُهُ فَقَلِيلُهُ حرامٌ**[2] اهـ

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه باب ذِكْرِ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ قَوْلَ مَنْ أَبَاحَ شُرْبَ الْقَلِيلِ مِنَ الْمُسْكِرِ مَا لَمْ يُسْكِرْ.

فأما تحديدُ الخمرِ لمعرفةِ حقيقتها حتَّى يُعرفَ كلُّ ما هو خمرٌ فِى حكم الشرع بحيث لا يَخْرُجُ ما كان خمرًا مِنَ الخمر ولا يَدْخُلُ ما ليس منها فيها فهو أنَّ الخمرَ هو الشرابُ الذِى إذا شُرِبَ يُسكِر أى يغيّر العقلَ مع نشوةٍ وطربٍ وعَرْبَدَةٍ سواءٌ كان من عصير العنبِ أو من الذُرَةِ أو من الشعير أو من الحِنطة أى القمح أو من العسل. هذه الأنواعُ من الخمر كانت فِى الصَّدْرِ الأول أى كانت فِى العهد الذِى نَزَلَ فيه تحريمُ الخمر على رسول الله ﷺ، عندما أُنزل تحريم الخمر كانت هذه الأنواع مِن الخمر معروفةً فِى بلاد العرب أما خمر الشعير فكانوا يسمونَهُ المِزْرَ والآن يسمونه البيرة وأما خمرُ العسلِ فكانوا يسمونه البِتْعَ وإلى الآن خمرُ العسل مستعملٌ فِى الحبشة لأن العسل هناك كثيرٌ، أكثر الخمور هناك خمرُ العسل وخمر الذرة والشعير، وهؤلاء الثلاثةُ هى أكثرُ أنواع الخمر أما خمرُ العنب الذِى هو الخمر الأصلية فكان فِى الجزيرة العربية قليلًا بالنسبة إلى التمر والرُطَب لأن التمر والرطب كان فى الجزيرة العربية كثيرًا فكانوا يَستعملون الخمرَ منه أكثر مما يستعملون من العنب، العنبُ لا يوجد فِى الجزيرة العربية إلا فِى الطائف وأمّا ما سوى الطائف فلم يكن فيها عنبٌ إلا النادر لذلك كان أغلبُ خمرِهم من التمر والرُّطَبِ وأما التمرُ فهو معروفٌ يُستعمل كثيرًا وأما الرطب فهو ثمر النخلِ قبل أن يصيرَ ناشِفًا يسمى الرطب ثم بعد أن يصير رُطَبًا يجفف فِى الشمس فيصيرُ تمرًا وكذلك كانوا يعملون فِى الجزيرة العربية الخمرَ

من البُسْرِ أيضًا. البسرُ هو قبل الرُّطب. مِن ثمر النخل يكون البُسْرُ ثم الرُّطب ثم التمرُ فكانوا يعملون الخمر من هذه الأشياء الثلاثةِ التى كلٌّ منها ثمر النخل.

فأما متى يصير العصيرُ خمرًا فبيانُ ذلك أنَّ العصير إذا مكث إلى أن يصيرَ فيه نشيشٌ يكون صار خمرًا والنشيشُ هو صوتُ غَلَيانِ العصير، هذا العصير لما يُتْرَكُ فيمكثُ مدةَ ثلاثة أيام فِى البلاد الحارة أو سبعة أيام أو أكثرَ من ذلك فِى البلاد الأقل حَرًّا على حسبِ اختلاف البلادِ والوعاءِ الذِى يوضع فيه العصيرُ يصير فِى هذا الشراب نشيشٌ أى صوتٌ، يَغْلِى مِن غير نارٍ فذلك هو مَبْدَأُ الخمرية، قبلَ هذا النشيشِ كان حلالًا، كلُّ أنواع الخمور قبل النشيش حلالٌ ثم مِن وقت النشيش يكون خمرًا ثم لا يزال خمرًا محرَّمًا إلى أن تذهب منه قوةُ الإسكار وتصيرُ فيه حموضةٌ حينما تصير فيه حموضةٌ تكون ذهبت قوةُ الإسكار منه أى لا يصلح للإسكار بعد ذلك لو شرب الواحد كميةً كثيرةً لا يصلح فذلك هو الخلُّ، هذا الشرابُ حين يصير فيه حموضةٌ يُسَمَّى خَلًّا ويكون طاهرًا حلالًا طيّبًا نافعًا، وقبل الغليان الذِى هو النشيشُ كان طاهرًا حلالًا، ثم بعد النشيش يصير خمرًا حرامًا ثم بعد الحموضة يصير خلًّا حلالًا طاهرًا.

هذا الشرابُ الذِى يُسَمَّى الخمرَ مِن أىّ نوعٍ كان حكمُهُ أنه يَحْرُمُ بيعُهُ كما يَحْرُمُ شراؤه. ولا يجوزُ بيعُ الخمر للكافر ولا هِبَتُهُ ولا أنْ يُهْدِىَ الكافرَ خمرًا كما

لا يجوزُ إهداءُ المسلم خمرًا، لا فَرْقَ فِى ذلك، هذا مِن كبائر الذنوب وهذَا من كبائر الذنوب هذا ملعونٌ وهذا ملعونٌ. حتى فِى البلاد التِى فيها مسلمونَ وكفارٌ والحاكِمُ فيها مسلمٌ لا يجوز أنْ يُعطِىَ فيها الرخصةَ للكفار لاستيراد الخمر أو تصديره، حتى إنَّ أهلَ الذِّمَّةِ كانوا فِى الماضِى يُمْنَعُونَ مِن إظهارِ بيعِ الخمر، الخليفةُ كان يعاقِبُ مَن أظهر منهم الخمرَ وكذلك كان يعاقِب من أظهرَ بيعَ الخنزير حيًّا أو بيعَ لحمِهِ، كانوا يُمنَعون فِى الوقتِ الذِى كانوا فيه ذِمّيّينَ. ولقد ذُكِرَ لى أنَّ رجلًا يَتَّسِمُ بصورة أهل العلم كان فِى رحلةٍ إلى بعض البلاد الإسلامية فَاسْتُفْتِىَ فِى جواز الرخصة للكفار فِى استيراد الخمر فأجاب بأنه يجوز أن يُرَخَّصَ لهم، هذا شأنُ مَن لا يَتَّقِى اللهَ ولا يُبالِى إنْ كَفَرَ أو أصابَ إنَّما همُّهُ المالُ.

فتَلَخَّصَ لنا أنَّ الخمرَ لا يجوز بيعُها ولا إهداؤها وكذلك لا يجوزُ أكلُ ثَمَنِها فَمَنْ أُعْطِىَ مِن ثَمَنِ الخمر التِى بِيعَتْ به الخمرُ شيئًا فَعَلِمَ ذلك أنه مِن ثمن الخمر يقينًا حَرُمَ عليه أنْ يَقْبِضَ المالَ لو كان عن دَيْنٍ له على شخصٍ كافِرٍ.

وأمّا مفاسدُها أى المفاسد التِى توصِل إليها الخمرُ فهى كثيرةٌ لا تُحْصَى يَكْفِى فِى ذلك أنَّها تجرّئُ على الزنَى بالمَحْرَم وغيرِ المَحْرَم وتُجرّئُ على قتلِ الصديقِ وغيرِ ذلك. رَوَيْنا فِى صحيح ابن حبانَ مرفوعًا إلى رسولِ الله ﷺ أنَّ عابدًا مِن العُبّادِ فيمنْ كانوا قبلَ هذه

الأمةِ عَشِقَتْهُ امْرَأَةٌ فَبَعَثَتْ إليهِ لِيَأْتِيَها إلى دارِها للشهادَةِ قالت ائْتِنا لِتَشْهَدَ لنا شَهادَةً فَحضَرَ فكانَ كلّما دَخَلَ بابًا أُغْلِقَ هذا البابُ دونَهُ حتى وصلَ إلى امرأةٍ جميلةٍ عندها غلامٌ ووِعاءُ خمرٍ فقالت له إنَّا لم نَدْعُكَ لشهادةٍ ولكن دَعَوْتُكَ لتقتلَ هذا الغلامَ أو تَقَعَ عَلَيَّ أو تشرب من هذا الخمر فإنْ أبَيْتَ فَضَحْتُكَ فأَبَى ورأى أنَّ شُرْبَ الخمرِ أخفُّ عليه فشربَ فاستزادَ حتى سَكِرَ فوقعَ عليها وقتل الغلامَ(١).

ومِن مفاسدِ الخمر ما رويناهُ بالإسنادِ الصحيح أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِى طالبٍ رضى الله عنه قال كان المجوسُ لهم كتابٌ وعِلْمٌ يَدْرُسونَهُ ثمَّ إنَّ مَلِكَهُم شَرِبَ الخَمْرَ فَسَكِرَ فوقع على أختِه ثم لما صَحَا تكَلَّمَ فِى ذلك بعضُ الناس الذين شعروا بما وقع منه فجمعَ الناسَ فقال لهم أتَرْغَبُونَ عن سُنَّةِ أبيكم ءادمَ كان يُزَوّجُ بَنِيهِ مِن أخَواتِهِمْ فأطاعه قسمٌ وخالفَهُ قسم فقَتَلَ الذين خالَفُوهُ فرُفِعَ كتابُهُم(٢) اهـ كانوا مسلمين وكان لهم كتابٌ سماوِىّ، لكنهُ بسببِ الخمر طَغَى مَلِكُهُم، فزنى بأُختِهِ فأراد أن يَمْشِىَ هذا الأمرُ أى زواجُ الأخ بأخته فِى رَعِيَّتِهِ فاحتالَ عليهم فمَوَّهَ بقوله إن ءادم كانَ يُزَوّجُ بنيه من أخواتِهِم فلمّا حصل ذلك أُسْرِىَ بكتابهم أى رُفِعَ ذلك الكتابُ من بينهم فصاروا يعبدون النار

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه فِى ذكر ما يجب مجانبته من الخمر على الأحوال.

(٢) رواه عبد الرزاق فى مصنفه باب أخذ الجزية من المجوس.

ويقولون إنَّ العالمَ بتدبير النورِ والظُّلْمَةِ وأحيانًا يقولون الخيرُ بخلقِ الله والشرُّ بخلق الشيطان، يقولون الشرُّ أى المعاصى بتدبير الشيطان يكونُ ليس بخلق الله، يقولون الله ليس خالقًا للشرّ إنما الشرُّ يوجد بخلق إبليس بخلق الشيطان فصاروا كَفَرَةً يعبدون النار ويتزوجون أخواتهم، إلى يومنا هذا يتزوجون أخواتِهم، بل يتزوجون بناتِهم. هذه المفسدةُ سببُها الخمرُ فكيف تتساوَى الخمرةُ والحشيشةُ. الخمر مِفتاحُ كلِ شرّ كما جاء فِى الحديث لكن الناس الذين تركوا شريعة الله يُحَبَّبُ إليهم مُحدثاتُ الأمورِ أى الأمور التِى يستحدثها الناس مِن أفكارهم الناقصة تُحَبَّبُ إليهم لأنهم ابتعدوا مِن سُنَّة الرسول ﷺ فلمَّا ابتعدوا مِن سُنَّة الرسول ﷺ حُبّبَ إليهم أن يعملوا شرائع من عند أنفسهم مثل هذه الخصلة أنهم يسمحون ببيعَ الخمور ولا يُعاقِبون شاربيها ويُعَذّبون شاربَ الحشيشة خمسًا وعشرين سنة. الحشيشةُ وإن لم تكن من الصغائر بل من الكبائر لكن بينها وبين شرب الخمر فرق كبير.

أما خمرة الشعير التِى يسمونها البيرة فالفرق بينها وبين خمر العنبِ أن خمرَها أى خمرَ الشعير طبعُها باردٌ أما خمر العنب فطبعها حارٌ، خمرةُ الشعير تُرْوِى العطشان كذلك خمرة الذرة تُروِى العطشانَ وأما خمرة العنب فإنها تزيدُ العطشان عطشًا ولا تُرويه لذلك لا يجوز للإنسان الذِى دَبَّ به العطشُ أن يشرب خمرَ العنبِ وما فِى معناها لأنَّ الخمورَ التِى طبعُها حارٌّ لا يجوز شُرْبُها للعطشان مهما بلغ به العطشُ لو خاف أن

يموت من شدة العطش لا يجوز أن يشرب خمرة العنب لأنها لا تزيده إلا عطشًا فلِأَىّ فائدةٍ يشربها ليس فيها فائدةٌ للعطشان. العطشان يجوز أن يشرب من خمر الشعير وخمر الذرة القدرَ الذِى يُنْقِذُ به نفسه.

أما التداوِى بالخمر فقد اختلفَ العلماء فِى ذلك فقال بعضٌ منهم لا يجوز التداوِى بالخمر إنْ وَجَدَ ما يقوم مقامها من الأدوية الطاهرة وإن لم يَجِدْ دواءً طاهرًا وهذا أحدُ القولين للأئمة وهناك قولٌ ثانٍ أنه يجوز التداوِى بها إذا أخبره طبيبٌ مسلمٌ ثِقَةٌ بأنه ليس له دواءٌ إلا هذه الخمرة قالوا فِى هذه الحالة يجوز له أنْ يتداوى بها إذا أخبره طبيبٌ مسلمٌ ثقةٌ ليس من هؤلاء المسلمين الذين لا يُبالون إنْ غَشُّوا الناس أو نصحوهم إنما إذا أخبره طبيبٌ مسلم ثقة أى دَيّنٌ يعرف الحلال والحرام قالوا يجوزُ أنْ يتداوَى بها فِى هذه الحال أى إذا لم يجد دواءً ءاخرَ طاهِرًا يَتداوَى به.

أمَّا المَيْتَةُ فهى ما زالت حياتُها بدون ذكاةٍ شرعيةٍ كالبهيمة التِى تموتُ بمرضٍ أو البهيمةِ التِى يَذْبَحُها مَن لا تَحِلُّ ذبيحتُهُ كالدّرزِىّ والمجوسِىّ والشُّيُوعِىّ وغيرِ ذلك.

الشُّيُوعِىُّ الذِى يقول نظامُ الإسلامِ غيرُ صحيحٍ إلا نظام الاشتراكِيَّة هذا الشيوعِىُّ الكافرُ لا تجوزُ ذبيحتُهُ ولا يجوز إنكاحُهُ المسلمةَ فلذلك البلادُ التِى كان المسلمون فيها كثرةً ثم انقلبوا شيوعيةً أو لم يبقَ فيهم مِن المسلمين إلا القليلُ اللحومُ التى تَرِدُ مِن تلك البلاد

لا يجوزُ أكلُها ولا بيعها ولا شراؤها لأنها مَيْتَةٌ فالتى تموتُ مِن غيرِ ذبحٍ والتى تموتُ مِن ذَبْحِ هذا الشيوعِىّ أو الدرزِىّ كلٌّ مَيْتَةٌ هذا ميتةٌ وهذا ميتةٌ.

أما إذا عَلِمْنَا أنَّ هناك شركةً أصحابُها مسلمونَ ويَذْبَحُونَ الذبائحَ على الطريقة الشرعية الإسلامية إذا عَلِمْنَا ذلك يجوز أنْ نأكلَ منها أما إذا لم نعلم وكان الأمر مُشْكِلًا علينا هل ذبحت الذبائح على الطريقة الشرعية الإسلامية أو لا فلا يجوز أنْ نأكلَ مِن تلك اللحوم. أما ما يذبحُهُ المسلمُ بالطريقة الشرعية فهو حلالٌ وكذلك ما يذبحه النصرانِىُّ أو اليهودِىُّ مع كونهما كافِرَينِ فإنه يجوز أكلُ ذبائحهما لأنَّ الله تعالى رَخَّصَ لنا فِى ذلك مع كُفْرِ الفريقين اليهودِ والنصارى فالله تعالى أحلَّ لنا مع كفرهم أنْ نأكلَ ذبائحَهم إنْ ذبحوها مِن غيرِ ذِكْرِ اسم المسيح ولا الصليبِ أى إذا لم نعلم هل سُمِّىَ اسمُ المسيح أو سُمِّىَ اسمُ الله يَحِلُّ لنا أنْ نأكلَ منها وأما إنْ عَلِمْنَا أن الذابح قال بِاسْمِ الصليبِ عند الذبح فعندئذٍ نَعْتَبِرُها مَيْتَةً لو كانت كَيْفِيَّةُ ذَبْحِهِ كَذَبْحِ المسلمين وهو أنْ يقطع مَجْرَى النَّفَسِ ومَجْرَى الطعام والشرابِ بشىءٍ له حَدٌّ. فذبيحةُ النصرانىّ إنما تَحْرُمُ إذا سُمِّىَ المسيحُ أو الصليبُ.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدرس الثامن والثلاثون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بيان ما هو الشرك وأحوال الناس بعد الموت

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق لسنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فى بيان معنى الشرك وأحوال الناس بعد الموت. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **اجتنبوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ** قالوا وَمَا هُنَّ يا رسولَ الله **قال الشّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ التِى حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالحَقّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ وَالتَّوَلّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**[1] اهـ رواه البخارِىُّ.

يقول الرسولُ عليه الصلاة والسلام ابتعدوا عن هذه المعاصى السبع الموبقات أىْ المُهْلِكاتِ لأنَّ كُلَّ واحدةٍ مِن هؤلاء السبعِ تُهْلِكُ مَن ارْتَكَبَها فِى الآخِرَةِ.

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بابُ رَمْى المُحْصَنَاتِ.

الأُولَى مِن هؤلاء هِى الشركُ بالله معناه عِبادةُ غيرِ اللهِ، معنى عبادةِ غيرِ اللهِ التَّذَلُّلُ لغير الله نهايةَ التذلل فمَن تَذَلَّلَ لغير الله نهايةَ التذلل فقد أشركَ بالله عَبَدَ ذلك الشىءَ الذِى تَذلَّل له نهايةَ التذلل. وذلك هو الذنبُ الذِى لا يُغفر لأنه كفرٌ الذِى تذلل لغير الله نهايةَ التذلل فقد أشرك عَبَدَ غير الله كالذِى يسجد لصنم.

أما السجود الذِى سَجَدَهُ الملائكةُ لآدم لمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ تعالَى فذلك ليس شِركًا لأنَّ الله هو أمرهم بالسجود تعظيمًا لآدم واحترامًا له لا عبادةً لآدم، حتى يعرفوا أن هذا الإنسان الذِى خَلَقَهُ اللهُ تعالى له شأن عظيم عند الله لذلك أمرهم أنْ يسجُدوا له تعظيمًا وتحيةً لا عبادةً لآدم فذلك ليس من الشرك لأنهم لولا أنَّ اللهَ أمرَهم أنْ يحترموه بهذا السجود الذِى هو سجود تحيةٍ ما سجدوا له فأولئك ما أشركوا بالله بل أطاعوا الله تعالى لأنهم ما سجدوا هذا السجودَ إلا طاعة لله.

ألسنا نحن نحب الأنبياء ونحترمُهم لأنَّ الله أمرنا أن نحبَّ الأنبياء ونحترمهم وكذلك فِى ذلك الوقت فرض الله تعالى على الملائكة أنْ يسجدوا لآدم ليعلّمهم أنَّ هذا الذِى هو خلقٌ جديدٌ سيكون له شأن عظيم عند الله ومرتبةٌ ليست لغيره ليست لأحدٍ من الملائكة ولا من غيرهم الله تبارك وتعالى له أنْ يأمرَ عبادَه بما يشاء وله أنْ يَنْهَى عباده عما يشاء، له أنْ يُحرّمَ علينا ما يشاء وله أنْ يفرض علينا ما يشاء. وكان مما أُمِرَ به الملائكةُ أن يسجُدوا لآدمَ فِى أوَّلِ نَشْأَةِ ءادم فِى أول ظهوره كان مما فرضَ اللهُ تعالى على أولئك الملائكةِ

أنْ يسجدوا لآدم تحيةً وتعظيمًا لا عبادةً لآدم لأنَّ الله لا يأمر أنْ يعبدوا غيره فكان الفعلُ الذِى فعلوه فِى ذلك الوقت من السجود لآدم حقًّا بل كان لهم فيه ثوابٌ لأنَّ الله أمرهم، ثم لما أنزلَ اللهُ تبارك وتعالى الوَحْىَ على محمد حَرَّمَ أنْ يسجد أحدٌ لأحدٍ صار حرامًا أنْ يسجد أحد لأحد. كان مُعاذ بنُ جَبَلٍ جاء مِن بَرّ الشام فلما قَدِمَ إلى المدينة سجد لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله **ما هذا** قال معاذٌ يا رسول الله إنّى وجدتُ أهلَ الشام يسجدون لبطارقتهم وأنت أولى بذلك فقال **لا تفعلْ لو كنتُ ءامُرُ أحدًا أنْ يسجد لأحد لأمرت المرأة أنْ تسجد لزوجها**(١) اهـ المعنى أنَّ الله حَرَّمَ أن يسجد أحدٌ لأحد لا بِنِيَّةِ التعظيم ولا بنية العبادة لا بنية الاحترام ولا بنية العبادة، الله تعالى حَرَّمَ ذلك فيما أنزله مِنَ الوَحْىِ على سيدنا محمد ﷺ أما لما خُلِقَ ءادَمُ فالله أمر الملائكةَ أنْ يسجدوا له تعظيمًا وتحيةً لا عبادة لآدم وذلك ليس من الشرك.

الشركُ هو مثلُ أنْ يسجدَ إنسانٌ لإنسان مِثْلِهِ عبادةً له أىْ ليتذلل له نهاية التذلل أو أن يسجد لصنم أو لإبليسَ ونحوُ ذلك. هذا هو الشرك وهو أكبر الذنوب عند الله ثم كذلك سائر أنواع الكفر عند الله أعظمُ الذنوب. من الكفر تكذيبُ الرسول ﷺ أو سَبُّهُ أو سَبُّ أىّ نَبِىّ من أنبياء الله وكذلك سبُّ مَلَكٍ مِنْ ملائكة

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه ذِكْرُ تَعْظِيمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا حَقَّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ.

الله جبريلَ وإسرافيلَ وعَزرائيل. اليهود كانوا يقولون عن جبريلَ إنه عدوٌّ وهؤلاء الذين لا يستسلمون لقضاء الله تعالى يسبون عزرائيل ويجعلونه كأنه خلقٌ معتدٍ ظالمٌ يفرق بين الحبيب وحبيبه وبين الأم وولدها ظلمًا وعدوانًا يعتبرونه هكذا فيشتمونه ويلعنونه هؤلاء مثل اليهود فِعْلُهُم كفرٌ، وكذلك إنكارُ ما جاء به رسول الله كإنكار الصلوات الخمس وإنكار صيام رمضان وإنكار الحج وإنكار الزكاة وإنكار تحريم الخمر وإنكار تحريم الزنى ونحوِ ذلك مما هو تكذيبٌ للرسول ﷺ فهو كفرٌ.

الكفر سائر أنواعه لا يغفره الله تعالى إنما يمحوه الإسلامُ، الله تعالى يغفر الكفر بالإسلام. نوحٌ عليه السلام كان يقول لقومه لما وقعوا فِى الشرك فعبدوا غير الله عبدوا الأصنام الخمسةَ كان يقول ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾(١) أى ادخلوا فِى الإسلام حتى يغفرَ لكم اتركوا عبادة الأوثان واعبدوا الله وحده وءامنوا أَنّى نبىُّ الله بهذا يغفر الله لكم. هذا معنى الآية ليس المعنى قولوا أستغفر الله أستغفر الله يُغْفَرْ لكم إشراكُكم وتكذيبُكم لنبيّه للنبىّ نوح الذِى أرسله إليكم إنما معنى ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ هنا أى اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم بالإسلام لأن الكفر لا يُمْحَى إلا بالإسلام، مَن أسلم وترك ذلك الكفر الذِى كان عليه فقد استغفر ربه. الإسلامُ نَفْسُهُ استغفارٌ طلبُ المغفرة

---
(١) سورة نوح/الآية (١٠).

مِن الله تعالى، لما يخرج الكافر مِنْ كُفْرِهِ الذِى كان فيه ويدخل فِى الإسلام هذا استغفارٌ أى طلبٌ من الله تعالى أن يمحو هذا الكفر. ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ معناه اطلبوا مغفرةَ كفركم بالدخول بالإسلام.

ثم من أنواع الشرك عبادةُ الكواكب. السحرةُ الذين يستعملون السحرَ يعبدون الكوكب يلبسون لباسًا خاصًا للاستنجاد بالشمس يستقبلون الشمسَ بِزِىّ خاصّ يبخرونه ببخورٍ خاصّ ثم يستقبلون الشمس فيقولون السلام عليك أيتها السيدة المنيرة افعلى لنا كذا وكذا نرجو منك كذا وكذا. كذلك للقمرِ له طريقةٌ خاصة عندهم فِى كيفية عبادته، يلبسون لباسًا خاصًا ثم يبخرون بَخُورًا خاصًا غير البخُور الذِى يقولون إن الشمس تحبه ويستقبلون القمر ويخاطبونه متذللين متواضعين متمسكنين السلام عليك أيها السيدُ المنيرُ افعل لنا كذا وكذا، وكذلك لخمسة من الكواكب الأخرى لهم طريقةٌ خاصةٌ فِى عبادة كلٍّ منها. هذا أيضًا شرك كفر.

النبىُّ عليه الصلاة والسلام ذكر فِى هذا الحديث الشركَ، وكلُّ أنواع الكفر مثلُ الشرك أىْ عبادةِ غيرِ الله كفرٌ وتكذيبُ رسول الله كفرٌ والاستهزاءُ به كفرٌ وإنكارُ دِينِهِ وسبُّ أىّ نبىّ مِن أنبياء الله كفرٌ وكذلك احتقارُ أىّ نبىّ مِن أنبياء الله كفرٌ وكذلك سبُّ ملكٍ من ملائكة الله جبريلَ أو عزرائيلَ وغيرِهما كفرٌ،

والكفر بسائر أنواعه رأسُ الذنب لا يوجد ذنبٌ أعظم من الكفر. لا يُعَادَلُ الكفرُ بمئاتٍ مِن السرقة وبمئات من القتلِ لا يُعَادَلُ.

الكفرُ هو أعظمُ الذنوبِ عند الله لو كان الإنسان يسرق أكفانَ أمواتِ المسلمين يفتح قبورَهم ويأخذُ أكفانهم ليبيعها ويأكلَها ويقتل المئات من النفوس البريئة المسلمة ويسكر ويخمر وَيَزْنِى وَيَعْتَدِى ويغشّ، مهما فعل من الذنوب والمعاصِى فلا يُعادَلُ ذلك بالكفر. الكفرُ هو الذنب الذِى لا يغفره الله تعالى.

بعضُ الناس الذين لا يفهمون إذا قيل لهم إنَّ إنسانًا سبَّ الله تعالى أو سبَّ النبىَّ مسبةً واحدةً وءَاخَرَ يسرق على الدوامِ أموالَ الناس ينهب هذا ويقتل هذا ويضرب هذا ولكنه يؤمن بالله ورسوله مسلمٌ أىُّ هَذين أفضلُ أىُّ هَذين أشرفُ، يقولون هذا الذِى يَسُبُّ الله تعالى أو يسبُّ النبىَّ لكنه لا يَعْتَدِى ولا يُؤْذِى أحدًا يقولون هو الأشرف، ويقولون أيضًا المسيحىُّ الشريف أفضل من المسلم غيرِ الشريف هؤلاء عند الله تبارك وتعالى كفارٌ، عند الله تبارك وتعالى كفار. المسلم الكامل يبتعد عن هذه الأشياء كلّها لكن إذا وُجِدَ مسلمٌ رذيلٌ لكن لا يسبُّ الله ولا يسبُّ النبىَّ ولا يسبُّ الملائكة لا يكفر أىَّ كفرية يتجنبُ الكفرَ بجميع أنواعه لكنه فيه هذه الخصال أنه يسرق وينهب ويقتل ويضرب وءَاخَرُ نصرانىٌّ يعبد المسيح وَيُكَذِّبُ محمدًا أو من عادته أنه يسبُّ الله أىُّ الرجلين عند الله تبارك وتعالى خيرٌ، هذا

المسلمُ الذِى هو رذيلٌ خائنٌ خبيثٌ نهَّابٌ سرَّاقٌ هذا أفضلُ عند الله وذلك لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥﴾[1] شرُّ الدواب عند الله أىْ شَرُّ من يَمْشِى على وجه الأرض الكفارُ. الله تبارك وتعالى أخبرنا فِى القرءان الكريم أنَّ الكفار شرُّ ما يمشى على وجه الأرض، والرسول عليه الصلاة والسلام قال **والذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَمَا يُدَهْدِهُهُ الجُعَلُ بِأَنْفِهِ خَيْرٌ مِن ءَابائكم الذين ماتوا فِى الجاهلية**[2] اهـ أى الذين كانوا يعبدون الأوثان أى إنَّ الذِى يسوقُهُ الجُعَلُ بأنفه أى القَذَرُ الذِى يخرج مِنْ بَنِى ءَادَم ثم الجُعَلُ أى الخنفساء يسوقُه بأنفه ليتخذه قوتًا هذا القذرُ خير من أولئك المشركين، وهكذا كلُّ خَلْقِ اللهِ مِن حشرةٍ أو بهيمة عند الله تعالى خيرٌ وأفضلُ من الكافر لكن المسلم الكامل هو الذِى سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده، هذا المسلم الكامل، لا يكون مؤمنًا كاملًا حتى يُؤَدِّىَ جميعَ ما افترض الله عليه ويجتنبَ جميعَ ما حَرَّمَ الله عليه.

المحرماتُ معروفةٌ، الكبائر والصغائر ما حَرَّمَهُ الشرعُ فهو حرامٌ فالمسلم الذِى يجتنب المحرمات جميعَها وَيُؤَدّى ما افترض الله عليه مِن صلاة وصيام

(١) سورة الأنفال/الآية (٥٥).

(٢) رواه أحمدُ باب مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، والطبرانىُّ فِى الكبيرِ باب عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ والأوسطِ بَابُ مَنِ اسْمُهُ إبْرَاهِيمُ.

وزكاة وغير ذلك ويأمر بالمعروف ويَنْهَى عن المنكر ويُطعمُ الجائع إن استطاع ويكسو العارِىَ إن استطاع فهذا هو المسلم الكامل وله امتيازٌ عن المسلمين العاديين، لَهُ امتيازٌ فِى الآخرة المسلمُ الذِى وصل إلى هذه الدرجة أنه يُؤَدّى جميعَ ما افترض الله عليه ويجتنبُ جميعَ ما حَرَّمَ الله عليه.

ومن جملة ما افترض الله تَعَلُّمُ العلم الذِى لا يستغنَى عنه مِن علم الدين من علم التوحيد وأحكام الصلاة ومعرفةِ معاصى القلبِ ومعرفةِ معاصى السمع والبصرِ والعين والرجل والبطشِ والبطنِ والفرج فَمَنْ أَدّى جميع الواجبات واجتنب جميعَ المعاصِى فهذا له مزيّةٌ فِى القبر والآخرة أما فِى القبر فإنَّ الله تعالى يجعل له قَبْرَهُ روضة من رياض الجنة وَيُوَسّعُهُ عليه سبعين ذراعًا فِى سبعين يملؤه نورًا كنور القمر ليلةَ البدر ولا يُسَلّطُ عليه هامّةً ولا نملًا أو غيرها ويملأُ قبره من رائحة الجنة.

الأنبياء بعدما ماتوا لا يسكنون الجنة مع أنهم أفضل خلق الله بل يسكنون قبورهم، أحياهم الله فهم يُصَلُّونَ فِى قُبورِهِمْ وقُبُورُهُمْ رياضٌ مِن رياض الجنة لا يَشْكُونَ ضِيقًا لا يَشْكُونَ شيئًا يشمئزون منه لا يشكون شيئًا يؤذيهم.

الروح تُعَادُ بعد برهةٍ وجيزةٍ إلى الجسد فأرواحُ الأنبياء تَظَلُّ مع أجسادهم فِى القبور إلى يوم القيامة، ثم يومَ القيامة عندما يَنفُخُ إسرافيل فِى الصُّور يُصْعَقُونَ أىْ يُغْشَى عليهم ليس مِن الخوف وليس من الألم أو

الفزع إنما الأمر كتبه الله تعالى وَحَتَّمَهُ يُغْشَى عليهم ثم يعودون إلى صَحْوِهِمْ فيخرجون مِن القبور أما أرواحهم ما فارقتهم إلا تلك اللحظةَ لما كانوا على وجه الأرض وقُبِضَتْ أرواحهم فصُعد بها إلى السماء السابعة، ملائكة الرحمة صعدوا بأرواحهم ثم عادوا بأرواحهم إلى هذه الأرض ثم أُعيدت أرواحهم إلى أجسادهم فِى القبر بعدما دُفِنَ الجسدُ فورًا. هذا لأرواح الأنبياء ولأرواح غير الأنبياء حتى الكفار بعدما تُدْفَنُ أجسادهم فِى القبر أَرْوَاحُهُمْ تُعَادُ إلى أجسادهم.

الكفارُ لما يموتون تَأخذُ أرواحهم ملائكةُ العذاب ويصعدون بها فِى هذا الفضاء فالملائكة الذين بين الأرض والسماء وهم أفواج ليسوا فوجًا واحدًا يقولون لهم ماذا هذا الروحُ الخبيثُ فيقال لهم هذا فلان بن فلان فيقال لهم اطرحوه ثم ينزلون به من باب الأرضِ هذه والأرضُ لها بابٌ خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ينزلون بهذا الروح من هذا الباب إلى الأرض السابعة إلى مكان يسمى سِجّين حتى يُسَجَّلَ اسْمُهُ هناك ثم يُعادُ إلى هذه الأرض فلما يُدْفَنُ الجسد فِى القبر تعود روح الكافر إلى جسده هذا ثم لا يفارقه إلى أنْ يَبْلَى الجسد أىْ إلى أن يأكل الترابُ الجسدَ لكنه يكون فِى نكد شديد فِى قبره ظلمةٌ وضيقٌ وضغطةُ القبرِ وتسليطُ حَيَّاتٍ عليه غيرَ الحَيَّاتِ التِى نعرفها نحن، توجد حياتٌ خلقها الله تعالى لتعذيب الكافرين فِى قبورهم. ثم كلَّ يوم قبل الظهر مرةً أول النهار وءاخِرَ النهار مرة يُعْرَضُ علَيه مقعدُهُ الذِى يقعده

فِى جهنم يوم القيامة، يقول له المَلَكُ المُوَكَّلُ به من ملائكة العذابِ يقول هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة. بالنظر إليه يدخلُهُ ضيقٌ وفزعٌ وخوف وارتعاب شديدٌ، يدخل عليه نكدٌ شديدٌ كلما يَنظر أولَ النهار وءاخِرَ النهار إلى جهنم التِى هِى تحت الأرض السابعة تحت المكان الذِى سُجّلَ فيه اسْمُهُ، بهذا النظر يتنكد برؤيته لمقعده فِى جهنم كلَّ يوم مرتين يتعذبُ ثم بضيق القبر وظلمةِ القبر ووحشتِه والهوامّ التِى تُسَلَّطُ عليه يتعذب بها ثم بعد أن يأكل الترابُ جَسَدَهُ رُوحُهُ يُنْقَلُ إلى سجين إلى الأرض السابعة إلى المكان الذِى سُجّلَ فيه اسمه، يعيش هناك فِى نكد زائد يكون أقربَ إلى جهنم، يكون ما دخل جَهَنَّمَ بل يكون قريبًا من جهنم، جَهَنَّمُ تكون تحته إلى يوم القيامة ثم يومَ القيامة يعيد الله تعالى الجسد الذِى أكله التراب يعيد هذا الروح إليه إلى ذلك الجسد عَيْنِهِ ثم يُحشر ويُبعث ثم يُفضح هناك فِى مجمعِ يومَ القيامة ثم يُبعث به إلى جهنم.

أما المسلم التقىُّ الذِى كان يُؤَدّى جميع ما افترض الله ويجتنب جميع ما حرم الله عليه هذا قبل أن يموتَ قبل أن تخرج روحُه تأتيه ملائكةُ الرحمة الذين شكلهم غيرُ شَكْلِ ملائكةِ العذاب، ملائكةُ العذاب الله تعالى خلقهم سودًا سودًا مَخُوفِين منظرهم شَىْءٌ مَخُوفٌ شَىْءٌ مرعب هؤلاء للكفار. أما ملائكة الرحمة بيضٌ كأنَّ وجوههم الشمس يدخل على المؤمن التقىّ لَمَّا يراهم المؤمنُ التقىُّ عند سكرات الموت يدخل عليه السرور وإن كان هو يَتَلَوَّى مِن ألم الموت لكن برؤيتهم يدخل

عليه فرحٌ مهما كان شاعرًا بألم الموت لكنه يفرح برؤيتهم لما ينظرون إليه نظراتِ استبشارٍ نظرَ إكرامٍ نظرَ إجلالٍ ينظرون إليه بوجهِ تعظيمٍ واحترامٍ وإكرامٍ ويُبَشّرونه فيدخل عليه السرور ثم يأتى عَزرائيل فيبشره ثم بعدما يقبض عَزْرَائِيلُ هذه الروحَ هؤلاءِ ملائكةُ الرحمةِ يأخذونها فيصعدون بها إلى السموات وفِى كلّ سماءٍ يشيّعه المقرّبون فِى تلك السماء إلى السماء التِى فوقها فيرى هذا الإكرام وهذا التعظيم له فيدخله سرور عظيم وهكذا إلى السماء السابعة ثم يُؤْمَرُونَ بأن يردوه إلى الأرض فيردونه إلى الأرض فيدخل إلى القبر بعد ما يدخل الجسدُ إلى القبر، يَدخل الروح القبرَ فيعود هذا الروح إلى جسده ويُوَسَّعُ عليه قَبْرُهُ وَيُنَوَّرُ له كَنُورِ القمر ليلة البدر ويُمْلَأُ من رائحة الجنة لكن كل هذا محجوبٌ إلا عنه وعن بعض عباد الله الصالحين، لو فَتَحَ الناسُ العاديون قبرَ هؤلاء المؤمنينَ الأتقياءِ لا يرون هذا الاتساع، اللهُ حجبهم عن رؤيته لا يَرَوْنَ هذا الاتساعَ ولا يرون النور الذِى ملأ هذا القبر ولا يَشَمُّونَ تلك الرائحة رائحة الجنة هم محجبون إلا بعضَ عباد الله الصالحين، اللهُ تعالى يريه، يُطْلِعُهُ، بعضُ الصالحين يُرِيهُمُ اللهُ أما أغلب البشر فهم محجوبون عن رؤية حالةِ قبر المؤمن التقىّ ثم بعدما يأكل التراب جسده يعود هذا الروح إلى الجنة يدخل الجنة لكنه لا يأخذُ مكانَهُ الذِى خصصه الله تعالى له لِيَتَبَوَّأَهُ يوم القيامة، فِى الآخرة يتبوأه لكنه الآن فِى هذه المدة له منطلقٌ أرواح المؤمنين لهم مُنْطَلَقٌ فِى الجنة يأكلون من

أشجار الجنة أى الأرواح تأكل وتكون الروح بشكل طائر إلى أن تقوم القيامة فيومَ تقوم القيامة يُعيدُ الله أجسادهم التِى أكلَها الترابُ ويعيد هذه الأرواحَ إلى تلك الأجسادِ ثم تنشقُّ عنهم القبور فيخرجون من القبور ثم يُجَازَوْنَ بأعمالهم لا ينالهم شَىْءٌ من أهوال يوم القيامة، أى من الأمور المفزعة، لا يصيبهم شَىْءٌ لا حَرُّ الشمس تؤذيهم يومَ القيامة ولا يحسُّون بالجوع والعطش بل يأكلون قبل أن يدخلوا الجنة ويشربون وهم لابسون لا يحشرهم الله تعالى كغيرهم من البشر حفاة عراة بل يُحشرون راكبين ليسوا مشاةً بأبدانهم بل يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ لم تَرَ الخلائقُ مِثْلَهَا عليها رحائلُ الذهب ثم يدخلون الجنة فيصيرون فِى نعيم أعظم.

والمؤمن يَرَى مِن أقربائه مَنْ كان مات على الإيمان أما مَن مات على الكفر لا يَشتاق إلى رؤيته أما إن كان مات على الإيمان اللهُ تعالى يُذَكّرُهُ به فيشتاق له فيجتمع به بسهولةٍ، الاجتماعُ هناك أسهلُ، هناك بعد دخول الجنة توجد لكل واحد من أهل الجنة خيل من ياقوت أحمر له جناحان من ذهب يطير به حيث ما أراد حيث ما شاء لا يتكلف له علفًا لا يتكلف له أن يسقيَه ماء لا يتكلف له شيئًا، بلا تعبٍ بلا مؤنةٍ الله تعالى يُسَخّرُ له كلما أراد أن يطير إلى مكانٍ يطير على هذا الفرس على هذا الخيل.

ثم فِى الجنة هؤلاء المؤمنون الأتقياءُ لهم ما ليس لغيرهم مِن أهل الجنة ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ

ولا خطر على قلب بشر هذا مزيةُ الأتقياء أما المسلمون العاديُّونَ الذين ماتوا قبل أَنْ يَصِيرُوا على هذه الحال وهى أداء الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها الذين يموتون قبل أن يتوبوا بأن يتداركوا أنفسهم بأداء الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها هؤلاء صنفان صنفٌ اللهُ تعالى لا يعذبهم فِى قبورهم ثم فِى ءَاخِرَتِهِمْ لا يعذبهم يعفو عنهم يسامحهم وبعضهم يعاقبُهم فِى القبر وفِى الآخرة[١] لكن عُقُوبَتُهُمْ أىْ عذابُهُم فِى القبر ينقطعُ بعد برهة من الوقت، يُمْكِنُ بعض الناس يُنَكّدُ عليه فِى قبره يومًا وبعضُ الناس إلى سبعة أيام وبعضُ الناس إلى أكثرَ من ذلك[٢]، يُنَكَّدُ فِى القبر بعض المسلمين العصاة الذين ماتوا بلا توبة إلى برهة من الزمن ثم ينقطع عنهم العذابِ وَيُؤَخَّرُ لهم بقية عذابهم وجزائهم إلى الآخرة فَيُعَذَّبُونَ فِى الآخرة بقيةَ عذابهم ثم يخرجون من العذاب ويدخلونَ الجنةَ فيعيشون كغيرهم فِى الجنة فِى نعيم لا ينقطع لا يصيبهم خطرٌ ولا مرضٌ ولا كبر ولا شيخوخة ولا بؤس لكنهم درجاتٌ هناك المسلمُ العَاصِى الذِى مات بلا توبةٍ كالذِى كان فِى الدنيا يقطع الصلاة أو يشرب الخمر أو يأكل فِى رمضان بلا عذرٍ أو يعمل نميمةً بين اثنين أو يعملُ

---

(١) هذا فى الغالب كما يدل عليه كلام بعض الصحابة وإلا فقد يعذب الشخص فى القبر ثم لا يعذب فى الآخرة. ذكره شيخنا رحمه الله.

(٢) وقال بعض العلماء عذاب القبر للمسلم لا يستمر أكثر من سبعة أيام.

السحرَ الذِى ليس فيه كفرٌ[1] ليس فيه عبادة كوكب ولا سجود لإبليس ولا نحو ذلك إنما فيه مزاولةُ أعمالٍ خبيثةٍ دون الكفر فهذا من كبائر الذنوب السحر الذِى إن كان عُمِلَ للتفريق أو عُمِلَ للتحبيب فالمسلم الذِى كان يتعاطى شيئًا من هذه الأشياء أو يمنع الزكاة ما كان يُزَكّى أو يأكل فِى رمضان بلا عذر أو كان يُؤْذِى المسلمين يَضْرِبُهُمْ كان يضرب بغير حَقٍّ أو كان يشرب خمرة أو كان يأكل مالَ اليتيم أو كان يطعن فِى مسلم أو مسلمة عفيفة يقول فلانة لها خِدْنٌ تعمل الفاحشةَ معه يقذفها بالزّنَى ونحوِ ذلك هؤلاءِ أهلُ الكبائر هؤلاءِ قسمٌ منهم يُعَذّبُهُمُ اللهُ فِى قبورهم ثم يُؤَخّرُ لهم بقية عذابهم إلى الآخرة فَيُعَذَّبُونَ فِى جَهَنَّمَ.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) السحر درجتان قسم منه فيه كفر والعياذ بالله وهناك سحر ليس فيه كفر.

الدرس التاسع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الطريقة الرفاعية

درسٌ أعطاهُ الشّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ الهررىُّ رحمهُ اللهُ فِى المركز الإسلامىّ فِى نوشاتيل فِى سويسرة ليلةَ الأربعاءِ العاشر مِن ذى القَعدةِ سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للخامس عشر من شهر شباط سنة ألفين ر قبلَ إعطاءِ الطّريقةِ الرّفاعيّةِ هناكَ وهوَ فِى بيانِ الطّريقةِ الرّفاعيّةِ وكونِها سنّةً حسنةً. قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً.

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِ المرسلينَ وعلى جميعِ إخوانهِ منَ النّبيينَ وعلى ءالهِ الطّاهرينَ.

أمّا بعدُ فقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **مَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سُنَّةً حسنةً فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها بعدَهُ لا يَنْقُصُ مِن أجورِهم شىءٌ ومَن سَنَّ فِى الإسلام سُنَّةً سَيّئَةً كانَ عليهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بها بعدَهُ**[1] اهـ فمَن فتحَ طَرِيقًا منَ الخيرِ لم يكن قبلَ ذلكَ يوافقُ القرءانَ والحديثَ فلهُ أجرُ تلكَ الحسنةِ وأجرُ مَن عَمِلَ بها بعدهُ إلى يوم القيامةِ، كلّما عَمِلَ إنسانٌ تلكَ الحسنةَ هوَ

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

يتجدّدُ لهُ الثّوابُ، كذلكَ مَن عمِلَ عملًا سيّئًا مخالفًا للقرءانِ والحديثِ يُكتبُ عليهِ وِزْرُهُ وَوِزْرُ مَن عمِلَ بهِ بعدَهُ. وهذا الحديثُ فيهِ بيانُ البدعةِ الحسنةِ والبدعةِ السّيّئةِ فما أحدثَهُ أهلُ العلمِ فِى الدّينِ مما لم يَفعلْهُ الرسولُ إنْ كانَ موافقًا للقرءانِ والحديثِ ففاعلهُ لهُ ثوابُ عملِهِ لتلكَ الحسنةِ وثوابُ مَن اقتدَى بهِ بعدَ ذلكَ. والذِى يُدخِلُ فِى الدّينِ ما ليسَ منهُ مما يُخالِفُ القرءانَ والحديثَ وِزْرُهُ يُكتبُ عليهِ وَوِزرُ مَنِ اتَّبعَهُ فِى ذلكَ العملِ.

الطّريقةُ الرّفاعيّةُ والطّريقةُ القادريّةُ وغيرُهما مِن كُلّ طُرُقِ أهلِ اللهِ وهِى نَحْوُ أربعينَ الذينَ أحدَثوها لهم أجرُ عَمَلِهِم ذلكَ ثمّ مَنِ اتَّبعَهُم فِى تلكَ الحسنةِ كلَّما فَعَلَها بعدَهم أحدٌ يتجدّد لهم أجرٌ فسيّدُنا أحمدُ الرّفاعِيُّ لَمّا عَمِلَ طريقتَهُ هذه التى هِىَ استِغفارٌ مائةَ مرةٍ بلفظٍ مُعَيّنٍ والصّلاةُ على النّبىّ بلفظٍ معيّنٍ مائةَ مرّةٍ ولا إله إلا الله مائةَ مرّةٍ لَمّا أَحدثَ هذا كُتِبَ لَهُ أجرُهُ ثم أجرُ كلّ مَن يَعْمَلُ بطريقتهِ إلى يوم القيامةِ. وكذلكَ غيرُهُ مِن أهلِ اللهِ الذينَ عَمِلُوا الطّريقةَ كالشّيخِ عبدِ القادرِ الجيلانىّ فَطُوبَى ثمّ طُوبى أىْ لهُ خيرٌ كثيرٌ لِمن يعملُ سنةً حسنةً موافقةً للقرءانِ والحديثِ ثمّ تَبِعَهُ عليها غيرُهُ وويلٌ ثم ويلٌ لِمَنْ يُحْدِثُ عملًا مخالفًا للقرءانِ والحديثِ باسمِ الدّينِ فإنهُ يُكتبُ عليهِ ذنبُ عَمَلِهِ الذِى عَمِلَهُ بنفسِهِ وذنبُ مَنِ اتّبعَهُ بعدَ ذلكَ إلى يومِ القيامةِ.

مثالُ ذلكَ بِدعةُ الوهابيةِ. محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ هو الذِى أحدثَ هذهِ العقيدةَ الفاسِدَةَ فعليهِ وِزرُهُ ووِزرُ مَن

يَتْبَعُهُ بعدَه إلى يوم القيامةِ. وذلكَ مثلُ ما أخبرَ الرّسولُ ﷺ بِهِ أنهُ كلّما قَتَلَ إنسانٌ إنسانًا ظُلْمًا يُكْتَبُ على ابنِ ءادمَ الأوّلِ الذِى هوَ أَوّلُ مَن قَتلَ إنسانًا ظلمًا يكونُ لهُ نصيبٌ مِن تلكَ المعصيةِ. ءادمُ عليهِ السّلامُ أحدُ ابْنَيْهِ حَسَدَ ابْنَهُ الآخرَ على ما أنعمَ اللهُ بهِ عليهِ فَقَتَلَهُ فهذا الذِى قَتلَ أخاهُ هوَ أوّلُ مَن قتلَ قَتْلًا مُحَرَّمًا فهوَ يُجَدَّدُ لهُ مَعصيةُ قَتْلِ الظلم كلّما حصلَ فِى الدّنيا إلى يوم القيامةِ. وأمثالُ ذلكَ كثيرٌ. هذا زعيمُ الوهّابيّةِ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ هوَ أَوّلُ مَن حَرَّمَ قولَ يا محمدُ وهوَ أوّلُ مَن حَرَّمَ تعليقَ الحُرُوزِ التِى فيها قرءانٌ وهو أَوّلُ مَن حَرَّمَ عَمَلَ المولِدِ فِى شهرِ ربيعِ الأولِ شكرًا للهِ على إظهارِ سيّدنا محمّدٍ ﷺ فِى مثلِ ذلكَ الوقتِ.

فَلْيَحْذَرِ الإنسانُ أنْ يَعْمَلَ فِى الدّينِ أمرًا جديدًا يُخالفُ القرءانَ والحديثَ فإنهُ يُكْتَبُ عليهِ ذنبُهُ ومثلُ ذنبِ مَن يَعْمَلُ بعدَهُ تلكَ المعصيةَ. كانَ الرّسولُ عليهِ السّلامُ يُنادَى فِى وجهِهِ يا محمّدُ ثمّ حَرّمَ اللهُ تعالى أن يُنادَى فِى وجهِهِ يا محمّدُ فَبَقِىَ نِداؤهُ فِى غيرِ وجههِ جائزًا لم يُحَرّمْهُ أحدٌ إلا هذا الخبيثُ الدّجّالُ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ.

لماذا حَرَّمَ اللهُ أنْ يُنادَى فِى وجهِهِ يا محمّدُ بعدَما كانَ جائزًا لأنَّ بعضَ النّاسِ الجُفاةِ الذينَ ليسَ عندهم أدبٌ جاءُوا فوقَفوا خلفَ حُجَرِ رسولِ اللهِ فنادَوْهُ يا محمّدُ اخرجْ إلينا فحرَّمَ اللهُ أن يُنادَى يا محمّدُ فِى وَجْهِهِ تَشريفًا لهُ ولَم يزلِ المسلمونَ بعدَ موتهِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ يُنادونهُ يا محمّدُ طلبًا للبركةِ. اثنانِ مِنَ الصّحابةِ

فعَلَا ذلكَ ثمّ إلى يَومِنا هذا علماءُ الإسلام والعوامُّ يقولونَ يا محمّدُ طلبًا للبركةِ منَ اللهِ بالتَّوَجُّهِ بهِ علَيهِ السّلامُ.

بعدَ هذهِ التّرجمةِ نُلَقّنُ الطّريقةَ الرّفاعيّةَ إنْ شاءَ اللهُ.

الحمدُ للهِ وسَلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى أمّا بعدُ فَلْنَذْكُرْ مِن مَناقِبِ سيّدِنا أحمدَ الرّفاعِيّ رَضِىَ اللهُ عنه. كانَ سيّدُنا أحمدُ الرّفاعِيُّ مِن ذرّيّةِ الحُسينِ بن علىّ بنِ أبِى طالبٍ رَضِىَ اللهُ عنهُم كانَ فِى القَرْنِ السّادِسِ الهِجرِىّ تُوُفِى سَنةَ خمسِمائةٍ وثمانٍ وسبعينَ منَ الهجرةِ. كانَ يعيشُ فِى العِراقِ وكذلكَ الشّيخُ عبدُ القادرِ كانَ فِى العِراقِ. كانَ أولياءُ ذلكَ الزّمَنِ يَقولونَ الشّيخُ أحمدُ الرّفاعِيُّ أفضلُ الأولياءِ درجةً. كانَ للشّيخِ أحمدَ الرّفاعِىّ خالٌ اسْمُهُ الشّيخُ مَنْصُورٌ البَطائِحِيُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ رأى الرّسولَ ﷺ فِى المنام فقالَ لهُ بَشّرْ أختَكَ بأنها ستلِدُ بعدَ أربعينَ ليلةً ولدًا يكونُ سيّدَ الأولياءِ كما أنهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ سيّدُ الأنبياءِ. فولدتهُ أُمُّهُ بعدَ أربعينَ ليلةً ثم نَشأَ نَشأَةً طيّبةً إلى أنْ صارَ أعلمَ النّاسِ بالقُرءانِ والحديثِ. كانَ يُدَرّسُ فِى علمِ الدّينِ أوّلَ النّهارِ وءاخِرَ النّهارِ. أكثرَ شىءٍ كانَ يهتم بهِ التّوحيد وكانَ يُقرِئُ النّاسَ أيضًا الفقهَ والتفسيرَ والحديثَ ويجلسُ يومَ الخميسِ على كُرسِىّ الوَعظِ لأنهُ كانَ يأتيهِ الأُمَراءُ والعُلماءُ وطَلَبَةُ العلمِ وعامةُ النّاسِ. يجتمعُ عندهُ ءالافٌ مُؤلّفَةٌ، مَرّةً جلَسَ على كرسِىّ الوعظِ وكانَ فِى المجلسِ ثلاثُ طَوائفَ مِنَ الكفّارِ يهودٌ ونصارَى وصابِئَةٌ وكانَ مِنَ المسلمينَ خلقٌ كثيرٌ. لمّا هوَ بَدأَ بالوعظِ رَقّتْ قلوبُ النّاسِ نزلتِ

الرّحمةُ فأسلمَ مِن أولئكَ الكفّارِ ثمانيةُ ءالافٍ أو أكثرُ وتابَ منَ المسلمينَ الغافلينَ المُتلَوّثينَ بالذنوبِ أربعونَ ألفًا فِى المجلسِ. وحَصَلَ لهُ مِنَ الخُلفاءِ الذينَ خَلّفَهُم فِى الطّريقةِ ومَن خَلّفَهُ خلفاؤهُ فِى حياتهِ مائة وثمانون ألفَ خليفةٍ وكانَ يجتمعُ فِى السّنةِ فِى ليلةٍ تُسمّى ليلةَ المَحْيا كانَ يجتمعُ عندهُ مائةُ ألفٍ أو أكثرُ ثمّ هو يَكْفِيهِم طعامَهُم وشرابَهم وهذا ما حَصَلَ لأحدٍ مِن أولياءِ هذهِ الأمةِ. هذا سِرٌّ أكرَمَ اللهُ بهِ الشّيخَ أحمدَ الرفاعِيَّ معَ أنهُ ما كانَ مَلِكًا ولا وَزيرًا ولا مِن بيتِ المُلْكِ والوِزارَةِ.

ثمّ إنَّ اللهَ تعالى أَظْهَرَ للرّفاعيّةِ ءاياتٍ وشواهِدَ على أنَّ لهم عندَ اللهِ شأنًا كبيرًا. اللهُ تعالى ذَلَّلَ لِأَتْباعِ السّيّدِ أحمدَ الرّفاعِىّ الثّعابينَ والعَفاريتَ والنّارَ. مَشهورٌ فِى الشّرقِ والغربِ أنَّ مشايخَ الرّفاعيّةِ يَدخلونَ الأفرانَ الحاميةَ فينامونَ فِى جانِبٍ والخَبّازُ يَخْبِزُ فِى جانبِ ءاخَرَ لا تُؤَثّرُ فيهم النّارُ ويوقِدُونَ أحيانًا نارًا عَظيمةً فَيَدْخُلونَها فيذكرونَ اللهَ فيها حتّى تَنْطفِئَ لا تؤذيهِم ولا تُحْرِقُ ثيابَهُمْ اهـ

الذى يَأخذُ الطّريقةَ الرّفاعيَّةَ ويَثْبُتُ عليها ينالُ لُطْفًا كبيرًا فِى حياتهِ وعندَ موتِهِ يَحفظُهُ اللهُ مِن أنْ يَتَخبّطَهُ الشّيطانُ أىْ مِن أنْ يَفْتِنَهُ لأنَّ الشّيطانَ يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِى تلكَ السّاعةِ لِيَفْتِنَ الإنسانَ ويُخْرِجَهُ مِنَ الدّينِ. وفِى الآخرةِ يَلْطُفُ بهِ لُطفًا كبيرًا.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الأربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فِى بيان أن أول البشر ءادم كان حسن الصورة

درسٌ ألقاه المحدث المتكلّم الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيان أن أول البشر ءادم كان حسن الصورة. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وسلم.

أما بعد فقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال **إذا صَلَّيتم عَلَيَّ فَصَلُّوا على أنبياء الله فإنهم بُعِثُوا كما بُعِثْتُ**[(١)] اهـ ومن الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى سيدنا ءَادَمُ عليه السلام فمَن انْتَقَصَ ءادمَ أو استهزأ به فِى جِدٍّ أو مزح فقد خرج من الإسلام كالذِى انتقص نبينا محمدًا أو إبراهيمَ أو موسى أو عيسى أو انتقصَ أَىَّ نَبِىٍّ مِن أنبياء الله كَيُونُسَ بنِ مَتَّى الذِى الْتَقَمَهُ الحوتُ ثم كَلَّمَهُ الله تعالى بعد أن مَكَثَ فِى بطن الحوت زمانًا فيجب أن لا يُصَدَّقَ عليه وعلى غيره من أنبياء الله أَىُّ خبرٍ فيه طَعْنٌ فِى واحدٍ منهم صريحٍ أو غيرَ صريحٍ فلا

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان باب فى الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة.

يجوز الإِزْرَاءُ بواحد منهم مِن حيث الدينُ ومِن حيث الخِلْقَةُ، ويجب تكذيبُ ما يُشاع فِى بعض المدارس مِن أَنَّ أولَ البشرِ كان على شكل القرد فإِنَّ أولَ البشرِ هو ءادمُ لا غير لم يسبق فردٌ من النوع الإنسانى قبل ءادم فلا يجوز وصفُ أحدٍ منهم بِدَمَامَةِ الوجه أو قُبْحِ الخِلْقَةِ قال رسول الله ﷺ **ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الصوتِ وإِنَّ نَبِيَّكُمْ أَحْسَنُهُمْ وَجْهًا وأَحْسَنُهُمْ صَوْتًا**[(١)] اهـ

قال الشيخ وقد صحَّ فِى شأنِ ءادمَ عليه السلامُ حديثٌ رواه البخاريُّ وغيرُهُ أَنَّ أهلَ الجنة على صورة أبيهم ءادمَ ستون ذراعًا فِى السماء فِى سبعةِ أذرعٍ عَرْضًا فأهلُ الجنةِ كلُّهم يكونون عند دخول الجنة على صورة ءادمَ القصيرُ منهم والطويلُ أىْ أَنَّ كلَّ واحدٍ منهم فِى طولِ ستين ذراعًا وعرضِ سبعةِ أذرعٍ ويجعلُ اللهُ سبحانه وتعالى كلَّ واحدٍ منهم جُرْدًا مُرْدًا أبناءَ ثلاثين بِيضًا لا تَبَاغُضَ بينهم ولا تَحَاسُدَ لا يكون لأحدٍ منهم لحيةٌ حتى الأنبياء.

وقوله ﷺ جُرْدًا معناه ليس على وجوههم لحية، ومُرْدًا تأكيد لكن جردًا أوسعُ يَعْنِى ليس على أذرعتهم شعر ولا على صدورهم ولا على سيقانهم إلا شعرُ الرأس هذا.

(١) رواه الترمذىّ فِى الشمائل باب ما جاء فِى قراءة النبىّ ﷺ.

اللهم أدخلنا الجنّة اللهم أدخلنا الجنّة اللهم أدخلنا الجنّة اللهم أجرنا من النّار اللهم أجرنا من النّار اللهم أجرنا من النّار.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادى والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيان أن حديث الأعمى صحيح المرفوع منه والموقوف

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهررىُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى المركزِ الإسلامىّ فِى لُوزان فِى سويسرة فِى النّصفِ الثّانى مِن شَهرِ جُمادى الأولى سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة الموافقِ للعَاشرِ مِن كانون الثّانى عامَ ثمانيةٍ وثمانينَ وتِسعمائةٍ وألفٍ ر وهوَ فِى بَيانِ حَقيقةِ التّوسّلِ. قالَ رحمهُ اللهُ تَعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ لهُ النّعمةُ ولهُ الفَضلُ ولهُ الثّناءُ الحسنُ وصَلواتُ اللهِ البَرّ الرّحيم والملائكةِ المقرّبينَ على سيّدنا محمّدٍ أشرفِ المرسلينَ وعَلى جميع إخوانهِ مِنَ النّبيينَ والمرسلينَ. اللهم علّمنا ما جَهلنا وذكّرنا مَا نَسينا وانفعْنا بما علَّمتَنا وزدنا عِلمًا ونعوذُ بكَ مِن حَالِ أهلِ النّارِ.

أمّا بعدُ فقَد رُوّينا فِى مُعجَم الطّبرانىّ الصّغيرِ وفِى معجمهِ الكَبيرِ بالإسنادِ المتّصلِ مِن حَديثِ عثمانَ بنِ حُنيفٍ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ جاءَ أعمى إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ لِى أنْ يَرُدَّ علىَّ بَصَرِى قالَ إنْ شئتَ صَبرتَ وإنْ شئتَ دعوتُ لكَ قالَ إنهُ شَقَّ علىَّ

ذهابُ بَصَرِى وليسَ لِى قائدٌ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ **ائتِ الميضَأَةَ وتوضّأْ وصَلّ ركعتينِ ثمّ قلِ اللهم إنّى أسألُكَ وأتوجّهُ إليكَ بنبيّنا محمّدٍ نبىّ الرّحمةِ يا محمّدُ إنّى أتوجّهُ بكَ إلى رَبّى فِى حاجَتى وَتُسمّى حَاجَتكَ لتُقضَى لِى** (1) اهـ ثمّ جاءَ رجلٌ إلى عثمانَ بنِ حُنيفٍ فَشَكا لهُ أنّه ذهبَ إلى عثمانَ بنَ عفّانَ فِى حاجةٍ لهُ فلَم يلتفتْ إليهِ فقالَ لهُ عثمانُ بنُ حُنَيفٍ رضىَ اللهُ عنهُ ائتِ الميضَأَةَ وتوضَّأْ وصلّ ركعتينِ وقلِ اللهم إنّى أسألُكَ وأتوجّهُ إليكَ بنبيّنا محمّدٍ نبىّ الرَّحمةِ يا محمّدُ إنّى أتوجّهُ بكَ إلى رَبّى فِى حَاجتِى وتُسمّى حاجتَكَ لِتُقضَى لِى ورُحْ إليهِ حتّى أروحَ معكَ فذهبَ الرّجلُ إلى عثمانَ ابنِ عفّانَ فأخذَ البوّابُ بيدِهِ وأجلسَهُ على طِنْفِسَةِ عثمانَ فقالَ لهُ عثمانُ مَا ذكرتُ حاجَتَكَ حَتى كانَت هذهِ السّاعةُ وقَضَى لهُ حاجتَهُ وقالَ ما كانَ لكَ مِن حاجَةٍ فَائتِنا اهـ قالَ الطّبرانىُّ رحمهُ اللهُ والحديثُ صَحيحٌ وذلكَ بَعدَ أنْ أوردَ طُرقَ الحديثِ أىْ تعَدُّدَ أسانيدِهِ. وقَولُ الطّبرانىّ والحديثُ صَحيحٌ يَعْنِى بهِ المرفوعَ والموقوفَ لأنَّ كلًّا منَ المرفوعِ والموقوفِ فِى اصطلاحِ أهلِ الحديثِ يُسَمَّى حديثًا. المرفوعُ يُسمّى حَديثًا والموقوفُ يُسَمَّى حَديثًا. هذا الحديثُ رواهُ عِدّةٌ مِنَ المحدّثينَ مِن أصحابِ الكتُبِ المشهورَةِ كالتّرمذىّ وابنِ ماجَهْ والبَيهقىّ وغيرِهم لكنْ بعضُ هؤلاءِ الذينَ

(١) رواه الطبرانىّ فى معجميه الكبير باب من اسمه عثمان والصغيرِ باب من اسمه طاهر.

خرّجوا هذا الحديثَ فِى تآليفِهم اقتَصَروا على القَدْرِ الذِى هوَ مرفوعٌ أىْ على القِصّةِ التِى هِىَ مَرفوعةٌ أىْ مَجِىءِ الأعمَى إلى النَّبىّ ﷺ، اقتَصَروا على هذا القَدْرِ، وأمّا قِصّةُ الرّجلِ الذِى كانَت لهُ حاجةٌ إلى عثمانَ بنِ عفَّانَ فكانَ عثمانُ لا يلتفتُ إليهِ أىْ لشغلِ بَالهِ فرَواها بعضُهُم والإسنادُ واحدٌ إسنادُ المرفوعِ وإسنادُ الموقوفِ أىْ قصّةُ الرّجلِ الذى كانَت لهُ حاجةٌ إلى عثمانَ أُورِدَتْ معَ المرفوعَةِ مِن طَريقٍ واحدٍ.

وفِى هذا الحديثِ دَليلٌ على أنَّ التَّوسّلَ بالنّبىّ فِى حياتهِ أىْ قبلَ مماتهِ وبعدَ مماتهِ جائزٌ. لَا فرقَ فِى الجوازِ بينَ ما قبلَ وَفاتهِ وما بعدَ وفاتهِ، لَا فرقَ، كِلا الأمرَينِ جائزٌ وفيهِ ثوابٌ. وَلَمَّا كانَ أتباعُ ابنِ تيميةَ مُتمسّكينَ بالقاعدةِ التِى هوَ أحدَثها مِن غيرِ دليلٍ شَرعىّ بَل برَأيهِ الذِى استَحْسَنَتْهُ نفسُهُ مِن غيرِ أنْ يَستنِدَ إلى دَليلٍ وهىَ قولهُ لَا يجوزُ التّوسّلُ إلا بالحىّ الحاضرِ، هذهِ قاعدةُ ابنِ تيميةَ التِى وَضَعَها وليسَ لها مُستندٌ فِى دينِ اللهِ، لَمّا كانَ أتباعُ ابنِ تيميةَ مُتَشَبّثينَ بذلكَ أىْ برأْيِ ابنِ تيميةَ أنه لا يجوزُ التوسل إلا بالحىّ الحاضر قالَ أحدُ كبارِهم وهوَ ناصر الدين الألبانىُّ الصّحيحُ مِن هذا الحديثِ الجزءُ الأولُ وهوَ قصّةُ الرجل الأعمى الذِى جاء إلى النبىّ ﷺ أما قصة الرجل الذِى كانت له حاجة إلى عثمان بن عفان فهذه منكرة أى غير صحيحة اهـ

قولُ ناصر الألبانىّ هذا تَقَوُّلٌ بلَا دليلٍ كما أنّ ابنَ

تيميةَ تقوَّلَ فِى دينِ اللهِ برَأيهِ بلَا دليلٍ ناصرُ الدين الألبانىُّ أرادَ أنْ ينتصرَ لِهَواهُ وهَوَى جماعتهِ الذينَ تمسَّكوا بهَذهِ القَاعدةِ الفاسدَةِ لا يجوز التوسل إلا بالحىّ الحاضِر فقالَ هذا الحديثُ الجزءُ الأولُ منهُ صحيحٌ أى توسّلُ الأعمَى بالرّسولِ بهذا اللفظِ اللهم إنّى أسألُكَ وأتوجّهُ إليكَ بنبيّنا محمّدٍ نبىّ الرّحمةِ يا محمّدُ إنّى أتوجَّهُ بكَ إلى ربّى فِى حاجتِى وَتُسمّى حاجتَكَ فذهَبَ الرّجلُ ثمَّ دخلَ علينا فَواللهِ مَا تفرَّقْنا ولا طالَ بنا المجلسُ حتى دخلَ عَلَينا الرَّجلُ وقَد أبصَرَاه أى فَتَحَ نَظَرُهُ.

لكن هذا الحديثُ فيهِ الدّليلُ على أنَّ هذا الرَّجلَ الأعمَى مَا تَوَسَّلَ بحُضورِ رسولِ اللهِ ﷺ بَل بمَكانِ الوضوءِ ذهبَ إلى مكانِ الوُضوءِ فتَوضَّأ وصلّى ركعتينِ ثمَّ توسَّلَ بالرَّسولِ ففَتحَ نَظرُهُ ثمَّ جاءَ إلى الرسولِ ﷺ والرّسولُ بَعدُ مَا فارقَ مجلِسَهُ، هَذا الصَّحابىُّ عثمانُ ابنُ حُنَيفٍ رضىَ اللهُ عنهُ هوَ يقولُ فواللهِ مَا تفرَّقْنا ولا طالَ بنا المجلسُ حَتى دخَلَ عَلَينا الرّجلُ وكأنهُ لَم يَكُنْ بهِ ضُرٌّ قطُّ أىْ كأنّهُ لَم يُصِبهُ عَمًى، دخلَ وقَد صارَ مُبْصرًا ارتَدَّ بَصيرًا هذا القدرُ المرفوعُ. هذا أيضًا هُمْ يُحرّفونَهُ يقولونَ الرّسولُ دعا له إنما انتفع هذا الأعمى وفتح نظرُهُ بدعاء الرسول ليس بالتوسل.

وإنما سلَكوا هذا المسلَكَ مِنَ التَّحريفِ لِئَلّا تَنْفَسِدَ عَلَيهِم القاعدةُ التِى وَضَعها ابنُ تيميةَ أبو العَبَّاسِ أحمدُ الحرّانىُّ.

لو كانت هذه القاعدةُ صحيحةً لما عَلَّم الرسول ﷺ الأعمى التوسلَ به وسكت على توسله به فِى غيابه.

إذا قيلَ ابنُ تيميةَ فهوَ اثنانِ ابنُ تيميةَ أبو العبّاسِ أحمدُ الحرّانىُّ ويُلَقَّبُ تَقِىَّ الدّينِ وَجَدُّ هذا يقالُ لهُ مجدُ الدّينِ عبدُ السّلامِ هذا جَدٌّ وذاكَ حَفيدٌ، المفتونُ الحفيدُ وأما ذاكَ الأصلُ الجَدُّ فهوَ مِن أكابرِ الحنابلةِ، فِى مذهبِ أحمدَ بنِ حنبلٍ لهُ مكانةٌ كبيرةٌ ولا يُعرفُ عنهُ شىءٌ منْ إنكارِ التّوسّلِ والاستغاثةِ برَسولِ اللهِ ولا بالأولياءِ لأنَّ المسلمينَ مَا كانَ قبلَ ابنِ تيميةَ فيهِم مَن يُنكرُ التّوسّلَ برَسولِ اللهِ ﷺ فِى حَياتهِ وفيمَا بعدَ مماتهِ، مَا كانوا يُنكرونَ، حتى الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ الذِى هُم يدّعونَ أنّهم على مَذهبهِ وأنّهُ إمامُهم يقولونَ إمامُنا الإمامُ المبجّلُ أحمدُ بنُ حنبلٍ هكذا يَعتزُّونَ بهِ.

هوَ هذا الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رَوَى عنهُ واحدٌ مِن أكبرِ تلاميذهِ قَدرًا أبو بكرِ بنُ المَرْوَزىّ قالَ قالَ أحمدُ يَتَوسّلُ الدَّاعِى أىْ عندَ الاستسقاءِ أىْ عندَ طلبِ المطرِ منَ اللهِ تَعالى بالنّبىّ ﷺ. أحمدُ أثبتَ جوازَ التّوسّلِ بالنّبىّ بل مشروعيتَهُ بعدَ وفاتهِ ﷺ فأينَ هؤلاءِ وأينَ أحمدُ. هؤلاءِ يقولونَ التّوسُّلُ بالنَّبىّ بعد موته شِرْكٌ وفى حياته فِى غير حضوره شركٌ وأحمدُ بنُ حنبلٍ يَستحسِنُ بل يَستحِبُّ التّوسّلَ بالنّبىّ بعدَ مماتهِ عندَ الشّدّةِ أىْ عندَ القَحطِ أى عندَ انقطاعِ المطرِ.

ثمَّ أيضًا أحمدُ بنُ حنبلٍ قالَ فِى صَفْوانَ بنِ سُلَيم رَضِىَ اللهُ عنهُ وهوَ إمامٌ تابعىٌّ جَليلٌ منَ العُبّادِ النُّسّاكِ

المشهورينَ قالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ فِى صفوانَ بنِ سُليم رضىَ اللهُ عنهُما يُستنزَلُ المطرُ بِذِكْرِهِ اهـ يَعْنِى يُطلَبُ نزولُ المطرِ بذكرِ صفوانَ بنِ سُلَيم، إذا ذُكِرَ صفوان يُرْجَى أن يُنْزِلَ اللهُ تعالى المطرَ ببركتِه ببركةِ صفوانَ بنِ سُلَيم. هكذا قالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ. أحمدُ بنُ حنبلٍ يَستحسِنُ التَّوَسُّلَ بالأولياءِ بعدَ وفاتِهم وهؤلاءِ يُكفّرونَ الذى يَتَوَسَّلُ بالرّسولِ فِى غَيرِ حَضرتِه وبالأَوْلَى إذا كانَ التّوسُّلُ بهِ بعدَ مماتِهِ. انظُروا إلى البُعدِ الشّاسعِ بينَ هؤلاءِ وبينَ أحمدَ بنِ حنبلٍ. ومَنِ ابنُ تيميةَ فِى جَنبِ أحمدَ بنِ حنبلٍ. أحمدُ بنُ حنبلٍ رضىَ اللهُ عنهُ منَ السَّلفِ الصَّالحِ كلُّ طوائفِ أهلِ السّنّةِ يُثنونَ عليهِ الثّناءَ الجميلَ، تَركوا(١) أحمدَ بنَ حنبلٍ واتَّبعوا هذا الرّجلَ المفتونَ ابنَ تيميةَ الذِى يقولُ فِى دينِ اللهِ مَا ليسَ منهُ.

روى قول أحمدَ بنِ حنبلٍ عَن صَفوانَ بنِ سُليم يُسْتَنْزَلُ المطرُ بِذِكْرِهِ المحدّثُ الحافظ المِزّىُّ فِى تهذيبِ الكمالِ وذكرها الحافظُ مرتَضى الزّبيدىُّ.

الأثرُ الموقوفُ على الصّحابةِ يُطلَقُ عليهِ اسمُ الحديثِ هذا مذكورٌ فِى كتبِ اصطلاحِ الحديثِ. وُجِدَ ذلكَ فِى عبارةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرِه. أحمدُ بنُ حنبلٍ الذِى هوَ أكثَرُ المحدّثينَ منَ السَّلفِ حِفظًا للحديثِ، حفِظَ منَ الحديثِ ما لَا يُروَى منَ العددِ لغيرِه. الأثرُ الذِى هو مِنْ فعلِ الصّحابةِ ليسَ مِن كلامِ الرّسولِ ولَا مِن فِعلِ الرّسولِ ﷺ يُسَمَّى حَديثًا عندَ أهلِ

(١) أى أتباع ابن تيمية.

الحديثِ كمَا يُسَمَّى ما يُرْوَى عَن رسولِ اللهِ ﷺ مِن قولِهِ أو فعلِهِ أو تقريرِهِ حديثًا. هذا الذِى يَعرفهُ علماءُ الحديثِ على خلافِ ما قرره ناصر الألبانىّ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثانى والأربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان بعض ما نُسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى مما هو افتراء عليه

هذهِ رسالةٌ أملاهَا المحدّثُ الشّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى ربيعٍ الآخِر سنةَ خمس وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لشهر أيار سنة ألفين وأربع ر وهِىَ فِى بيانِ بعضِ ما نُسِبَ إلى الشّيخِ عبدِ القادرِ الجيلانى مما هوَ افتراءٌ عليهِ. قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّد وعلى ءالِهِ وسلّم.

قالَ الشّيخُ عبدُ الفتّاحِ الزُّعْبِىُّ مِن طرابُلُسَ الشّام مِن ذرّيّةِ الشّيخِ عبدِ القادرِ الجِيلانىّ رَضِىَ الله عنهُ إنَّ كتابَ الفُيُوضاتِ الرّبّانيةِ ليسَ مِن جَدّنا اهـ وذلكَ لأنَّ فيه أمورًا لا تليقُ بالأولياءِ منها أنَّ فيه أنَّ اللهَ كلّم الشّيخَ عبدَ القادر. الأولياءُ لهم إلهامٌ وليسوا مُكلَّمين كالأنبياء. حتى إنَّ المكلَّمينَ مِنَ الأنبياءِ ثلاثةٌ ءادمُ ونبيُّنا محمّدٌ وموسى فلَا يجوزُ أنْ يُقالَ إنَّ الله قال للشّيخ عبد القادر يا غوث الأعظم الأمر كذا وكذا.

وفِى هذا الكتابِ يا غوث الأعظم أكْلُ الفقراءِ أكْلِى وَشِرْبُهُمْ شِرْبِى اهـ وهذا باطلٌ لنسبتِهِ الأكلَ والشّربَ للهِ

عزّ وجلَّ تعالى اللهُ عَن ذلكَ.

وفيهِ كذبٌ ءاخَرُ على سيّدنا عبدِ القادِرِ مِن قصيدةٍ هىَ القَصيدةُ اللاميّةُ وهىَ

سَقانِى الوَصْلُ كاساتِ الوِصالِ
فَقُلْتُ لِخَمْرَتِى نَحْوِى تَعالى اهـ

ومِنَ القّصيدةِ الأخرى النُّونيّةِ وفيها فنادَمَنِى رَبّى حَقِيقًا ونادانِى اهـ والمُنادَمَةُ مِن صفاتِ المخلوق فلا تُنسب إلى الله.

وفيها كذبٌ ءاخَرُ وهوَ هذا البيتُ

ولو أنَّنِى أَلْقَيْتُ سِرّى عَلَى لَظَى
لأُطْفِئَتِ النيرانُ مِن عُظْمِ بُرْهانِى اهـ

وذلكَ لأنَّ الجنةَ والنارَ مخلوقتانِ للبقاءِ لا تَفْنَيَانِ منذُ يومِ خُلِقَتا إلى ما لا نهايةَ له. وهذا بعيدٌ مِنَ الشّيخِ عبدِ القادرِ لأنَّ هذا ضدُّ الشّريعةِ ضِدُّ دِينِ اللهِ والأولياءُ محفوظونَ مِن كُلّ ما هو مُصادَمَةٌ للشّريعةِ.

وكذلكَ ما أُشيعَ عنهُ بأنهُ قال قَدَمِى هذه على رَقَبَةِ كُلّ وَلِىّ لله اهـ ليسَ صحيحًا. الأولياءُ شأنُهُمُ التواضُعُ وقَد قالَ الرّسولُ ﷺ **التّواضعُ أفضلُ العبادةِ** اهـ وهذا الكلامُ نفاهُ عنِ الشيخِ عَبدِ القادرِ الشّيخُ سِراجُ الدّينِ المَخْزُومِىّ فِى كتابه صَحاحِ الأخبارِ وكذلكَ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ الحنبلِىُّ وغيرُهما وقالَ الشّيخُ سراجُ الدّينِ المخزومِىُّ كَذَبَ على الشّيخِ عبدِ القادرِ علىٌّ الشَّطَنُوفِى المِصْرِىُّ الذِى أَلَّفَ كتابَ روضةِ الأسرارِ وروَّجَ الأكاذيبَ بقولهِ حَدَّثَنا فلانٌ عَن فلانٍ عَنِ الشّيخِ

عبدِ القادرِ اهـ وهذا الشَّطَنُوفِى ظَهَرَ بعدَ الشّيخ عبدِ القادرِ بمائةِ سنةٍ فعمِلَ هذا الكتابَ. وأما كتابُ الفُيُوضاتِ الربّانية فهوَ أُلّفَ فِى القرنِ الثّالثَ عشرَ فِى أواخرِه. فيجبُ التّحذيرُ من هذينِ الكتابينِ.

أما كتابُ الغُنْيَةِ فهوَ من تأليفِ الشّيخِ عبدِ القادرِ لكنْ أدخَلَ فيهِ بعضُ الحنابلةِ المشبّهةُ كلمتينِ فاسدتينِ إحداهما أنَّ الشّيخَ عبدَ القادرِ قالَ إنَّ اللهَ فِى جهة السماء وأهلُ السّنّةِ متّفقونَ على أنَّ اللهَ موجودٌ بلا مكانٍ والقولُ الآخر إنَّ حروفَ المُعْجَم قديمةٌ أىْ ليس لوجودها ابتداءٌ وهذا أيضًا خلافُ مَذهبِ أهلِ السّنّةِ. مذهبُ أهلِ السّنّة أنهُ لا قديمَ لا ابتداءَ لوجودِهِ إلا اللهُ. الأصواتُ وحروفُ المُعْجَم العربيّةُ وغيرُها كلُّها مخلوقةٌ مَا كانَت مَوجودةً قبلَ أنْ يَخْلُقَ اللهُ الماءَ والعرشَ فيجبُ على العلماءِ التّحذيرُ الشّديدُ مِن هذهِ الأشياءِ.

والذينَ أَدْخَلُوا على الشّيخ عبدِ القادرِ فِى كتابِهِ الغُنيةِ هاتَيْنِ المقالَتَينِ همُ الذينَ يعتقدونَ أنَّ اللهَ متكلّمٌ بالصّوتِ والحرف. وأهلُ السّنّةِ يقولونَ اللهُ متكلّمٌ بكلام أزلِىّ أبدِىّ ليسَ صوتًا ولا حرفًا، هكذا قالَ إمامُ أهلِ السّنّةِ أبو الحسنِ الأشعرِىُّ والإمامُ أبو مَنصورٍ الماتريدِىُّ.

الوهابيّةُ مشبّهةٌ يقولونَ اللهُ يتكلم بالحرف والصوت كما نحن نتكلم. أهلُ السّنّةِ يقولونَ القرءانُ لهُ إطلاقانِ أحدُهما الحروفُ التِى أخذَها جبريلُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ وقرأَها على الرّسولِ ﷺ والإطلاقُ الآخرُ

كَلامُ اللهِ الذِى ليسَ حرفًا ولا صوتًا وليسَ لهُ ابتداءٌ ولَا انتهاءٌ. وهذا القرءانُ الذِى هوَ مؤلَّفٌ مِنَ الحروفِ عبارةٌ عن ذلكَ الكلامِ.

وهذا الدّسُّ ليسَ بعيدًا فقد دُسَّ على الشّيخِ عبدِ الوهّابِ الشَّعْرَانىّ فِى بعضِ كتبهِ ما ليسَ من كلامِه فِى حياتِهِ لأنهُ فِى تلكَ الأزمنةِ الكتبُ المُؤَلَّفَةُ يَكْتُبُها المؤلّفُ أو يُمْلِى على شخصٍ فيكتبُ هذا المُسْتملِى ثمّ النّاسُ يَسْتَنْسِخُونَ مِن هذا الكتابِ نُسَخًا مُتعددةً. كان يُمْكِنُهُم بسُهولةٍ التّغييرُ والتّحريفُ لأنَّهُ لم تَكُنْ فِى تلكَ الأيامِ هذهِ المطابعُ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثالث والأربعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اغتنم خمسًا قبل خمسٍ

درسٌ ألقاه المحدثُ الصوفىّ الفقيهُ الشيخ عبدُ الله بن محمد العبدرىُّ رحمه الله فِى السابع والعشرين من رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة المباركة الموافق لواحد من شهر شباط سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف ر فِى سويسرة وهو فِى بيان حديث اغتنم خمسًا قبل خمس. قال الشيخ رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين صلاة الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن نبينا محمدًا ﷺ قال **اغتنم خمسًا قبل خمس اغتنِم حياتَك قبل موتِك وصحتَك قبل سَقَمِك وغِناك قبل فقرك وفراغَك قبل شُغلِك وشبابَك قبل هرمِك** (١) اهـ حديث صحيح أخرجه الحاكم وغيره.

أكثر الناس غافلون عن العمل بهذه الوصية النبويّةِ التى فى هذا الحديث والعاملون بهذا قليلٌ فِى عباد الله جدًّا وذلك لأن الإنسانَ إذا مات فاتَه العملُ الذى كان

(١) رواه الحاكم فى المستدرك فى كتاب الرقاق.

مكلفًا به وينال به الثوابَ فيندم فِى الآخرة حين لا ينفعه الندم أما ما دام فِى الحياة فإنه إذا ندم يرجعُ إلى الصواب فيكتسبُ لآخرته الحسناتِ وتكونُ له ذخرًا فِى الآخرة.

كذلك الإنسانُ إذا لم يكتسب ما ينفعُه فِى ءاخرتِه فِى حال صحته يَعْجِزُ إذا مرض عن تحقيق أعمالٍ مِن الحسنات لو عملها فِى حال صحته كان قَدَّمَ خيرًا كبيرًا لآخرته.

كذلك الإنسانُ إذا لم يكتسب فِى حال شبابِه أى فِى حال قوّته وتمكُّنه من اكتسابِ الأعمال الصالحةِ فأخَّرَ ذلك إلى هَرَمِه فإنه يعجز عن كثير من الأعمال الصالحة التى لو كان اكتسبَها فِى حال شبابه اكتسب خيرًا كبيرًا.

كذلك الإنسان إذا لم يكتسب فِى حال غِناه الحسناتِ بالمال الذى فِى يده من المال الحلال إذا لم يكتسب لآخرته ما يكون ذخرًا له فِى الآخرة يبوء بالندم وحينها لا يستطيع أن يحقّقَ تلك الأشياء التى فاتته بسبب ما عرض له.

كذلك الإنسانُ إذا لم يكتسب الحسناتِ الأعمالَ الصالحةَ فِى حال فراغه فإنه يعجز عن تحقيق ذلك واكتسابِه عندما يصير مشغولًا فطُوبى لمن عمل بهذا الحديث.

ثم الأمر الذى هو أفضلُ الأعمال فِى هذه الحياة الدنيا أن يثبت الإنسانُ على الإسلام. المسلم الذى

عرف الله ورسوله كما يجب إذا ثبت على الإسلام إلى الممات فإنه لا بدَّ أن يدخلَ جنةَ اللهِ دارَ النعيمِ المقيم الذى لا انقطاعَ له فالمسلمُ مهما كانت حالتُه بعد أنَ يدخلِ الجنةَ يكون لشدةِ اطمئنان نفسه وعِظَمِ نعيمِه يكونُ كأنه لم يمرَّ به بأسٌ فِى الدنيا قطّ لو كَان من أشد الناس بؤسًا فِى الدنيا من فقر ومرض وغير ذلك. الله تبارك وتعالى قال فِى كتابه العزيز ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾(1). هناك كل مسلم يعيش كأنه مَلِكٌ ليست عيشتُه هناك على انفراد مع أزواجه فقط بل يكون حولَه موكبٌ من الخدم يوجد فِى الجنة الولدان هؤلاء خَلْقٌ خَلَقَهُمُ الله ليس من إنس ولا جن ولا ملائكة كأنهم لؤلؤٌ منثورٌ هؤلاء الله تبارك وتعالى يعطِى أقلَّ أهلِ الجنةِ منزلةً عشرةَ ءالافٍ كلُّ واحد منهم فِى إحدى يديه صحيفة من ذهب وفِى الأخرى صحيفة من فضة قائمون بخدمته يعيشون على هذه الحالةِ من الشَّبِيبَة أبدَ الآبدين. هذا معنى أنه يرى المؤمن فِى الآخرة مُلْكًا كبيرًا.

ثم هذا النعيم لا يحصل إلا لمن عرف اللهَ كما يجبُ لا يحصل ذلك لمجرد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله لأنَّ من الناسِ من يشبّهون الله بخلقه، بعض الناس يظنون أن الله بصورة إنسان بصورة شيخٍ كبيرٍ ومن الناس من يعتقدون أنه كُتلةٌ نورانيةٌ ومن الناس من يظنون أنه شىءٌ ضخمٌ بقدرِ العرشِ أو أوسعَ

(1) سورة الإنسان/الآية (٢٠).

منه ومن الناس من يُثْبِتُونَ له الحركةَ والسكونَ كشأنِ البشرِ ومع ذلك يقولون لا إلٰه إلا الله وكلُّ هؤلاء ما عرفوه إنما يعرفُ اللهَ من يعتقدُ أنه موجودٌ لا يُشبهُ شيئًا، يجزم فِى نفسه أنَّ كلَّ ما يتصوره القلبُ فالله بخلاف ذلك، لا يُشبه العالم الكثيفَ كالإنسان والجمادِ والنيّراتِ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ لأنه خالقُ هذا كلِّه فلو كان يشبهُ شيئًا منها ما استطاع أن يخلقه. وهؤلاء الذين ذكرناهم ووصفناهم أنهم يعتقدون أن الله على شكل من الأشكال يظنون بأنفسهم أنهم مؤمنون مسلمون حتى إن بعضَهم مع كِبَرِ سِنّهِ لما سمع مِنْ بعضِ العلماء أن الله تعالى لا يشبه شيئًا لا يشبه النور لا يشبه الظلام قال أليس قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين يرون الله يوم القيامة كما يرون القمرَ ليلةَ البدر قلت له أنت توهمت ذلك إنما كلام الرسول أن المؤمنين لما يرونه لا يشكُّون أنه هو الله كما أن من يرى القمر ليلة البدر وليس هناك غمام لا يشكُّ أن هذا هو القمرُ قلت له هذا معنى حديث الرسول ﷺ ليس معناه أن الله بشكل القمر، هذا الرجل أوقعه فِى هذا الوهم عدمُ تعلُّمه من أهل المعرفة عقيدةَ أهلِ الحق أنَّ اللّهَ موجود لا كالموجودات غيرُ متحيز فِى جهة ولا مكان ولا فِى جميع الجهات والأماكن لأنه كان قبلَ الزمانِ والمكانِ قبل أن يخلق الزمانَ والعرشَ وما سواه كان موجودًا بلا مكان ثم بعد أن خلق العرشَ وغيرَه من الأماكن لم يتحيَّزْ فِى مكان، العرش ليس بالنسبة إلى ذات الله تعالى أقربَ مِنَ الأرض السفلى، لا

العرشُ قريبٌ من الله بالمسافة ولا أسفلُ العالم بعيدٌ من الله بالمسافة. بعضُ الناس يتوهمون أن الله فِى جهة العلو لأن الرسول ﷺ لما كان يدعو يجعل بطون كفيه إلى السماء هؤلاء يقال لهم الرسول ﷺ لما استسقَى أىْ طَلَبَ من الله المطرَ أشارَ بظهورِ كفيه إلى السماء وهذا يُبيّنُ لنا أن رفع الأيدى عند الدعاء إلى السماء ليس معناه أن الله متحيز فِى جهة الفوق لأنه لو كان الأمرُ كذلك كان عند طلبِ المطرِ أيضًا يرفع بطون كفيه إلى السماء وهذا الحديث رواه مسلم[١]، ما فيه خلاف فِى صحّته. ثم إنه عليه الصلاة والسلام كان فِى التشهّد لما يصلُ إلى كلمة إلّا الله كان يرفع مُسَبِّحَتَهُ ويحنيها وهذا صحيح أيضًا رواه أبو داود فِى السنن[٢] والبيهقىُّ[٣] وغيرهما فالرسولُ عليه الصلاة والسلام بيَّنَ لنا أنَّ ما يتوهمه بعض الناس من أن الله متحيز فِى جهة فوق فاسدٌ. هى الجهات الست هى باعتبار قامة الإنسان لأن الإنسانَ اللهُ تعالى خلقَه بشكل له رِجلٌ ورأسٌ وجانبان وأمامٌ وخَلْفٌ فهذه الجهاتُ الستُّ هى تُتَصَوَّرُ مِن وَضْعِ قامةِ الإنسانِ فما يتجه إليه رأس الإنسان يقال له فوق وما يَلِى رجليه يقال له تحت وما يَلِى أحدَ جانبيه يقال له يمين وما يَلِى الجانب الآخر يقال له يسار وما يَلِى ظهره يقال له خلف وما يلى

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب رفع اليدين بالدعاء فى الاستسقاء.
(٢) رواه أبو داود فى سننه باب الإشارة فى التشهد.
(٣) رواه البيهقى فى السنن باب كيفية الإشارة بالمسبحة.

وجهه يقال له أمام، اللّهُ الذى خلق الإنسان على هذا الشكل يستحيل أن يكون له جهةُ أسفلَ وجهةُ فوقٍ وجهةُ يمينٍ وجهةُ يسارٍ، هى من سخافةِ العقلِ هذه العقيدةُ أن الله متحيزٌ فِى الجهة العليا فالعقل الصحيح يشهد بأن الله تبارك وتعالى موجود بلا جهة ولا مكان ولا شكلٍ ولا هيئةٍ ولا لون.

وفِى صحيح مسلم وسنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذَ مَضْجَعَهُ يقول **اللهمّ فالقَ الحبِّ والنوى ومُنزلَ التوراة والإنجيلِ والفرقانِ أعوذُ بك من شرّ كلِّ ذِى شرّ أنت ءاخذٌ بناصيته اللهمَّ أنت الأول فليس قبلَك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىءٌ وأنت الظاهر فليس فوقَك شىءٌ وأنت الباطنُ فليس دونَك شىءٌ اقضِ عنا الدينَ وأغنِنا من الفقر**[١] اهـ هذا الحديث فيه دليلٌ على أن الله موجودٌ بلا مكان لأنَّ الرسولَ عليه الصلاة والسلام قال فليس فوقك شىء ثم قال فليس دونك شىء فإذًا موجودٌ بلا مكان ليس متحيزًا فِى جهةِ الفوقِ وليس متحيزًا فِى جهة التحتِ، هكذا قال البيهقىُّ فيه دليلٌ أن الله موجود بلا مكان. هذه عقيدةُ أهلِ الحقِّ مِنَ السلف والخلف السلف الذين كانوا ضمن الثلاثِمائَةِ سنةٍ هجريةٍ والخَلَف مَنْ جاء بعدهم هؤلاء كلُّهم الذين اتبعوا الصحابة فِى العقيدة بما فيهم من أئمة المذاهب الأربعة هذا

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ورواه أبو داود فى سننه باب ما يقال عند النوم.

اعتقادهم أن الله موجود بلا مكان، والآياتُ والأحاديثُ التى ظواهرها يُوهِمُ أنَّ للهِ مكانًا لا يُفَسِّرُونَهَا على ظواهرها، اللهُ تعالى له حكمةٌ فِى إنزالِ هذه الآياتِ فِى القرءانِ وإيحائه إلى سيدنا محمد بتلك الأحاديث التى ظواهرُها تُوهم أن الله له مكان وله هيئة وذلك امتحانٌ لِعِبادِه لأنَّ العبادَ منهم مَنْ لا يُفَسِّرُ تلك الآياتِ وتلك الأحاديثِ على ظواهرِها فهؤلاء يكونون مِنَ المفلحين عند الله تعالى ومنهم مَنْ يحملها على ظواهرها فيكونون مِنَ الهالكين.

واليومَ انْدَسَّ فيما بين الناس أناسٌ يُشَبِّهُونَ اللهَ بخلقه ويفسرون تلك الآيات وتلك الأحاديث على ظواهرها فيوقعون الناسَ فِى تشبيه اللهِ بخلقِه هؤلاء يُسمَّون الوهابية وهم يُسمُّون أنفسَهم السلفيةَ يوهمون الناسَ أنهم على مذهب أهل المئات الثلاث من الهجرة. السلف ما كانوا يحمِلون تلك الآياتِ والأحاديث على ظواهرها كما يفعلُ هؤلاءِ وقد حصل لهم فِى هذا الزمن رواجٌ لأنَّ كثيرًا مِنَ الناس ينشأون اليومَ مِن غير أن يتلقَّوا علمَ الدينِ ولا سيما العقيدة كما يجبُ من أهلِ المعرفةِ الذين تلقَّوا ممن قبلَهم. مِنْ هؤلاء دكتور تخرج منذ بضع سنين كان فِى الحجازِ هذا من هذه الطائفةِ، فِى رسالةٍ عملها قال الله تعالى له قَدَمٌ يحطُّها يوم القيامة فِى جهنم ولا يتألم هو ولا يتعذب فِى النار لا تُؤذيه كما أن ملائكة العذاب الذين يشتغلون فيها لا يتعذبون. هو على زعمه دكتور فإذا كان هذا حالُ رأسٍ من رؤوسهم فكيف الأذناب.

انظروا إلى كذب هؤلاء يدَّعون أنهم سلفيةٌ والسلفُ قد نزهوا الله تبارك وتعالى عن هذه الأشياء.

الإمام زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم قال إن الله لا يَمَسّ ولا يُمسّ اهـ لأن الشىء الذى يَمَسُّ أو يُمَسُّ له حدٌّ وكل شَىْءٍ له حدٌّ فهو يحتاج إلى مَنْ حَدَّهُ بذلك الحدّ والمحدودُ مخلوقٌ لا محالةَ لا يكونُ إلهًا قديمًا.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة والطريقة الرفاعية

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى ليلةَ الجمعة فِى الثّانِى عشرَ من ذى القَعدةِ سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للسابع عشر من شهر شباط سنة ألفين ر فِى مركزِ جمعيّةِ المشاريعِ الخيريّةِ الإسلاميّةِ فِى مدينةِ بيين فِى سويسرة قبلَ إعطاءِ الطّريقةِ الرّفاعيّةِ وهوَ فِى بيانِ عقيدةِ أهلِ السّنّةِ والطّريقةِ الرّفاعيّةِ. قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ وصلاةُ الله وسلامُه على سيّدنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ.

أما بعدُ فقَد قالَ البخاريُّ العِلمُ قبلَ القول والعملِ واسْتَدلَّ لذلكَ بهذِهِ الآيةِ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ (١). مَعنى كلام البُخاريّ أنَّ العلمَ هوَ أساسُ الدّينِ، وأشرفُ العلمِ العلمُ باللهِ وبرسولهِ وبأمورِ دينهِ الاعتقاديّةِ والعَمليّةِ. الاعتقاديّةُ هِيَ ما يجبُ اعتقادُه مِن أمورِ الدّينِ بالقلبِ والعمليّةُ هِيَ التى تُعمَلُ بالبدنِ كالصّلاةِ والصّيامِ

(١) سورة محمد/الآية (١٩).

والزّكاةِ والحجّ والنّطقِ بالشّهادتينِ. والأساسُ مِن هذا الذى هوَ الأصلُ العلمُ باللهِ وبرسولِه أى مَعرفةُ اللهِ والإيمانُ بهِ وإفرادُه بالعبادةِ والإيمانُ برسولِه محمّدٍ ﷺ فلَا تُقبلُ صلاةٌ ولا زكاةٌ ولا صيامٌ ولا حجٌّ ولا شهادةٌ إلّا بعدَ العلم باللهِ ورسولهِ بعدَ ذلكَ تنفعُ الشّهادةُ أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهَدُ أنَّ محمدًا رَسولُ اللهِ والصّلاةُ والزّكاةُ. كلُّ هذهِ الأشياءِ بعدَ معرفةِ اللهِ ورسولهِ بعدَ الإيمانِ بهما تنفعُ لأنَّ فِى هذهِ الآيةِ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ قَدَّمَ ذِكْرَ العلمِ باللهِ حتى يُفْهِمَنا أنهُ لا يُقبل شىءٌ مِن العباداتِ إلا بعدَ العلمِ باللهِ فكانَ أفضل الأعمالِ التوحيد.

والآنَ أشرحُ لكُم بعونِ اللهِ مَعرفةَ اللهِ. اللهُ تباركَ وتعالى مَوجودٌ ليسَ كالموجوداتِ. الموجوداتُ سِوَى اللهِ ما كانت موجودةً إلا بعدَ أنْ خَلقَها اللهُ. ما كان عالَمٌ كثيفٌ ولا كان عالَمٌ لطيفٌ قبل أنْ يَخلُقَهُما اللهُ. العالمُ اللطيف هو ما لا يُجسُّ باليدِ كالضّوءِ، ضوءُ الشّمسِ وضوءُ القمرِ وضوءُ الكهرباءِ وضوءُ النّارِ هذا لا يُضبَطُ باليَدِ. أما الشّمسُ والقمرُ والنّجومُ يُمْكِنُ أنْ تُجسَّ باليدِ أما ضوءُ هذهِ الأشياءِ لا يُمكن ضبطُهُ باليدِ، والرّيحُ كذلكَ والظّلامُ كذلكَ كلُّ هذهِ الأشياءِ لا تُضبطُ باليدِ لا تُجسُّ باليدِ. هذا العالمُ اللطيفُ.

أما العالمُ الكَثيفُ فهو ما يُمكن جَسُّهُ باليدِ كالإنسانِ والشّجرِ والحجرِ والشّمسِ والقمرِ والنّجومِ والأرضِ

والسّمواتِ والعرشِ.

هذهِ الأشياءُ كلُّها اللطائفُ والكثائفُ مَا كانَت مَوجودةً قبلَ أنْ يَخْلُقَها اللهُ. وجودُها لهُ ابتداءٌ أما اللهُ تعالى وجودُه ليسَ لهُ ابتِداءٌ فلذلكَ لَا يشبهُ الإنسانَ ولا الضّوءَ ولا الظّلامَ ولا الرّيحَ ليسَ حجمًا لَطيفًا وَلَا حَجمًا كثيفًا لأنَّ الحجمَ ما كانَ مَوجودًا قبلَ أنْ يَخْلُقَهُ اللهُ فكيفَ يكونُ اللهُ حَجمًا فهوَ أيِ اللهُ مَوجودٌ ليسَ حَجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا موجودٌ لا ابتداءَ لوجوده فلَو كانَ اللهُ تعالى حَجمًا لكانَ لهُ أمثالٌ كثيرٌ.

لو كانَ الله تعالى حجمًا لم يكن أَوْلَى بالألوهيةِ من الشّمسِ. هذه الشّمسُ حَجمٌ كبيرٌ مُنِيرٌ ومَنظرُهُ حَسَنٌ ونَفْعُهُ كبيرٌ مع هذا لا يجوز أن تكونَ الشمس إلَهًا فَربُّ العالمينَ الذِى خَلَقَ كلَّ شىء لا يكون حجمًا. هىَ هذهِ الشّمسُ مع كَونها حجمًا كبيرًا وجميلًا وكثيرَ النّفع تَنفعُ البَشرَ تنفعُ النباتَ تنفعُ أجسامَ النّاسِ وأجسامَ البهائم مع ذلك لا يجوزُ أنْ تكونَ إلَهًا إذَنْ اللهُ ليسَ حجمًا بالمرّةِ.
لا يجوز أن يكون حجمًا كبيرًا ولا حجمًا صغيرًا. مَنِ اعتقدَ أنّه حجمٌ كبيرٌ ما عَرَفَهُ ومَنِ اعتقدَ أنّه حجمٌ صغيرٌ ما عَرَفَهُ. الحجمُ إنْ كان كبيرًا أو صغيرًا أو لطيفًا أو كثيفًا فهوَ مخلوقٌ. اللهُ لا يكون كذلك فالذِى يقولُ اللهُ جسمٌ قاعِدٌ على العرش كالوهّابيّةِ ما عرفَ اللهَ. عندَهم اللهُ جسمٌ كبيرٌ مَلَأَ العرشَ وبعضُهم يقولُ أخذَ بعضَ العرشِ. هذا جهلٌ وضلالٌ. ما عرف اللهَ مَن يعتقدُ أنَّ اللهَ جسمٌ قاعِدٌ على العرش. لا يوجد فوقَ العرشِ

جسمٌ قاعِدٌ يُدَبّرُ العالَمَ. اللهُ تعالى كان موجودًا قبلَ العرشِ وقبلَ الجهاتِ السّتّ فوق وتحت ويمين وشِمال وأمام وخَلْف قبلَ هذا كُلّهِ كانَ موجودًا بدون تَحَيُّزٍ فِى جهةٍ مِن الجهاتِ.

الحِجمُ يكونُ لهُ تحيُّزٌ فِى جهةٍ منَ الجهاتِ. اللهُ خلقَ بعضَ العالَمِ وجعلَهُ فِى جهةِ فوق. العرشُ والملائكةُ الذينَ يطوفونَ بهِ كما نحنُ نطوفُ بالكعبةِ فِى مكةَ هؤلاء مَركَزُهُمْ هناك يُصَلُّونَ صفوفًا ليسَ بينها اختِلافٌ يُصَلُّونَ على العرشِ ويطوفونَ بهِ لكنْ ليس مَسْكَنُهُمُ العرشَ إنّما للصّلاةِ يُصلُّونَ عليهِ لأنهُ لا يمكن الصّلاةُ فِى الهواءِ فِى الفَراغِ كيفَ يكونُ السّجودُ فِى الهواءِ، الصّلاةُ لا بدّ لها مِن شىءٍ جامدٍ توضعُ عليهِ الوجوهُ فالملائكةُ عندَما يطوفونَ بالعرشِ يكونونَ خارجَهُ حَوْلَهُ وعندَما يُصلّونَ يُصلّونَ عليهِ. أينَ يُصلّونَ إنْ لم يُصلُّوا على العَرشِ، أما ربُّ العالمينَ ليسَ شيئًا متحيّزًا فِى مكانٍ لا فِى جهةِ فوقٍ ولا فِى جهةِ تحتٍ.

اللهُ تباركَ وتعالى خلقَ الحجمَ الصّغيرَ كحبَّةِ الخَرْدَلِ ثمّ خَلَقَ ما هو أكبرُ منها حبّة السّمْسِمِ ثمّ خلقَ ما هوَ أكبر من حبّة السّمسم حبّة العَدَسِ ثمّ خلقَ ما هو أكبرُ مِن ذلكَ حبّة القَمْحِ ثمَّ ما هوَ أكبر من ذلكَ كالبِطّيخ ثم ما هوَ أكبرُ مِن ذلكَ كالإنسانِ ثمَّ ما هو أكبر من ذلكَ كالسّماءِ ثمَّ ما هوَ أكبر من ذلكَ كالكرسِيّ الذِى هوَ فوقَ السّمواتِ السَّبْعِ ثمَّ ما هوَ أكبر مِنَ الكرسِيّ وهو العَرشُ، فالشّمسُ لِمَ لَمْ يَكن حَجمُها أكبرَ من هذا أو

أصغرَ، ولِمَ لَمْ يكن لونُها غيرَ هذا البَياضِ، ولِمَ لَمْ تَكُنْ باردةً كالقمرِ، فَهِيَ بما أنها لها حجمٌ مخصوصٌ ولَوْنٌ مخصوصٌ وصفةٌ مخصوصةٌ لا تَصْلُحُ أنْ تكونَ إلهًا إنَّما الإلَهُ هوَ الذِى خَلَقَها على هذا الشَّكلِ على هذا الحجمِ على هذه الصِّفةِ وخَلَقَ كُلَّ شىءٍ على حَجمِهِ الذِى هو عليهِ. حبّةُ الخردلِ ما هِىَ اختارتْ أنْ تكونَ على حَجْمِها الصّغيرِ، والشّمسُ ما اختارتْ أنْ تكونَ على حَجْمِها هذا، والعرشُ ما اختارَ أنْ يكونَ على حَجْمِهِ الذِى هو أكبرُ حَجْمٍ، كلُّ هذه الأشياءِ تحتاجُ لِمَنْ جَعَلَها أنْ تكونَ على حجمِها الخاصّ فالذِى خَلَقَها لا يكونُ له حجمٌ.

ثمَّ أرادَ الشيخُ عبدُ اللهِ رحمهُ اللهُ أن يُعطِىَ الطّريقةَ فقالَ مَنْ يُرِيدُ الطّريقةَ وصلَّى ركعَتَىِ التّوبةِ فَلْيَسْتَقْبِلِ القبلةَ.

الطّريقةُ الرّفاعيّةُ هِىَ أولُ طريقةٍ ظَهَرَتْ وكذلكَ القادريّةُ ثم بَعْدَهُما ظهرتْ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ.

الطّريقةُ سُنَّةٌ حسنةٌ لأنَّ كلَّ شىءٍ أحدثَهُ فِى الدّينِ العُلماءُ الأتقياءُ وهوَ يوافقُ القرءانَ والحديثَ فهو سُنَّةٌ حسنةٌ يُقَرِّبُ إلى اللهِ فالطّريقةُ الرّفاعيّةُ والطّريقةُ القادريّةُ هما أَوَّلُ طريقتينِ ثمَّ بعدَهما ظهرت طُرُقٌ أخرى النّقشبنديّةُ والشّاذِلِيَّةُ والبَدَوِيَّةُ إلى عَدَدٍ كثيرٍ.

زَمَنُ الشّيخ أحمدَ الرّفاعِىّ هو زَمَنُ الشّيخ عبدِ القادرِ الجِيلانِىّ كانَا بالعراقِ فِى عصرٍ واحدٍ الشّيخُ عبدُ القادرِ ببغدادَ والشّيخُ أحمدُ الرّفاعِىُّ فِى واسِط. أولياءُ ذلكَ

الزّمنِ كانوا يقولونَ الشّيخُ أحمدُ الرّفاعِىُّ أفضلُ أولياءِ ذلكَ الزّمنِ. تُوُفِّىَ الشّيخُ أحمدُ الرّفاعِىُّ سنةَ خمسِمائةٍ وثمانيةٍ وسَبعينَ منَ الهجرةِ. ثمَّ فِى حياتهِ خَلَّفَ خلقًا كثيرًا فبلغَ عددُ خلفائهِ أى نُوَّابِهِ وخلفاءِ خلفائهِ مائةً وثمانينَ ألفَ خليفةٍ. فِى حياتِه بلغَ عددُهم مائةً وثمانينَ ألفًا.

كانَ رضىَ اللهُ عنهُ لهُ خالٌ يُسمّى الشّيخَ مَنصورًا البَطائحِىَّ منَ الأولياءِ فِى العراقِ، خالُ السّيّدِ أحمدَ الرّفاعِىّ رأى الرّسولَ ﷺ فِى المنام فقالَ لهُ الرّسولُ ﷺ بَشّرْ أختكَ بأنّها ستَلِدُ بعدَ أربعينَ ليلةً ولَدًا يكونُ سيّدَ الأولياءِ كما أنا سيّدُ الأنبياءِ. هذا دليلٌ على أنهُ أفضلُ أولياءِ ذلكَ الزّمنِ وما بعدَ ذلكَ الزّمنِ إلى يومِنا هذا.

هوَ رضىَ اللهُ عنهُ أحمدُ بنُ علِىّ، حُسَيْنِىٌّ مِن ذرّيّةِ سيّدِنا الحسينِ بنِ عَلِىّ بنِ أبِى طالبٍ رَضِىَ الله عنهُم. يُسمَّى أبا العبّاسِ ويُسمَّى أبا العَلَمَينِ لأنه أَخَذَ مرّتَينِ عَلَمَ الغَوْثِيَّةِ مرّتَينِ أخذَ رئاسةَ الأولياءِ، عَلَمَ الرّئاسةِ مرّتَينِ أَخَذَ، لذلكَ يسمونه أبا العَلَمينِ. ويُسَمَّى أيضًا شَيخَ العُرَيْجاءِ. هذا أىْ تلقيبُهُ بشيخِ العُرَيجاءِ سببُهُ أنهُ مرّةً ذهبَ إلى قريةٍ فيها جماعتُهُ بالعراقِ يقالُ لها الحَدّادِيَّةُ فاستَقبلَهُ أهلُها وكانَ فيهِم بنتٌ صَغيرةٌ عَرْجاءُ حَدْباءُ ظَهْرُها مُتَقَوّسٌ قَرْعاءُ ليسَ على رأسِها شَعرٌ فتوجّهتْ إلى الشّيخِ فقالَت يا شيخِى كرهتُ نفسِى مِن شدّةِ ما تستهزئُ بِى بناتُ القريةِ فدَعا لها سيّدُنا أحمدُ

فاستقامتْ رِجْلُها فِى الحالِ وظَهرُها ونبتَ شعرُ رأسِها فِى الحال فِى الوقتِ فلمّا رأى النّاسُ هذهِ الكرامةَ سَمَّوْهُ شيخَ العُرَيْجاءِ معناهُ الشّيخُ الذِى شَفَى البِنتَ العرجاءَ الصّغيرةَ.

الآنَ نُلقّنكُم الطّريقةَ. قبلَ تلقينِ الطّريقةِ أقولُ ثلاثَ مرّاتٍ لا إله إلا الله فتردّونَ خلفِى ثلاثَ مرّاتٍ معَ رفعِ الصّوتِ أى لغَيرِ النّساءِ وتَغميضُ العَينِ أحسنُ.

ثمَّ تعوّذَ الشّيخُ مِنَ الشّيطانِ الرّجيم وقرأَ الفاتحةَ سرًّا ثلاثَ مرّاتٍ ثمَّ قرأَ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ (٢) ثمَّ قالَ لا إله إلا الله فردَّدَ الحاضرونَ خلفهُ ثمَّ مرّة ثانية ثمّ ثالثة ثمَّ قالَ أُجيزُكم بالطّريقةِ الرّفاعيّةِ أنْ تقولوا صَباحًا ومساءً أستغفرُ اللهَ العظيمَ وأتوبُ إليهِ مائةَ مرةٍ اللهم صَلّ على سيّدِنا محمّدٍ وعلى ءالهِ وصحبهِ وسلّم مائةَ مرّةٍ لا إله إلا الله مائةَ مرّةٍ. هذهِ هىَ الطّريقةُ الرّفاعيّةُ الاستِغفارُ مائةَ مرّةٍ صباحًا ومساءً بصِيغةٍ مخصوصةٍ ثمَّ الصّلاةُ على النّبىّ مائةَ مرّةٍ بصِيغةٍ مخصوصةٍ ثمَّ لا إله إلا الله مائةَ مرّةٍ تُقرأُ صباحًا بعدَ الفجرِ ويمتدُّ وقتُ الصّباحِ إلى نحوِ أربعِ ساعاتٍ ومساءً ووقتُ المساءِ منَ

(١) سورة النحل/الآية (٩١).
(٢) سورة الفتح/الآية (١٠).

الغروبِ إلى نحوِ أربعِ ساعاتٍ. فِى هذا الوقتِ يقرأُ المريدُ الوردَ الرّفاعىَّ. وَمَنْ فاتهُ الوَقتُ الأصلِىُّ يَقرأُ فِى وقتٍ ءاخَرَ.

ثمَّ مَنْ واظبَ على هذهِ الطّريقةِ يَلْقَى فِى الدّنيا لُطفًا منَ اللهِ ولا سيّما عندَ الموتِ. يُنجيهِ اللهُ مِن أنْ يَتَخبَّطَهُ الشَّيطانُ تلكَ السّاعةَ وفِى الآخرةِ يُرجَى لهُ ذُخْرٌ كبيرٌ. كانَ سيّدُنا أحمدُ الرّفاعىُّ فِى زمانهِ يُدَرّسُ أولَ النّهارِ وءاخِرَ النّهارِ فِى عِلْم الدّينِ. معَ الذّكْرِ يُعَلّمُ علمَ الدّينِ لأنَّ علمَ الدّينِ هو أساسُ العباداتِ. الطّريقةُ دونَ أنْ يَعْرِفَ الإنسانُ العَقيدةَ لا تنفعُ، الطريقةُ لا تنفع إلا بعدَ تَعَلُّمِ العقيدةِ وبعضِ الضّروريّاتِ. ثمَّ يومَ الخميسِ كانَ يَجْلِسُ فِى مجلسِ الوعظِ يَجْتمعُ عليه خَلْقٌ كثيرٌ. وفِى ليلةٍ منَ السّنةِ تُسَمَّى ليلةَ المَحْيا يجتمعُ عنده مِائَةُ ألفِ شخصٍ يُطعِمهم ويَسقِيهم كلَّ هذا الخلقِ بِسِرٍّ رَبّانِىّ.

ثمَّ بعدَ وَفاةِ الشّيخ رَضِىَ اللهُ عنهُ ظَهرتْ كَراماتٌ لمشايخ طَريقتِهِ، اللهُ ذَلَّلَ لهم الثّعابينَ لا تؤذيهِمُ الثّعابينُ، والعفاريتُ كِبارُ الشّياطين يَهابونَهم. كذلكَ النّارُ كانوا إذا أرادوا أنْ يُقيموا حَضرةً فِى بعضِ الأيام يُشعلون نارًا عظيمةً يَدْخلونها ويَذكرونَ اللهَ فيها حتّى تنطفئَ لا تؤذيهم.

ثمَّ قالَ رحمه الله الآنَ أُجيزُكم أى أُعطيكُم الإذنَ بالطّريقةِ أجَزتكم بالطّريقةِ الرّفاعيّةِ قولوا قَبِلْنا فقالوا قَبِلْنا.

ثمَّ أوصَى رحمهُ اللهُ قائلًا الصّيغُ الثّلاثُ لو كُتبَت

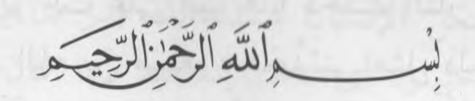
بخطٍ واضحٍ وعُلّقتْ هنا حتى ينظرَ الذِى لم يحفظْها فيراها.

ثمَّ أوصيكُم بالاهتمامِ بهذا المركزِ لأنَّ هذا المركزَ يُعَلّمُ عِلْمَ أهلِ السنةِ.

ثمَّ عليكُم بالتّحابِّ فِى اللهِ تعالى عليكم بالتّحابّ والتّناصُحِ. إذا تحابَّ اثنانِ مِنَ المسلمينَ فِى اللهِ تَعالى ليَتعاونا على الخيرِ ويَتناهيا عَنِ الشّرّ ليسَ للدّنيا اللهُ يجعلُهما تحتَ ظلّ العرشِ يومَ القيامةِ. لَا يُصيبُهما حرُّ الشّمسِ.

انتهى والله تعالى أعلم وأحكم.

الدرس الخامس والأربعون



بيان مسألة القدر

درسٌ ألقاهُ الأصوليُّ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرىُّ رحمهُ اللهُ تعالى يوم الأحد الثامن من شهر ربيع الثانى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للعشرين من نيسان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان مسألة القدر. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين.

أما بعدُ فقد روينا فِى مسند الإمام أحمد(١) رَضِىَ الله عنه وفِى سنن أبى داود(٢) وغيرهما عن ابن الدَّيْلَمِىّ قال أَتَيْتُ أُبَىَّ بن كعبٍ فقلتُ يا أبا المنذر إنه حدث فِى نَفْسِى شىءٌ من هذا القدر فحدّثْنِى لعلَّ الله ينفعُنِى قال إنَّ الله لو عَذَّبَ أهلَ أرضِه وسمواتِه لعذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم ولو رَحِمَهم كانت رَحْمَتُهُ خيرًا لهم مِن أعمالِهم ولو أنفقْتَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِى سبيل الله ما قَبِلَهُ اللهُ منك حتى تُؤْمِنَ بالقَدَرِ وتَعلَمَ أنَّ

(١) رواه أحمد فى مسنده باب حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ.
(٢) رواه أبو داود فى سننه بَابٌ فِى القَدَرِ.

ما أصابَك لم يكن لِيُخْطِئَك وما أَخْطَأَكَ لم يكُنْ لِيُصِيْبَك ولو مِتَّ على غير هذا دخلْتَ النار اهـ قال ثُمَّ أتيْتُ عبدَ الله بنَ مسعودٍ فحدَّثَنِى مثلَ ذلك قال ثُمَّ أتيْتُ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ فحدَّثَنِى مثلَ ذلك ثُمَّ أَتَيْتُ زيد ابنَ ثابتٍ فحدَّثَنِى مثلَ ذلك عن النبىّ ﷺ اهـ

هذا الحديثُ يُعَدُّ من الأحاديث التِى تكون حُجَّةً لإثبات القَدَر. معنى القَدَرِ أنَّ اللهَ دبَّرَ فِى الأزل كلَّ شىءٍ يدخل فِى الوجود على حسب علمه الأزلىّ فكلُّ ما دخل فِى الوجود مِن أشياءَ عَيْنِيَّةٍ وأعمالٍ للعباد أى حركاتِهم وسكونِهم وعَقْدِ نواياهم فِى نفوسهم وكلّ ما يحصل من نَفْعٍ أو ضُرّ أو فرحٍ أو حُزْنٍ أو راحةٍ أو تَعَبٍ أو صِحَّةٍ أو سَقَمٍ أو نشاطٍ أو فُتورٍ وغيرِ ذلك إنما وُجِدَ بعلم الله ومشيئته وتقديره وأنه هو يخلق ذلك كلَّه وأن الله تعالى هو يُقْدِرُ العبادَ على أعمالهم فلولا إِقْدارُهُ تعالى لهم ما استطاعوا أن يعمَلوا شيئًا من أعمالهم ومَن أَقْدَرَهُ اللهُ تعالى ووَفَّقَه لفِعْل الحَسَنات فذلك من فَضْلِ الله ومن يَسَّرَهُ الله تعالى لغير ذلك من الشَّرّ فَبِخِذْلانِ الله تعالى للعبد وذلك عَدْلٌ مِن الله ليس ظلمًا، فمَنْ لم يُؤْمِنْ بالقَدر لا يَقْبَلُ اللهُ تعالى له حسنةً مهما عَمِلَ وتَعِبَ فما كان من أعمال الإنسان عمدًا فهو بقَدَرِ الله وما كان خَطَأً غيرَ عَمْدٍ فهو بقَدَرٍ أيضًا فلا يجوز أن يُقالَ كما يقول بعضُ الجاهلين إنّ ما حَصَلَ خطأً من غير عمد قضاءٌ وقَدَرٌ وأما ما حصل عمدًا فلا يُقال بقضاءٍ وقَدَرٍ، بل كلُّ ما يعمله

الإنسان عمدًا أو خطأً فهو بقدر الله تعالى. فما كان مِن عَمَلِ الإنسان عَمْدًا اللهُ قَدَّرَ أن يعملَهُ هذا الإنسانُ باختياره أى باختيار العبد وما كان من عمل الإنسان بغير عَمْدٍ فاللهُ تعالى قَدَّرَ فِى الأزل أن يَعْمَلَهُ العبدُ بغير اختيار فإذًا كلٌّ مُقَدَّرٌ. العملُ الذِى نَعْمَلُهُ عمدًا والعملُ الذِى نَعْمَلُهُ خطأً بلا عَمْدٍ كلٌّ بِقَدَرِ الله لأنَّ الله تعالى قَدَّرَ فِى الأزل أنَّ هذا الإنسانَ سيعملُ كذا باختياره فيكون ذلك عَمْدًا وقَدَّرَ أنَّ هذا الإنسانَ يعمَلُ كذا بغير اختياره فكلٌّ بقَدَرِ الله تعالى وكلٌّ بخلق الله تعالى، فإذا تَكَلَّمَ الواحدُ مِنَّا عمدًا بكلام أو نظرَ إلى شىء عمدًا أو مَدَّ يده إلى شىء قَصْدًا فهو بِقَدَرِ الله واختيارِ العبد واللهُ تعالى هو الذِى يخلق هذه الحركةَ، هذا النَّظَرُ اللهُ تعالى هو الذِى يخلقه لَسْنَا نحن نَخْلُقُه، وهذا التَّناوُلُ باليَدِ اللهُ تعالى هو الذِى يخلقه وإن كان للعبد فيه اختيار فهو بخلق الله تعالى، فالعمل الذِى يعمله الإنسان باختياره فهو بخلق الله والعمل الذِى يعمله الإنسان بغير اختياره فهو بخلق الله.

إذًا الإنسانُ لا يخلق شيئًا إنما الإنسانُ يَكْتَسِبُ ومعنى يَكْتَسِبُ أنه يُوَجِّهُ إرادتَهُ نَحوَ العمل واللهُ تعالى يَخْلُقُ ذلك العملَ فإذا أرادَ إنسانٌ أن يَتكَلَّمَ بكلامٍ فتكَلَّمَ فالله تعالى هو الذِى خلقَ هذا الكلامَ فِى هذا الإنسان ولولا أنَّ الله تعالى خلق فيه هذا الكلام وأَقْدَرَهُ على أن يَتكلَّم ما استطاع أن يَتَكَلَّمَ، وهذا الذِى يدلُّ عليه قولُ الله تعالى فِى صِفَةِ الكُفَّار يومَ

القيامةِ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١) الكُفَّارُ فِى حالٍ مِن الأحوال يومَ القيامة يَخْتم اللهُ على أفواههم لأنهم كانوا أَنْكرُوا الكُفرَ الذِى كَفروهُ جَحَدُوا كَأَنَّهُ يَخْفَى عليهم، هناك مِن شِدَّةِ اضْطِرَابِهِم أَنْكرُوا قالوا ما أَشْرَكْنا اللهُ تعالى خَتم على أَفْواهِهم أى مَنَعَها مِن الكلامِ أَعْجَزَها وأَنْطَقَ جُلُودَهم فَتَتَكَلَّمُ أَرْجُلُهُم بما عملوا وأيدِيهِم تتكلم وتَشْهَدُ عليهم بما عملوا أما أَلسِنَتُهم فِى ذلك الوقت لا تتكلم، اللهُ جعل قُوَّةَ الكلامِ فِى جلودهم فِى أيديهم وأرجلهم قال الله تعالى فِى سورةِ فُصّلَتْ ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ هذا دليلٌ على أنَّ اللهَ هو الذِى يخلق الكلامَ الذِى نتكلم به عمدًا فكيف الكلامُ الذِى نتكلم به خطأً بغير إرادة كيف لا يكون بخلق الله تعالى كُلٌّ بخلق الله تعالى الكلامُ الذِى نتكلم به عمدًا اللهُ تعالى هو الذِى يخلقه فينا والكلامُ الذِى يَجْرِى على ألسنتنا بدون إرادة فالله تعالى هو الذِى يخلقه فينا كلٌّ بخلق الله تعالى لكن الله تبارك وتعالى يَجْزِى الإنسانَ بالثوابِ الجَزِيلِ إن تَكَلَّمَ بخير، والعبدُ ما تكلم إلا بقدرة الله إلا بمشيئة الله فالله تعالى يُعْطِيهِ الأَجْرَ فَضْلًا منه، وإن تَكَلَّمَ بِشَرّ بكُفْرٍ أو بمعصيةٍ يعاقبه فِى الآخرة وهذا العِقابُ عَدْلٌ مِن الله تعالى ليس ظلمًا.

اللهُ تعالى هو الذِى خلق فينا الكلام والحركة وسائرَ

(١) سورة فصلت/الآية (٢١).

الأعمال أى جميعَ الأعمالِ التِى نَعْمَلُها الله سبحانه وتعالى هو خلقها فينا مع ذلك هو الله تبارك وتعالى له أن يعاقبَ هؤلاء العَبيدَ على معاصيهم فِى الآخرة وإن كان هو الذِى خلق فيهم هذا الكلام الله تبارك وتعالى له أن يعاقب هذا العبد فِى الآخرة على هذا الكلام السيّئ الذِى هو كفر أو معصية وعلى هذه الحركة التِى هِىَ من المعصية أو من الكفر، له أن يعاقب هذا العبدَ وإن كان العبدُ لا يخلق شيئًا إنما الله تعالى يخلق فيه حركاتِهِ وسكونَهُ حتى نوايا القلوبِ اللهُ تعالى هو الذِى يخلقها.

الله تعالى هو الذِى يُقَلّبُ القَلْبَ والقلبُ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِن اللّسانِ مع أنَّ اللسانَ سريعُ التَّقَلُّبِ لكِنِ القلبُ أسرعُ تَقَلُّبًا فالله تعالى هو الذِى يخلق فينا كلَّ ذلك كلُّ ما نَتَكلَّمُ به إن كان عن عمدٍ وإن كان عن غير عمدٍ وكلُّ ما نَنْوِيهِ مِن النوايا فالله تعالى هو الذِى يخلقها فينا مع ذلك له أن يعاقب مَن عصى أى مَن خالفَ الأمرَ له أن يُعاقِبَ لأنه بعث الأنبياء والرسل فعَلَّمَ الأنبياءُ والرُّسُلُ عبادَ الله ماذا يُحِبُّ اللهُ ماذا فرضَ اللهُ على عباده ماذا حَرَّمَ اللهُ على عباده، عَلَّمُوا. بعد ذلك الإنسانُ الذِى خالفَ تَعَالِيمَ الأنبياءِ فقد استحَقَّ العذابَ فِى الآخرة، اللهُ نهانا عن كلّ المعاصِى مع ذلك فإنْ حَصَلَتْ منا معصيةٌ فالله تعالى هو خالقُها فينا ومع ذلك له أن يُعَذّبنا على معاصينا.

فِى اللوح المحفوظ كان مكتوبًا أن هذا الإنسان يعصِى أى وكان مكتوبًا كلُّ حسنةٍ تحصل منا وكلُّ سيئةٍ

تحصل منا مكتوبٌ فِى اللوح المحفوظ قبل أن نُخْلَقَ بأكثرَ من خمسين ألفَ سنة أى على أننا نعملها باختيارنا ما كان من أعمالنا الاختيارية كُتِبَ أننا نَعْمَلُها باختيارنا وما نعمله بغير اختيارنا كذلك كُتِبَ أنه يحصل منّا بغير اختيارنا.

اللهُ تعالى يأمر بالخير ولا يأمر بالشرّ لكنه هو الذِى قَدَّرَ الخيرَ والشرَّ فما كان من أعمالنا التِى نعملها باختيارنا اللهُ تعالى قَدَّرَ أنها تكون باختيارنا أنها تكون منا باختيارنا أى أننا نعملها باختيارنا وما كان بغير اختيارنا الله تعالى قَدَّرَ أنها تكون منا بغير اختيارنا، واختيارُنا ممزوجٌ بجَبْرٍ ليس اختيارًا مَحْضًا اختيارٌ فيه جَبْرٌ ممزوجٌ بجَبْرٍ لأنه حتى هذا الاختيارُ اللهُ خَلَقَهُ.

العبدُ مَظْهَرٌ لِجَرَيانِ تَقَادِيرِ الله تعالى فالعبد له اختيارٌ ممزوجٌ بِجَبْرٍ، الحركةُ التِى يَتَحرَّكُها الإنسانُ قَصْدًا والحركةُ التِى يتحركها المُرْتَعِشُ الذِى أصابته الرَّعْشَةُ ألَا نَجِدُ فَرْقًا بين هذه وهذه هذا الاختيارُ الذِى لنا.

مَن تَحرَّكَ بإرادةٍ فهو بِقَدَرِ الله ومَن تَحرَّكَ بدون إرادة فهو بقَدَرِ الله، الواحدُ منّا كما أنه لا يستطيع أن يَزِيدَ فِى جِسْمِهِ عُضْوًا واحدًا غيرَ الذِى خلقه الله تعالى كذلك لا يستطيع أحدٌ منّا أن يتكلَّم أو يتحرَّكَ أو يَنْظُرَ أو يَطْرِفَ بدون مشيئة الله وبدون خلقه. والدليلُ على ذلك مِن شَاهِدِ العيَان أنَّ الواحدَ منا لمّا يتكلمُ ببعض الحروف يتكلمُ بها من شَفَتَيْهِ تخرجُ من الشَّفَتَيْنِ بحيث إذا لم يُطْبِقِ الشَّفَتَيْنِ لا تخرُجُ هذه الحروفُ وبعضُ

الحروفِ نَنْطِقُ بها من الحَلْقِ ليس مِن الشفتين الواحد منا لا يستطيع أن يُخْرِجَ الحرفَ الذِى جعله الله يَخْرُجُ من الشفتين أنْ يُخْرِجَهُ من الحَلْقِ وكذلك العكسُ لا يستطيعُ، مَن يستطيع أن يتكلَّمَ بالباء وهو فاتحٌ شَفَتَيْهِ من غيرِ أن تَنْطَبِقَ من غيرِ إطْباقِهِما لا يستطيعُ أحدٌ مِنَّا أنْ يَنْطِقَ بالباء كذلك العكس حرفُ الحاءِ لا تَطْلُعُ إلا مِن الحَلْقِ فإذا واحدٌ مِنَّا أَطْبَقَ شَفَتَيْهِ إطباقًا لا تَخْرُجُ الحاءُ إلا بفَتْحِهِما، هذا الدَّلِيلُ على أنَّ الإنسانَ لا يعمل شيئًا إلا بخلق الله وقَدَرِهِ.

الإنسانُ إذا يَسَّرَه الله تعالى فِى هذه الحياةِ لِعَمَلِ الخَيْرِ أى للإيمانِ والطاعاتِ وتَجَنُّبِ المعاصِى ومات على ذلك فهذا بفضل الله تعالى، اللهُ تعالى تَفَضَّلَ وتَكَرَّمَ عليه بهذه النِّعَم فللّه الفَضْلُ والمِنَّةُ على هذا العبدِ اللهُ تعالى هو الذِى له المِنَّةُ عليه. العبدُ ليس له على الله مِنَّةٌ ماذا يَدَّعِى على الله، هو خَلَقَ جسمَه هو خلقَ كلَّ ما فيه العينَ واليدَ وحاسةَ السمعِ وحاسةَ اللمسِ وحاسةَ الشمّ إلى غيرِ ذلك ثم هو الذِى مَكَّنَهُ من المَشْيِ ومَكَّنَهُ من النُّطْقِ بالخير ومَكَّنَهُ مِن تناول عمل الخير، هو الذِى يسَّرَ عملَ البرّ والإحسانِ لهذا العبدِ فالعبدُ ليس له على الله مِنَّةٌ بل اللهُ هو الذِى له مِنَّةٌ على العبد. فالأنبياء الذين هم أفضلُ خلق الله ليس لهم على الله مِنَّة بل المِنَّةُ لله عليهم. كذلك الملائكةُ الذين منذ خُلِقُوا فِى طاعة الله تعالى لا يَفْتُرُون عن ذكر الله لا نومَ يَشْغَلُهُم عن طاعة الله ولا أكلَ ولا شربَ حتى هؤلاء اللهُ تعالى له المِنّةُ عليهم

مع أن الواحدَ منهم مَضَى له من العمر ما يعلم الله من آلاف السنين.

أمَّا مَن يَسَّرَهُ اللهُ للكفر والمعاصى فلا يَلُومَنَّ إلا نفسَه اللهُ تعالى هو خلق فيهم هذا الكفرَ وهذه المعاصىَ والعبدُ له فيه اختيارٌ لكنه اختيارٌ ممزوجٌ بجَبْرٍ له فِى ذلك، واللهُ تعالى لا يكون ظالمًا إذا عَذَّبَ هذا العبدَ فِى الآخرة على كُفْره ومعاصيه لا يكون ظالمًا.

ثم هذا الكافرُ إذا عَذَّبَه اللهُ تعالى فِى الآخرة بالعذابِ الأليم فهو مُستَحِقٌّ لهذا واللهُ تعالى عَدْلٌ فِى ذلك لا يلحقُه ظُلْم. إذا عذّب هذا الكافرَ على كفره الذِى هو خلقه فيه وعذب العصاة مَن شاء مِن عصاة المسلمين من شاء أن يعذبهم على هذه المعاصِى التِى عملوها بخلق الله ومشيئته وقَدَرِه فاللهُ تعالى لا يكون ظالمًا لأنه حاكمٌ ليس له ءامرٌ ولا ناهٍ هو الآمِرُ وهو النّاهِى لا ناهِىَ فوقَه ولا ءامِرَ فوقه.

نحن العباد لولا أنَّ الله تعالى أمرَ ونهى ما كان علينا عقابٌ على أى عملٍ نعمَلُهُ لكنه سبحانه وتعالى أمرنا على أَلْسِنَةِ الأنبياءِ، الأنبياءُ أبلغُونا أنَّ اللهَ أمركم بكذا افْعَلُوا كذا افعلوا كذا ونهاكم عن كذا لا تفعلوا كذا لا تفعلوا كذا لا تُشْرِكُوا ولا تقتلُوا النفسَ التِى حرَّم اللهُ إلا بالحقّ ولا تظلِموا لولا ذلك ما كان علينا سؤالٌ فِى الآخرة لكن الله تبارك وتعالى بعث الرسل والأنبياء فأبلغونا فانقطع العذرُ عنا ليس لنا عذرٌ.

الله تعالى هو خالقنا وخالق ما فينا ليس له شريكٌ فِى ذلك، هو خالق حركاتِنا وسَكَناتِنا ليس له شريكٌ فِى ذلك، فعّال لما يريد، فالذِى لا يُؤْمِنُ بهذا بل يعتقدُ خلافَه فقد ضاع عمرُه مهما عمِل من الإحسان إلى الناس فِى هذه الحياةِ ومهما قدَّم من العَطْفِ على المساكين والفقراءِ والأراملِ والأيتام فإنه ليس له ذَرَّةٌ من الثوابِ فِى الآخرة لأنه ما ءامن بَالقَدَر. أليس قال الرسولُ ﷺ فِى هذا الحديث الذِى سبق ذكره **ولو مِتَّ على غير ذلك دخلتَ النارَ** اهـ ومذكورٌ فِى هذا الحديث **لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا فِى سبيل الله ما قَبِله الله منك** اهـ

مَن لم يُؤمنْ بالقَدَر لو كان يتَصَدَّقُ بمِثْلِ جَبَلِ أُحُدٍ الذِى فِى المدينة مِن الذهبِ للجهاد فِى سبيل الله لو عَبَّأَ الجيوشَ وأَمَدَّهُم بهذا المالِ الكثير لا يقبل الله منه شيئًا وليس له عند الله ذرةٌ مِن الحسنات.

الإيمانُ بالقَدَرِ يَتْبَعُ الإيمانَ بالله تعالى فمَنِ اعترفَ أن الله تعالى موجود وأنه لا يشبه شيئًا لكن اعتقدَ خلافَ الإيمانِ بالقدر فإنه لا ينفعه عملٌ عمِلَه فِى الدنيا لا ينفعه عمل من الأعمال وكلُّ أعمالِه هَباءٌ مَنْثُورٌ.

ثم الله تبارك وتعالى أخبر فِى كتابه الذِى أنزله على نَبِيِّهِ وفِى الكُتب التِى أنزلها على أنبيائه قبل نبينا محمد أخبر أن الإنسانَ عليه أن يعملَ ما أُمِرَ به على ألسنة الأنبياء وينتهِى عمّا نُهِىَ عنه على ألسنة الأنبياء.

ومن جملة ما نُهِىَ عنه على ألسنة الأنبياء أنه لا

يضر المرءُ نفسَهُ الله تعالى قال فِى القرءان الكريم ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾(١) ومعناه تَجنَّبُوا الأسباب التِى يكون فيها عادةً العَطَبُ والهلاكُ تَجَنَّبُوها، بعد أن أخبرنا أن كل شىءٍ يدخل فِى الوجود فهو بمشيئة الله وخلقه وأنه لا يقع شىء إلا بخلقه وتقديره أَمَرَنَا بِتَوَقّى المهالكِ معناه أنتم اسْعَوْا فِى الأسباب ويكونُ ما قَدَّرْتُ ويَتَنَفَّذُ ما قَدَّرتُ. الإنسانُ لمّا يخرجُ لحاجته صباحًا إلى خارج منزله ماذا يعتقدُ إن كان مؤمنًا، يعتقدُ إن كان مؤمنًا إنْ كان كُتِبَ لى وقَدَّرَ الله تعالى فِى الأزل أنّى فِى سَعْيِى هذا يُصيبنِى كذا وكذا من الخير مما يَنفعنِى فلا بد أن يحصلَ وإن لم يقدّر لى الله تعالى فِى الأزل أن أنال خيرًا فِى ذهابِى هذا لا أنال شيئًا. على هذا الاعتقاد يكون خروجه من منزله إن كان مؤمنًا. فالله تعالى أمرنا بالإيمان بالقَدَرِ وأمرنا بالسَّعْيِ بتحصيل المصالح الدينية وما لا نَستغنِى عنه من المصالح الدنيوية أيضًا أمرنا بالأمرين فعلينا أن نمتثل.

ثم الله تبارك وتعالى جعل عِلْمَ الإنسان علمًا محدودًا ما أعطى للإنسان علمًا مطلقًا ليس له حدٌّ ولا نهايةٌ حتى الأنبياءُ ما أعطاهم العلمَ بكل شىء وكذلك الملائكةُ ما أعطاهم العلم بكل شىء فالشىءُ الذِى وُجِدَ وحصل عِلمنا أنه حصل بمشيئة الله وتقديره وأما الشَّىْءُ الذِى لم يحصُلْ فما أخبر الله تعالى فِى كتابه

(١) سورة النساء/الآية (٢٩).

بأنه سيصير نؤمن بأنه سيصير ولو لم يصِر بعدُ نؤمن بأنه لا بد أن يصير انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

الدرس السادس والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقدير الله لا يتغير

درسٌ ألقاه المحدث الشيخ الأصولِيّ عبد الله بن محمد الهررىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان معرفة أن تقدير الله لا يتغير. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلواتُ الله البَرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وحبيب رب العالمين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وءال كلّ والصالحين وسلامُ الله عليهم أجمعين.

أما بعد فإن بعض الجهال يعترضون على قول عامّةِ الناسِ اللهمّ إنا لا نسألك ردَّ القضاءِ ولكن نسألك اللطف فيه، يقولون هذا معارض للحديث الحسن الذِى رواه الترمذىّ فِى سننه **لا يَرُدُّ القضاءَ إلَّا الدعاءُ**[1] اهـ يقولون كيف لا ندعو الله بِرَدّ القضاء والرسول ﷺ أخبر بأنه يُرَدُّ. الجوابُ أن يُقال لهم يوجد قضاءان قضاء مبرمٌ وقضاءٌ معلَّق فالقضاءُ المبرمُ لا يَرُدُّهُ شيءٌ لا دعوةُ داعٍ ولا صدقةُ متصدقٍ ولا صلةُ رحمٍ، والقضاءُ المعلَّق معناه أنه معلق فِى صحف الملائكة التِى نقلوها من اللوح المحفوظ فيكون مكتوبًا عندهم

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء.

مثلًا فلانٌ إنْ دعا بكذا يُعْطَى كذا وإن لم يفعل لا يُعْطَى وهم لا يعلمون ماذا سيكون منه فإن دعا حصل ذلك ويكونُ دعاؤه رَدَّ القضاءَ الثانِىَ المعلقَ. هذا معنى القضاء المعلق أو القدر المعلق، وليس معناه أن تقديرَ الله الأزلىّ الذِى هو صفتُهُ معلقٌ على فعل هذا الشخص أو دعائه فالله يعلم كلَّ شىء بعلمه الأزلىّ يعلمُ أىَّ الأمرين سيختار هذا الشخصُ وما الذِى سيصيبُهُ وكتبَ ذلك فِى اللوح المحفوظ أيضًا وعلى مثل هذا يُحمل الحديثُ الذِى رواه البيهقىّ فِى كتاب القضاء والقدر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِن قَدَر ولكن الله عز وجل يمحو بالدعاء ما شاء من القدر اهـ فقوله لا ينفع حذر من قدر معناه فِى ما كتب من القضاء المحتوم وقوله ولكن الله عز وجل يمحو بالدعاء ما شاء من القدر معناه المقدور المعلق. ويدلُّ على ذلك ما ورد فِى حديث مسلم[1] أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال **سألتُ رَبِّى لِأُمَّتِى ثلاثًا فأعطانى ثِنتين وَمَنَعَنِى واحدةً سألتُهُ ألَّا يُهْلِكَ أُمَّتِى بالسَّنَةِ** المجاعة العامّةِ **فأعطانيها وسألتُهُ ألَّا يُسَلّطَ عليهم عَدُوًّا مِن غيرِهِمْ فَيَسْتَأْصِلَهُمْ فأعطانيها وسألتُهُ ألَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا وقال يا محمدُ إنّى إذا قَضَيْتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ** اهـ والكلام فِى هذا الحديث على القضاء المبرم وعلى كل حالٍ مشيئة الله وتقديرُهُ وعلمه لا يتغير.

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

قال الغزالىُّ فِى الإحياءِ فإن قلتَ فما فائدةُ الدعاءِ والقضاءُ لا يُرَدُّ فالجواب أنّ مِن القضاء رَدُّ البلاء بالدعاء فالدعاءُ سببٌ لرد البلاء واستجلابِ الرحمةِ كما أن الترسَ سببٌ لرد السهم والماء سبب خروج النبات اهـ

وخرَّج الترمذى فِى جامعه عن أبى خزامة واسمه رفاعة عن أبيه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أرأيتَ رُقًى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتقاةً نتَّقِيهَا هل تَرُدُّ مِن قَدَرِ الله شيئًا قال عليه الصلاة والسلام **هى مِن قَدَرِ اللهِ**[1] اهـ قال أبو عيسى أى الترمذىّ هذا حديث حسن وفِى بعض نسخه حسن صحيح اهـ

ثم تأمَّلْ جوابَ عمرَ الفاروقِ رضى الله عنه لأبِى عُبَيْدَةَ حين هَمَّ بالرجوع عن الدخول على أرض بها الطاعون وهى الشام فقد روى البخاريُّ فِى صحيحه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رد على سؤال أبِى عُبيدة رضى الله عنه أفِرارًا مِن قَدَرِ الله فأجابه عمر نعم نَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله أى إذا خرجنا من هذه الأرض إلى أرض أخرى كل ذلك يكون بتقدير الله ولا يكون ذلك منافيًا للتوكل، وذلك فِى الوقعة المعروفة بطاعون عمواس الذِى أتى على كثير من جِلَّةِ الصحابة وخِيَرة الفاتحين فكانوا شهداء الطاعون.

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب ما جاء فى الرقى والأدوية.

فالمسلم عندما يدعو الله تعالى يعتقدُ جزمًا أن دعاءَه لا يغير مشيئةَ الله تعالى لكنّ الدعاءُ بخير عبادةٌ. الرسولُ ﷺ قال فِى ما رواه الترمذىّ فِى سننه **الدعاء مُخُّ العِبَادَةِ**[1] اهـ والعبادة هنا معناها الحسنات فنحن عندما ندعو بدعاء حسن يكون اعتقادنا أن هذا الدعاءَ فيه أجرٌ وقد يدفعُ الله عَنَّا شيئًا من البلاء بسببه وإن شاء الله تعالى فِى الأزل أن يُستجابَ دعاؤنا استُجيبَ. ومعنى قوله تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[2] أطيعونى أثبكم. ومعنى قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾[3] ما قاله الرسول ﷺ **يَغْفِرُ ذنبًا ويُفَرِّجُ كَرْبًا ويَرْفَعُ قومًا ويَضَعُ ءاخرِينَ**[4] اهـ رواه ابن حبان فِى صحيحه وليس معناه أنَّ الله يغير مشيئته. ويوافق هذا قولُ الناس سبحان الذِى يغير ولا يتغير وهو كلام جميلٌ إذ التغيُّر محلُّهُ فِى المخلوقات وليس فِى الله وصفاته فيكون معنى الآية أن الله يُغَيِّرُ فِى خلقه ما شاء.

ومعنى قوله تعالى ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[5] أثيب الطائعَ على طاعته الموافقة للشرع.

(١) رواه الترمذىّ باب ما جاء فى فضل الدعاء.
(٢) سورة غافر/الآية (٦٠).
(٣) سورة الرحمن/الآية (٢٩).
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه باب ذِكْرِ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ أَسْبَابَ هَذِهِ الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ يَجْرِى عَلَيْهَا التَّغَيُّرُ وَالِانْتِقَالُ فِى الْحَالِ بَعْدَ الْحَالِ.
(٥) سورة البقرة/الآية (١٨٦).

وأما قوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾(١) فليس معناه المحو والإثبات فِى تقدير الله إنما فسره الإمامُ الشافعىُّ رضِىَ الله عنه بالناسخ والمنسوخ كما جاء فِى كتاب القضاء والقدر للبيهقىّ، أى أن الله يمحو ما يشاءُ من القرءان أى يرفعُ حكمَه وينسخُه بحكم لاحِق ويُثْبِتُ ما يشاء مِن القرءان فلا ينسخُه وما يُبَدَّلُ وما يُثْبَتُ كلُّ ذلك فِى أمّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ فهو مشتمل على الممحوّ والمثبَتِ وهذا فِى حياة الرسول ﷺ أما بعد وفاتِه فلا نسخ. قال الحافظ البيهقىّ فِى كتاب القضاء والقدر هذا أصح ما قيل فِى تأويل هذه الآية اهـ

فيعلم مما تقدم أن قول العوامّ اللهم إنا لا نسألك رَدَّ القضاء راجعٌ إلى القضاء المبرم لا المعلَّق فلا تعارضَ بين هذا وبين الحديث. والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) سورة الرعد/الآية (٣٩).

الدرس السابع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ مِن أفضلِ أيّامِكُم يومَ الجمعةِ

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرىُّ رحمهُ اللهُ تعالى وهو فِى شرح حديث إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين

أما بعد فقد رُوِّينا فِى مستَدْرَكِ الحاكِمِ(١) وسُنَنِ البيهقىّ(٢) وغيرِهما مِن حديثِ شَدّادِ بنِ أَوسٍ رَضِىَ اللهُ عنه أنَّ نَبِىَّ اللهِ ﷺ قال **إنَّ مِن أفضلِ أيّامِكُم يومَ الجمعةِ فيه خُلِقَ ءادمُ وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ فإذا كان يومُ الجمعةِ فأَكْثِروا عَلَىَّ مِن الصلاةِ فيه فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عَلَىَّ** قيل وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليك يا رسولَ الله وقَدْ أَرَمْتَ قال **إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أنْ تأْكُلَ أجسادَ الأنبياءِ** اهـ هذا الحديثُ يَتَضَمَّنُ فَضْلَ يوم الجمعةِ، وإنما قال مِن أفضلِ أيامِكُم ولم يَقُلْ إنَّ أفضلَ أيامِكُم لأنَّ هناك أيامًا لها مَزايا وفضائلُ كيومِ الحجّ الأكبَرِ وهو يومُ العِيدِ بالنسبةِ

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب كِتَاب الْجُمُعَةِ.
(٢) رواه البيهقىّ فى السنن الصغير بَابُ فَضْلِ الْجُمُعَةِ.

للمُحْرِمِ فِى الحَجّ، يومُ العيدِ هو يومُ الحجّ الأكبَرِ وسُمّىَ يومُ العيدِ للحاجّ يومَ الحجّ الأكبرِ لأنَّ مُعْظَمَ أعمالِ الحجّ تكونُ فيه كالطوافِ والحلقِ أو التقصيرِ ورَمْىِ جَمْرَةِ العَقَبَةِ.

ولا يَتنافَى هذا معَ حديثِ **الحجُّ عَرَفَةُ**(١) اهـ لأنَّ أشَدَّ أعمالِ الحجّ احتياطًا هو وقوفُ عَرَفَةَ لِضِيقِ وَقْتِهِ لأنَّ الوقوفَ بعَرَفَةَ وقتُهُ أقلُّ مِن يوم كامِلٍ لأنَّ وقتَهُ مِن زَوالِ يوم عَرَفَةَ أيِ التاسِعِ مِن ذِى الحِجَّةِ إلى الفَجْرِ، ما بين الزوالِ والفجرِ هذا وقتُ عَرَفَةَ فمَنْ لَمْ يَتمكَّنْ مِنَ الوقوفِ بعرفةَ فِى هذه المدةِ التِى هِىَ أقلُّ مِن يوم كامِلٍ فاتَهُ الحجُّ فلذلك قالَ الرسولُ ﷺ **الحجُّ عرفة** معناه مَن أدركَ عرفةَ أىْ وَقَفَ بعرفةَ فقد أدركَ الحجَّ أىْ ما سِوَى ذلك سَهْلٌ عليه لأنَّ أركانَ الحجّ سِوَى الوقوفِ وقتُها واسِعٌ. الطوافُ بالبيتِ الذِى هو رُكْنٌ مِن أركانِ الحَجّ لا يُجبَرُ بِدَمٍ أىْ بذَبْحٍ إنْ فاتَ لأنَّ وقتَهُ واسِعٌ لكنَّ أفضلَ أيامِهِ يومُ العيدِ فَمَنْ لَمْ يَطُفْ طوافَ الفَرْضِ فِى خِلالِ أيامِ التشريقِ طافَ أىَّ يومٍ شاءَ بعدَ ذلِكَ لو بعدَ شهرٍ أو شَهرَينِ أو ثلاثةٍ أو أكثرَ.

والسَّعْىُ مِثْلُهُ ليسَ وقتُهُ ضَيّقًا بلْ واسعٌ إنْ شاءَ يَسْعَى عَقِبَ طوافِ القُدُومِ أوّلَ ما يَدْخُلُ مكّةَ وإنْ شاءَ يَسْعَى عَقِبَ طوافِ الفَرْضِ. والحلْقُ أو التَّقْصِيرُ يجوزُ فِعْلُهُما كالطوافِ بعدَ شهرٍ أو شَهْرَيْنِ أو ثلاثةٍ أو أكثرَ. فلمَّا كانَ العَمَلُ الذِى وقتُهُ ضَيّقٌ هو الوقوفَ بعرفةَ فقطْ قال

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب أوّل كتاب المناسك.

عليه الصلاة والسلام **الحجُّ عَرَفَةُ** ليس معناهُ أنَّ مَنْ وَقَفَ بعَرَفَةَ ثَبَتَ له الحجُّ مِن غَيْرِ تَوَقُّفٍ علَى أعمالٍ أُخْرَى بلْ لا بُدَّ مِنَ الإحرام الذِى هو النيةُ أى نيةُ الدخولِ فِى النُسُكِ ومِنْ طوافِ الفَرْضِ والسَّعْيِ والحلْقِ أو التقصيرِ.

قوله عليه الصلاةُ والسلامُ **إنَّ مِن أفضلِ أيامِكُم يومَ الجمعةِ** هو لِبَيانِ أنَّ هناك أيامًا فاضلةً غيرَ يوم الجمعةِ وإنْ كانَ يومُ الجمعةِ يَخْتَصُّ بمَزايا ليست لِتِلْكَ الأيام الفاضِلةِ سِواهُ. ومن الأيام الفاضلةِ عشرُ ذِى الحِجَّةِ أىْ مِن أوَّلِ شهرِ ذِى الحِجَّةِ إلى العاشِرِ مِن يوم العيدِ، كلُّ هذه الأيامِ لها فضلٌ عندَ اللهِ تعالى فإنَّ عَمَلَ البِرّ والإحسانَ فِى هذه الأيامِ يَزْكُو ويَزيدُ على ما سواه لذلك قال رسولُ اللهِ ﷺ **ما مِن أيامِ العملُ فيها أحبُّ إلى اللهِ مِن عَشْرِ ذِى الحجةِ**(١) اهـ فَيُفْهَمُ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ فِى هذه الأيامِ تَزْكُو عندَ اللهِ تعالى أكثرَ مما إذا عُمِلت فِى غيرِها.

نعود إلى شرح حديث **إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ فيه خُلِقَ ءادمُ وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ** اهـ هذه الأمورُ الأربعةُ أمورٌ عِظام، أما ءادم فلأنَّهُ أوّلُ النَّوعِ البَشَرِىّ الذِى فَضَّلَهُ اللهُ على سائرِ أنواعِ المخلوقاتِ فهو أفضلُ مِنَ النَّوْعِ المَلَكِىّ ومِنَ النوعِ الجِنّىّ بما أنَّ أنبياءَ الله مِنَ البشرِ مِن أفرادِ هذا

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه باب ذِكْر خَبَرٍ أَوْهَمَ مَنْ لَمْ يُحْكِمْ صِناعَةَ العِلْمِ أنَّ شَهْرَ رَمَضانَ لا يَنْقُصُ عَنْ تَمامِ ثَلاثِينَ فِى العَدَدِ.

النوعِ الكريمِ على الله تعالى. ءَادَمُ عليه السلام خُلِقَ فِى هَذا اليومَ أى فِى يوم الجمعةِ، وتمامُ خَلْقِ ءَادَمَ عليه السلامُ كان فِى الجنة فقد رَوَى الحاكِمُ فِى مُسْتَدْرَكِهِ **أنَّ ءادمَ لَمْ يَمْكُثْ فِى الجنةِ إلَّا ساعةً مِن العَصْرِ إلى الغُروبِ**[1] اهـ لكن تلك الساعةُ وَرَدَ أَثَرٌ بأنها مقدارُ مِائَةٍ وثلاثين عامًا لأنَّ تلك الأيامَ الستةَ التِى خَلَقَ اللهُ فيها الأرضَ والسماواتِ وخَلَقَ ءادمَ فِى ءاخِرِ الخَلْقِ، كلُّ يوم منها قَدْرُ ألفِ سنةٍ بتقدير أيامنا هذه فكانَ مدةُ مكثِ ءَادَمَ فِى الجنة بعد نَفْخِ الروحِ فيه إلى أنْ نَزَلَ إلى الأرضِ مائةً وثلاثين عامًا.

هذا معنى قولِهِ عليه الصلاة والسلام **فِيهِ خُلِقَ ءادَمُ** اهـ وإنما أُخّرَ خَلْقُهُ إلى ءاخِرِ ذلك اليوم الذِى هو ءاخِرُ الأيام السّتّ التِى خُلِقَتْ فيها السَّماوَاتُ والأرضُ لِأَنَّ ءادمَ صفوةُ الخلقِ، أى أفضلُ مما خُلِقَ قَبْلَهُ، أفضلُ مِن الملائكةِ وأفضلُ مِن غيرِهم فكان مناسبًا أن يكون ءاخِرَ الخلقِ فِى تلك الأيام الستةِ كما أنَّ محمدًا ﷺ الذِى هو سيدُ الخلق سيدُ العَالمين على الإطلاق وإمامُ الأنبياءِ وأشرفُ المرسلين خُلِقَ ءَاخِرَ الأنبياءِ، لم يُبْعَثْ إلا بعد أن بُعِثَ جميعُ الأنبياءِ، وفِى ذلك مناسَبَةٌ مع صِفَةِ شَرابِ أهلِ الجنةِ الذِى وَصَفَهُ اللهُ بقوله ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾[2]، فليس الفضلُ عند الله تبارك وتعالى بطُولِ عُمرِ العبدِ مِن عبادِ اللهِ الصالحين، إنما الفضلُ بتفضيلِ

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب ذكر ءادم عليه السلام.
(٢) سورة المطففين/الآية (٢٦).

اللهِ، فسيدنا ءادمُ عليه السلام عاش ألفَ سنةٍ ونوحٌ عليه السلام عاش أكثرَ مِن ذلك ومع ذلك فَلَيْسَا أفضلَ الأنبياء، ولو كان الفضلُ بطول العمر لكان أفضلُ الأنبياءِ هو الخَضِرَ على القول بحياته أى القولِ بأنه لم يَمُتْ بعدُ وهو قولُ أكثرِ العلماءِ وهو نبيٌّ على القولِ الصحيحِ، هو أطولُ عمرًا مِن هذين النَّبِيَّيْنِ ومِن سائر البشر ومع ذلك فليس هو أفضلَ الأنبياءِ إنما أفضلُ الأنبياءِ هم خمسةٌ. روى الحاكم فِى المستدرَك عن أبى هريرة رَضِىَ الله عنه أنه قال **خِيَارُ الأنبياء خمسةٌ محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وخيار الخمسة محمدٌ**[1] اهـ كان سيدنا محمد ﷺ أقلَّ الأنبياء عمرًا، عاش بعد نزول النبوة عليه ثلاثةً وعشرين عامًا، مع ذلك اللهُ فَضَّلَهُ على غَيْرِهِ مِن الأنبياء الذين فيهم ءَادَمُ الذِى كان عمره ألفَ سنةٍ ونوحُ الذِى كان عمرُهُ ألفًا وزيادةً قيل إلى سبعِمائةٍ وخمسين فوق الألفِ وقيل أقلّ من ذلك، فالفضل ليس إلا بتفضيل الله تعالى، فهو تبارك وتعالى له أن يُفَضّلَ مَن يَشاءُ مِن خَلْقِهِ، لا يقال مَن كان أطولَ عمرًا وأطولَ عبادةً هو أفضلُهم، لو كان الأمر كذلك لم يكن سيدنا محمدٌ أَفْضَلَهُمْ وسيدَهم وأشرفَهم وأكرمَهم على الله تعالى.

ولكون أمةِ محمدٍ ﷺ ءاخِرَ الأمم كما أن نبيَّهم ءَاخِرُ الأنبياء فإنهم لم يُذكروا فِى الأمم الماضين إلا بالمدح، ما ذُكروا بالذّم. وقد ذكر الله تعالى كثيرًا من

(١) رواه الحاكم فى المستدرك باب ذكر نوح النبىّ.

مساوئ أمم من الأمم السابقة، قصّ الله تعالى علينا فِى القرءانِ عما فَعَلَ قومُ هودٍ وماذا فَعَلَ قومُ صالِحٍ وماذا فَعَلَ قومُ إبراهيمَ وماذا فَعَلَ قومُ موسى وماذا فَعَلَ بنو إسرائيلَ بعيسى، الله تعالى فَضَحَهُمْ، ذَكَرَ لنا مساوِئَهُم، أما أمّةُ محمدٍ فلم تُفضَحْ فِى أمةٍ مِن الأمَمِ الماضِينَ بل ذُكروا بالمدح والثناء.

وأما كونُ ءادَمَ عليه السلام قُبض يومَ الجمعة فهو أمرٌ مُتَّفَقٌ عليه، ليس فِى ذلك خلافٌ لورود هذا النصّ الحَدِيثِىّ الصحيحِ.

وأما أنَّ النفخةَ فيه فالمراد بها النفخُ فِى الصُّورِ أى البُوقِ الذِى وُكّلَ إسرافيلُ بالنفخِ فيه.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام **وفيه الصَّعْقَةُ** فهى الموتُ بالنسبةِ لِقِسْمٍ مِن العِباد والغَشْيَةُ بالنسبةِ لبعضٍ لأنه يَحْدُثُ مِن النفخةِ أمرانِ قسمٌ مِن الخَلْقِ وهم الملائكةُ والإنسُ والجِنُّ الذين تُدْرِكُهُمْ النفخةُ وهم أحياءٌ على وجه الأرض يموتون فِى هذه النفخةِ، وأما الصعقةُ التِى هى غَشْيَةٌ ليست موتًا فهى لمن كان قد مات قبل ذلك من الأنبياء وغيرِهم فإنهم يُصعَقُونَ أى يُغشَى عليهم لا يُعادُ عليهم الموتُ مرةً ثانيةً لأنهم قد ماتوا إلا أنه وَرَدَ فِى حَقّ مُوسَى احتمالانِ مِن الرسولِ ﷺ، ذَكَرَ النبىُّ ﷺ أن موسى يجوز عليه أن يُغْشَى عليه كما أُغْشِىَ على غيره عند النفخة مِن الذين ماتوا قبل ذلك وهم جميعُ الأنبياء، والاحتمالُ الثانى أنه لا يُغْشَى عليه بل يكونُ جُوزِىَ أى جازاه اللهُ تعالى

بإنقاذِهِ واستثنائِهِ مِن الغَشْيَةِ عند النفخةِ لأنه صَعِقَ فِى الطُّورِ لَمَّا رأى الجبلَ اندكَّ أى صار مستويًا بالأرض بِتَجَلّى اللهِ له صَعِقَ موسى أى غُشِىَ عليه. ومعنى تَجَلّى اللهِ للجبل أنَّ اللهَ خَلَقَ فِى الجبلِ إدراكًا وحياةً ورؤيةً لله فرأى ربَّه، اللهُ تعالى خَلَقَ فيه الرؤيةَ لكنه اندكَّ مِن شِدَّةِ خَشْيَتِهِ مِن اللهِ تعالى، وهذه الجماداتُ اللهُ تبارك وتعالى يَخْلُقُ فِى بعضِها فِى بعضِ الأوقاتِ إدراكًا وحياةً ثم تَعُودُ إلى حالَتِها ومِن الدليلِ على ذلك قولُهُ تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

وقد صحَّ عن النبىّ ﷺ أنَّ ثلاثةً مِن المؤمنين الذين كانوا ممن قَبْلَنا أى قَبْلَ هذه الأمةِ أَوَوْا إلى غارٍ أى لجأوا إليه فلما دخلوه نزلت صخرةٌ مِن أَعْلَى الجبلِ فَسَدَّتْ عليهم فَمَ الغَارِ، والرسولُ ﷺ قال إنَّ هذا الحجرَ مِن الحَجرِ الذِى يَهْبِطُ مِن خَشْيَةِ اللهِ، هؤلاء المؤمنون اللهُ تعالى ابْتَلاهم لأنه سبحانه يَبْتَلِى المؤمنين فِى هذه الدنيا بأشياءَ مِن البلاء، هؤلاء ارتعبوا ارتعابًا شديدًا لَمَّا أصابهم هذا البلاءُ وهو انسدادُ فَمِ الغَارِ الذِى دَخَلُوهُ عليهم بحيثُ لا يَقْدِرُونَ الخروجَ منه فقال بعضُهم لبعضٍ لِيَسْأَلْ كلٌّ مِنَّا رَبَّهُ الفرجَ بعملٍ صالحٍ قَدَّمَهُ، فكلٌّ واحدٍ من الثلاثة ذَكَرَ عملًا صالحًا قَدَّمَهُ قبل ذلك فَفَرَّجَ الله عنهم بِأَنِ انْزاحَتِ الصخرةُ فخرجوا سالمين. ولولا أنَّ اللهَ فَرَّجَ عليهم لَتَلِفُوا وَهَلَكُوا.

(١) سورة البقرة/الآية (٧٤).

اللهم ربنا ءاتنا فِى الدنيا حسنةً وفِى الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافِنا واعفُ عنا، اللهم اجعلنا من المحسنين الذكَّارِين الأوّابين الشكَّارين لك، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان والحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى ءاله وسلم، سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثامن والأربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رد بعض شبه المشبهة وبيان معناها على مذهب أهل السنة والجماعة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرِىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان كيفية رَدّ بعض شبه المشبهة وبيان معناها على مذهب أهل السنة والجماعة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وسلامُ الله عليهم أجمعين.

أما بعد فقد روينا فِى صحيح مسلم وشعب الإيمان للبيهقىّ أن رسول الله ﷺ قال **إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فَطُوبَى للغُرَباء** قيل ومن هم الغرباء يا رسول الله قال **الذين يُصْلِحُونَ مِن سُنَّتِى ما أفسد الناس**[1] اهـ وسنة الرسول ﷺ هِىَ شريعته أىِ

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين ورواه البيهقىّ باب فى الصبر على المصائب.

العقيدةُ والأحكام. فِى هذا الحديث بِشَارةٌ لمن يتمسك فِى هذا الزمن الذِى فسدت الأمة فيه بسنة الرسول أى شريعته.

إذا قال المشبه الخارجُ عن هذه السنة إن القرءانَ والحديثَ يدلان على أن الله تعالى متحيز فِى جهة فوق كيف يُرَدُّ عليه الردُّ يكون بالدليل النقلِىّ والدليل العقلىّ لأن هذه الفرقةَ فرقةَ التشبيه تقول لفظًا نثبت لله ما أثبت لنفسه والذِى يريدونه حقيقةً أنهم يثبتون لله مشابهةَ الخلق ويقولون لفظًا وننفِى عنه ما نفَى عن نفسه ويريدون بذلك نَفىَ تنزيهِ الله عن التحيز فِى المكان والجهة وعن الجسميةِ أوصافِ الجسم كالحركة والسكون والانتقال والانفعال إلى غير ذلكَ من صفات الحجم. القدماءُ منهم كان قسمٌ منهم يقول هو حجم لطيفٌ نورٌ يتلألأ أما هؤلاء الذين فِى هذا العصر يقولون عن الله جسمٌ كثيفٌ بدليل قولهم إنه فِى الآخرة لَمَّا يقالُ لجهنمَ هل امتلأت فتقول هل من مزيد إن الله تعالى يضع قدمَه فيها على أنه جارحة ولا يحترق فهذا دليل على أنهم مجسمةٌ وأن الله عندهم جسمٌ كثيف.

إذا أورد أحدُ المشبهة حديثَ الجارية يقال له هذا الحديث يخالفُ الحديثَ المتواترَ الذِى رواه خمسةَ عشر أو ستة عشر صحابيًّا. وهذا الحديثُ المتواترُ الذِى يعارض حديث الجارية قولُه عليه الصلاة والسلام **أُمِرْتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**

وأنّى رسول الله[1] اهـ هذا الحديثُ معناه أنه لا يُحْكَمُ بإسلام الشخص إلا بالشهادتين. وحديث الجارية فيه أن الرسولَ اكتفَى بالحكم لإسلام الجاريةِ التِى جاء بها صاحبُها ليمتحنها الرسولُ ليعتقَها إن كانت مؤمنةً بأنها قالت فِى السماء. فِى هذا الحديث أن الرسول ﷺ قال لها **أين الله** قالت فِى السماء قال **مَن أنا** قالت رسول الله قال **أعتقها فإنها مؤمنة**[2] اهـ هذا اللفظ رواه مسلم من طريق صحابِىّ واحدٍ وبين هذا الحديث وبين الحديث المتواتر الذِى رواه خمسةَ عشرَ صحابيًا تعارضٌ لأن حديث الجارية يوهم أنه يكفِى أن يقول الشخص الله فِى السماء للحكم عليه بالإيمان وهذا خلاف الحق لأن قول الله فِى السماء عقيدة اليهود بهذا يردُّ عليهم.

فإن قال قائل إن هذا الحديثَ حديثَ الجارية وافقَ عليه شُرَّاحُ مسلم النووِىُّ وغيرُه الجوابُ أن يقال إن هؤلاء ما حمَلوه على الظاهر بل أوّلوه النووِىُّ وغيره الذين شرحوا كتابَ مسلم ما حملوه على الظاهر كما أنتم حملتمُوه على الظاهر إنما قالوا معنى **أين الله** سؤالٌ عن عَظَمَةِ الله وليس سؤالًا عن التحيّز فِى مكانٍ لأنه يُقال فِى اللغة أين فلانٌ بمعنى ما دَرَجَتُهُ ما عُلُوّ

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب وجوب الزكاة، ومسلم فى صحيحه باب من لقِىَ الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

قَدْرِهِ فإذا قال فِى السماء معناه رفيع القدر عالِى القدر على هذا حمله النووِىُّ وغيره من شراح مسلم ما حملوه على الظاهر كما حمله الوهابيةُ على الظاهر. يقال للوهابية فإن تركتم حملَه على الظاهر وأوّلتموه كما أوّلوه لم يلزمْكُمُ الكفرُ بالنسبة لهذه المسئلة كما أن أولئك لما حملوه على خلاف الظاهر وأوّلوه تأويلًا أى أخرجوه عن الظاهر ما فسروه على الظاهر سَلِمُوا من الكفر أما لو حملوه على الظاهر وقالوا هذا دليل على أن الله متحيز فِى السماء لكان حكمهم كحُكمِكم وهو التكفير. ثم إن كلمة فِى السماء فِى اللغة وكلمةَ أين تأتِى للسؤال عن الحيز والمكان وتأتِى للسؤال عن القدر والدرجة تستعمل للتحيز وتستعمل لرفعة القدر أى لعلوّ الدرجةِ واللهُ وصفَ نفسَه بأنه رفيع الدرجات أى أنه أعلمُ من كل عالم وأقدرُ من كل قادر ونافذُ المشيئة فِى كل شىء.

أما احتجاج هؤلاء المشبهة بآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ فالجواب أن يُقال لهم ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ المراد الملائكة وليس المراد بكلمة ﴿مَّن﴾ الله. لأن الملائكةَ لو أمرهم الله أن يخسِفوا بالمشركين الأرضَ لخسفُوها بهم كذلك الآية الأخرى التِى تليها الملائكة هم يُرْسِلُونَ الريح فالله تعالى لو أمرهم بأن يرسلوا ريحًا تبيدُ الكفارَ لفعلوا هذا معنى الآيتين ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[1] والآية التِى تليها ﴿أَمْ

(١) سورة الملك/الآية (١٦).

أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[1]. وهذه الآية تُفَسَّرُ بما ورد فِى الحديث الصحيح **ارحَمُوا مَن فِى الأرض يرحمْكم مَن فِى السماء**[2] اهـ ووردت روايةٌ صحيحةٌ أخرى **ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكم أهلُ السماء**[3] اهـ هذه الروايةُ فَسَّرَتْ ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ المذكورةَ فِى الآية بأنَّ المرادَ بمن فِى السماء الملائكةُ لأنَّ اللهَ لا يُعَبَّرُ عنه بأهل السماء إنما يُعَبَّرُ بأهل السماء عن الملائكة لأنهم سكانها أى سكانُ السموات وبهذا يُجاب عن تمسك المشبّهة بالاحتجاج بهاتين الآيتين.

ثم كلُّ ءَايَةٍ يتمسكون بها يدل ظاهرُها على أنَّ الله حجم متحيز فِى جهةِ فوق وأنه يتحرك ينزل وينتقل إلى تحت إلى السماء الدنيا وأنه يوم القيامة ينزل إلى الأرض مع الملائكة بذاته كما هو ظاهر الآية ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[4] يجابُ عن هذا كله بأن هذه الآياتِ تفسيرُها على الظاهر يُؤَدّى إلى التناقض فِى القرءانِ والقرءانُ منزّهٌ عن التناقض لأن هذه الآياتِ لو فُسّرَتْ على الظاهر لعارضتها ءايَاتٌ أخرى ظاهرُها أنَّ الله فِى جهة الأرض كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5] ظاهرُ هذه الآية أنَّ

(١) سورة الملك/الآية (١٧).
(٢) رواه الترمذى فِى سننه باب ما جاء فى رحمة المسلمين.
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك كتاب البر والصلة.
(٤) سورة الفجر/الآية (٢٢).
(٥) سورة البقرة/الآية (١١٥).

اللهَ هنا فِى محيط الأرض بحيث يكونُ الذِى يصلّى إلى الجنوب أو إلى الشمال أو إلى المشرق أو إلى المغرب يكون اتَّجَهَ إلى ذات الله وهذا لا يقولون به. يُقال لهم تلك الآياتُ قُرْءَانٌ وهذه الآية وأمثالها قرءانٌ وأنتم لا تحملون هذه الآياتِ التِى ظواهرُها أن الله فِى جهة تحت وأمثالَهَا كآية ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾(1) هذه الآية تخبر عن إبراهيم أنه لما ترك قومه الذين لم يقبلوا منه تَرْكَ عبادةِ الأوثانِ قال إنى ذاهب إلى ربّى ظاهرُ هذه الآية أن الله متحيزٌ فِى فلسطين لأن إبراهيم كان قاصدًا أن يذهب إلى فلسطين وأنتم لا تقولون بظاهر هذه الآية ولا تلك الآية وكلٌّ تلك التِى فسرتموها على الظاهر والتِى لم تفسروها على الظاهر قُرْءَانٌ على هذا يلزمكم التناقضُ فِى القرءان فلا سبيل للنجاة من لزوم التناقضِ فِى القرءان إلا أن تؤولَ الآياتُ التِى ظواهرُها أن الله متحيزٌ فِى جهة فوق والآياتُ التِى ظواهرها أن الله فِى جهة تحت يجب أن لا تُحْمَلَ على الظاهر هذه تؤول وهذه تؤول. ثم التأويلُ بعضُ أهل السنة قالوا بلا كيف أى ليس بمعنى الشكل والكميّة أو يقال على ما يليق بالله كما فِى ءايَةِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾(2) لِنَفِى التحيز والجلوس على العرش عن الله وفِى ءايَةِ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(3) يُقال فَثَمَّ قِبْلَةُ الله كما قال بعض

(1) سورة الصافات/الآية (٩٩).
(2) سورة طه/الآية (٥).
(3) سورة البقرة/الآية (١١٥).

السلف كما قال مجاهدٌ الذِى أخذ العلمَ عن ابن عباس رضِىَ الله عنهما وأما ءايَةُ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ معناه أى إلى المكانِ الذِى أعبدُ فيه ربّى بلا إيذاءٍ لأن قومَه رمَوه فِى النار فلم يحترق ومع هذا لم يُسَلِّمُوا له لم يَتْبَعُوهُ فِى الإسلام. والحمد لله أولًا وءاخرًا.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس التاسع والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رُؤيةُ النبىّ ﷺ لِربّه تبارك وتعالى بفؤاده

دَرْسٌ ألقاهُ المُحَدّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهررىُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيته فِى بيروت وهو فِى بيان رؤية النبىّ ﷺ لربه تبارك وتعالى قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعدُ فقد روينا بالإسناد المتصل فِى تفسير ابن مَرْدَوَيه عن أبِى ذرّ الغِفارِىّ رضِىَ الله عنه أنه قال عن نبِىّ الله ﷺ إِنَّهُ لَمْ يَرَ رَبَّهُ بِعَيْنِهِ لَكِنْ رَءَاهُ بِقَلْبِهِ(١) اهـ وروينا فِى صحيح مسلم من حديث ابن عباسٍ رضِىَ الله عنه أنه قال رأى رَبَّهُ أىْ رأى رسولُ الله ﷺ رَبَّهُ ليلةَ المعراج بفؤادِهِ مرتَين(٢) اهـ وورد عن ابن عباس رضِىَ الله عنه وعن أنس بن مالك رضِىَ الله عنه أنهما قالا رأى محمدٌ رَبَّهُ اهـ

وظاهِرُ الروايتين الأخيرتين عن ابن عباس وأنس بن

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير باب عَطَاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك باب حَدِيث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ.

مالك رضِىَ الله عنهم يُعارِض ما ثَبت عن أبِى ذرّ وعن ابنِ عباسٍ رضِىَ الله عنهم فِى الروايتين اللتين قبلهما. وطَريق الجمع بين ذلك أن يقال إن قول ابن عباس رءاه بفؤاده مرتين وقولَ أبِى ذرّ لم يره بعينه ولكن رءاه بقلبه مُقدَّمانِ على روايةِ الإطلاقِ أى فَنَحْمِلُ قولَ ابنِ عباسٍ فِى الروايةِ المطلقةِ رأى محمدٌ ربه اهـ على أنه أراد الرؤيةَ بالفؤاد فتلك الروايةُ تُفَسّرُ هذه الروايةَ، كذلك روايةُ أبِى ذرّ رضِىَ الله عنه رءاه بقلبه ولم يره بعينه اهـ مُقيَّدَةٌ فتؤيدُ روايةَ ابن عباس المقيَّدةَ فيكونُ المُعَوَّلُ عليهما.

فالقولُ الصحيحُ أنَّ النبِىَّ ﷺ رأى ربه ليلةَ المعراج بفؤاده. اللهُ تعالى خَرَقَ العادةَ لِسَيّدِنا محمدٍ ﷺ وَجَعَلَ فِى قلبه قُوَّةً فرأى ربه بتلك القوةِ.

ولا يتوهمْ أحدٌ أنَّ مَعْنَى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده أن الله حَلَّ فِى قَلْبِ نَبِيّهِ فرءاه الرسول ﷺ فِى قلبه فهذا ضلالٌ وَمَنِ اعْتَقَدَهُ كَفَرَ لأنّ الله تعالى لا يَحُلُّ فِى شَىْءٍ مِن خَلْقِهِ فالحُلولُ مستحيلٌ على الله لأنّ الحلولَ يَقْتَضِى أنْ يكونَ جِسْمًا والجسمُ مخلوقٌ وليس إلَهًا.

فالمُعْتَقَدُ الصحيحُ الراجحُ أنَّ النبِىَّ ﷺ لَمْ يَرَ ربه ليلة المعراج بعينِهِ ولكنْ رَءَاهُ بفؤاده، والقولُ الآخَرُ أى القولُ أنه رءاه بعينه هو مشهورٌ لكنه خلافُ المعْتمدِ والذين قالوا بهذا كثيرٌ فِى السَّلَفِ وفِى الخَلَفِ لكن هذا لا يُخْرِجُ الشخصَ عن كونه مِن أهلِ السُّنَّةِ لأنَّ منهم مُحَدّثِينَ على عقيدة أهل السنة على تَنْزِيهِ اللهِ

تعالى عن الجسمية والمكان والجهة ومنهم فقهاءُ ومنهم عوامٌّ فلا نُضَلِّلُهُمْ بَلْ نقول هذا غَلَطٌ، والصوابُ أنه ﷺ رءاه بفؤاده.

أما الحديث الذِى رواه مسلم مرفوعًا أى مِن قول النبىّ ﷺ نورٌ أنَّى أراه[١] اهـ فهذه الروايةُ استنكرها الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، ومعناها عند الذين صَحَّحُوها شَغَلَ بَصَرِى نورٌ فلم أستطع رؤية ذات الله تبارك وتعالى أى لأن نورًا شغل بصرِى. فهذا معناه عند الذين يُثبتون هذه الرواية، أما من لم يثبتوها كالإمام أحمد فلا حاجَةَ عنده لتأويلها، وأما من أخذ بظاهرهاَ فاعتقد أن الله تعالى نور بمعنى الضوء فإنه يكفر. لو كان الله نورًا بمعنى الضوء لكان حادثًا ولم يكن خالقًا. ثم إن الله تعالى أخبرنا فِى كتابه بأنَّ النورَ بمعنى الضوءِ مخلوقٌ كالظُّلماتِ فقَرَنَ بينهما، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٢].

النورُ إذا أُطْلِقَ على الله بالمعنى الصحيح فهو الهادِى أو المُنِيرُ فلا يُوهِمُ نقصًا فِى حق الله تعالى، سَمَّى اللهُ نَفْسَهُ بقوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] أى اللهُ هادِى أهلِ السمواتِ والأرضِ، ويَصِحُّ أن يُفَسَّرَ بقولِ اللهُ مُنِيرُ السمواتِ والأرضِ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب فى قوله عليه السلام نور أنى أراه.
(٢) سورة الأنعام/الآية (١).
(٣) سورة النور/الآية (٣٥).

الدرس الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال العبد يوم القيامة

درسٌ ألقاه المحدثُ الصوفِيُّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى السادس من شهر شوال سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للتاسع من أيلول سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان سؤال العبد يوم القيامة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قال فِى كتابه العزيز ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[١] الهوى هو كل ما تميل إليه النفس مما يلائمها من غير داعٍ دينىّ بل لملائمة الطبع وموافقته مِن شهواتٍ محرمة وإرادةِ عُلُوّ فِى الأرض وترفُّعٍ على الناس وأن تكونَ كلمةُ الشخص نافذةً على غيره وإرادتُهُ نافذةً فِى الناس مِن غير وقوف عند حد الشرع.

الله تبارك وتعالى وَعَدَ مَن خاف مقام ربه أى خاف

(١) سورة النازعات/الآية (٤٠-٤١).

سؤالَ يوم الحسابِ ونهى نفسَه عن هواها جنةَ المأوى أى أن يكون مأواه الجنةَ وعدَه أن يكون مأواه الجنةَ التِى لا نكد فيها ولا خوفَ ولا ضيقَ ولا شكوى مرضٍ أو عذابٍ وجعل مَنْ لم يَخَفْ مقامَ ربه ولم يَنْهَ نفسَه عن الهوى مآلَه سيّئًا جعل مآلَه سيّئًا.

ثم إن الهوى منه ما هو ظاهر يَعرفُ صاحبُه أنه شَرٌّ كالشهواتِ المحرَّمةِ المألوفةِ الظاهرِ أمرُها للخاصّ والعامّ ومنه ما هو خفِىّ لا يهتدِى لمعرفتِه إلا قليلٌ من الناس، حتى إن الذين يزعمون أنهم من أهلِ الذّكرِ عندهم هوى لبَّسَ عليهمُ الشيطانُ الأمرَ فظنُّوه قُربةً إلى الله وهو بُعْدٌ مِنَ الله، ظنوه قُربًا من الله وهو بُعْدٌ من الله. مثالُ ذلك أنهم انشغلوا بمراعاةِ الأنغام وتنسيقِ الحرَكَات وأدَّى بهم ذلك إلى تحريف اسم اللَه فكثير من أهل الطريقة ولا سيما الشاذلية تَعَوَّدُوا أن يحرّفوا اسم الله بدل أن يقولوا الله باللفظ الصحيح يقولون ءاه وذلك لأنها أخفُّ على ألسنتِهم وتوافِقُ الحركات السريعة فِى اهتزازاتهم ورقصهم. ولقد بلغ الضلالُ ببعضهم إلى أن قال الذكر بها أى بآه أقربُ للفتوح من الذكر بلفظ الجلالة الله فصاروا يعملون هذا أىِ الذكرَ بها مراعاةً لحركاتهم التِى اعتادوها فصاروا يشمئزُّون من الذِى يذكر معهم بلفظ الله. حصل مرةً بدمشقَ اجتماعُهم مع هؤلاء ودخل معهم شخصٌ يريد الذكرَ الصحيحَ فصار يقول الله الله فانزعجوا منه لأنهم كانوا تلك الساعةَ يقولون ءَاه ءَاه بترتيب خاصّ مطابقٍ لحركاتِهم فأرادوا منه أن يقولَ مثلَ ما يقولون ءَاه ءَاه

فكلمُّوه فلم يوافقهم بل ظل يقول الله الله فزاد نفورُهم منه لأنه يُغَيّر عليهم الإيقاعَ فأرادوا منه أن يخرجَ من الحلقةِ من شدة نفورِهم ومحافظةً على هواهم فهؤلاء فَتَنَهُمْ هواهم لكن الشيطان لبَّسَ عليهم الأمرَ فخُيّلَ إليهم أن عملَهم هذا فِى حبِّ الله وهو فِى الحقيقةِ معصيةٌ لله لأن تغييرَ اسم اللهِ حرامٌ. وأضافوا إلى ذلك أنهم تلك الساعةَ يرقصون رقصًا فيه تثنٍّ وتكسُّرٌ وهو حرامٌ على الرجال والنساء أى أن الرقص إذا كان فيه تثنٍّ وتكسرٌ أى إنهم يتكسّرون ويتثنَّونَ فِى رقصهم وهذا حرامٌ على الرجالِ والنساءِ وأما الرقصُ الخالى من التثنّى والتكسّر فهو مباح للرجال والنساء كما إذا كان قفزًا إلى فوق فإنه جائز. فهذا نوع من أنواع الهوى الخفِىّ الذِى لا يظنُّه كثيرٌ من الناس قبيحًا إلا أهل الفهم والمعرفةِ أو الذوقِ السليم فإنهم يُدركون أن هذا شىءٌ قبيحٌ. هذا يُدْرِكُ بواسطة علم الدين والمعرفةِ بأحكامِه وهذا يُدْرِكُ بذوقه السليمِ أن هذا عملٌ مرفوضٌ غيرُ مستحسنٍ فِى ميزانِ العملِ الذِى يفرق فيه بين العمل الصحيح والعمل الخبيث.

ومن الهوى أعمالٌ ظاهرُها عباداتٌ لكن فِى النفس إليها طموحٌ من أجل الرّياء. الرياءُ يشجعُ الإنسانَ على فعلها لأجل أن يعجَبَ الناسُ بذلك العمل.

ومن الهوى الخبيثِ الذِى يُهلكُ صاحبَه حبُّ العُلُوّ والسيطرةِ لأنَّ النفسَ يلائمها ذلك فيخفى على أكثر النفوس أنَّ الخيرَ للنفس فِى ترك هواها فالذِى يريدُ أن

يعطِى نفسَه هواها هو يظنُّ أنه يُكْرِمُ نَفْسَهُ يظن أنه يكرمها وهو فِى الحقيقة مُهِينٌ لها فالذِى يريدُ أن تنفذَ إرادتُه لينظرَ قبل الإقبال هل إرادتُه هذه موافقةٌ لمرضاة الله أو مخالفةٌ وذلك باعتبار ميزان الشرع فإن وجدها موافقةً لمرضاة الله تعالى أقدمَ على تنفيذِها مع الحذر من أن يختلط بها مِنْ حظوظ النفس ما يخالفُ مرضاةَ الله وإن وجدها مخالفةً لمرضاة الله باعتبار ميزان الشرع كفَّ عنها وأعرض فيكون أحيا نفسه وأكرمها، فأما إذا تبع ميلَه الموافقَ لنفسه فيكون أهلكها، فالأمرُ بالحقيقةِ أنّ إحياءَ النفس إماتةُ هواها وإماتتُها إعطاؤها هواها.

القرءانُ الكريمُ دلَّنا على شفاءِ النفس الذِى يُحييها بهذه الكلمة الموجزة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾[1] ثم أرشدنا الرسولُ الكريمُ صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى ءالِهِ إلى ما يشرحُ ذلك للعقلِ فقد روَينا فِى الصحيح أنه ﷺ قال **ليس الشديدُ مَن غَلَبَ الناسَ ولكن الشديدَ مَن غَلَبَ نَفْسَهُ**[2] اهـ الحديثُ سهلٌ على اللسان ولكن تطبيقه على النفس صعب شاقٌّ لا يُوَفَّقُ للعمل به على التمام إلا ذو حظّ عظيم فإنَّ فِى العمل به مخالفةَ النفسِ الأمارةِ بالسوء فقدْ ذكرَ اللهُ عن يوسفَ الصدّيقِ عليه الصلاةُ والسلامُ أنه قال ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[3] فَفِى ذلك إشارةٌ إلى أن أغلبَ

(١) سورة النازعات/الآية (٤٠).
(٢) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذِكْر الْإِخْبَارِ بِأَنَّ الشَّدِيدَ الَّذِى غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ.
(٣) سورة يوسف/الآية (٥٣).

الناسِ نفوسُهم أمّارةٌ بالسوء تَسْتَوْلِى عليهم ليس عقولُهُمْ تستولِى على نفوسهم بل الأمرُ فيهم بالعكس، أراد يوسفُ عليه السلام بذلك أنَّ شأنَ النفس الميلُ إلى الشهواتِ المحرمةِ ولا معصومَ عن ذلك إلا من عصمَهُ الله.

قال بعض العلماء فِى الحثّ على كسر النفس وحظّها

وحظُّها إنْ تمتْهُ كنتَ مُحْيِيَهُ
واتركْ هَوَاهَا وحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ اهـ

يعنى أن حياة الإنسان فِى مخالفةِ هواه أى أن الحياةَ الشريفةَ المحمودةَ العاقبةِ فِى مخالفةِ النفسِ وأن موتها أى هلاكَها فِى توليةِ الهوى على النفس فمن وَلَّى هواه على نفسه فقد أهلكها.

إذا عُلِمَ ذلك فلا ينبغِى للحاكم أن يحبَّ العلوَّ فِى الأرض أى أن تنفذَ مشيئتُه كيف ما كان الأمرُ من غير نظرٍ إلى مرضاة الله، ولا ينبغى للوالدِ أو الوالدةِ أن يكونَ محبًّا للعلُوّ والسيطرةِ على ولدِه بل يعتبرُ العاقلُ نفسَه أنَّ كل ما على وجه الأرض عبد لله وأنَّ الله هو حاكم الجميع وله الطاعة على الجميع ولا أحدَ يستحق الطاعة على غيره من العباد إلا بإذن الخالقِ العظيمِ فمن لاحظ ذلك وعمل به فقد عاش حياة سعيدة هنيئة.

رَوَينا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال **رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وهو لها مُهِينٌ** اهـ يعنى أنَّ كثيرًا من الناس يُكرِمون أنفسَهم بحسبِ الظاهرِ بإعطائِها ما تشتهيه وبتنفيذِ إرادتِها

يكرمونها بذلك وهم قد أهلكوها باعتبار الحقيقة، أهلكوها وما أكرمُوها بل أهانُوها **وَرُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وهو لها مُكْرِمٌ**[1] اهـ وإنما يصيبُ الإنسانَ كثيرٌ مِن الهلاك مِن طريقِ حبّ نفوذِ الإرادةِ من غير تَقَيُّدٍ بشريعة الله هذا يُهلك الناس كثيرًا.

لنقتدِ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يُؤْذَوْنَ مِنْ قِبَل أممهم فيصبرون ويقابِلُونَ ذلك الأذى بالإحسان وذلك كالشجرة المثمرة تُخْبَطُ بالعصا وتُعْطِي الثمرَ وذلك لأن مقصودَهم مرضاةُ خالقِهم لا يطلبون فِي مقابل دعوتهمُ الناسَ إلى الخير والرشاد أجرًا من الناس وإنما يطلبُون مرضاةَ ربهم.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) رواه البيهقي فِي شعب الإيمان فصل فِي زهد النبي ﷺ وصبره على شدائد الدنيا.

الفهرس العام